# لا مُشتبهات

# في الفكر الإسلامي



**الطبعة الأولى**

١٤٣٣هـ– ٢٠١٢م

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٢٠١٢/٥/١٧٢٨)

٢١١
**ولويل، كامل جميل**
**لا مشتبهات في الفكر الإسلامي/ كامل جميل ولويل. ــ عمان: دار المأمون للنشر والتوزيع، ٢٠١٢ .**
**(٢٢٢) ص**
**ر.أ: (١٧٢٨/ ٥/ ٢٠١٢).**
**الواصفات: / الثقافة الإسلامية**

- **أعدت دائرة المكتبة الوطنية بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية**
- **يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.**





العبدلي - عمارة جوهرة القدس
تلفاكس: ٤٦٤٥٧٥٧
ص.ب: ٩٢٧٨٠٢ عمان ١١١٩٠ الأردن
E-mail: daralmamoun@hotmail.com
www.almamoun-jo.com

# لا مُشتبهات في الفكر الإسلامي

للدكتور

كامل جميل ولويل




دار المأمون للنشر والتوزيع


بسم الله الرحمن الرحيم

# تذكُر وتقدير

أذكُـرُ خمسـة مصـادر، ولـيس مـن ذكرهـا بُـد، ولمـاذا أذكرهـا وألح في ذكرهـا؟ سـتجد أنـي أجانـب الصـواب إذ لم افعـل ذلـك، فهـي الـدماء العاطفيـة إلى فؤادي.

أذكـر والـدي جميـل ولويـل أذكـره إذ غضـبت والـدتي يومـاً مـا فلطمـتني، إن جـاز أن نسـمي حركـة يـدها لطمـة، فقـال لهـا: تضـربين كامـل (أو **چـامل** على حد قوله)، هـذا بيـت عِلِـم، كنـت وقتئـذ في السـنة الدراسـية الثامنـة وكـان العلـم في فلسـطين ثـم في الأردن يكـاد يكـون معـدوماً بفضـل بريطانيـا، لقـد اهتزت نفسيته للطمة فماذا أقول فيه؟

واذكـر والـدتي الـتي خرجـت مـن بيتنـا في قلقيليـة بالضـفة الغربيـة في الأردن هائمـة صـارخة، إذ سمعـت أن ابنهـا كامـل قـد ضـربته سـيارة فـانفطر فؤادها من هول الخبر، فماذا أقول فيها؟

واذكر صاحبتي الـتي افتقـدتني يومـاً كـاملاً مـن دون علـم منهـا عـن مكـاني وحـالي، كنـتُ قـد عرجـت علـى مستشـفى ابـن الهيـثم لآلام مفاجئـة وفحـوص طبية فإذا هي بجانبي في المستشفى بدموعها الغزيرة، فماذا أقول فيها؟

وأذكـر أولادي جميـل ومـاهر ونجـاة وأبـا بكـر وعمـر وأحمـد، لقـد طبقـوا قـول الـنبي (ﷺ): أنـت ومالـك لأبيـك بـل أذكـر حفيـدي يوسـف في أميركـا، لقد كان والـده محمـد يعـيش معنـا بوجدانـه وجمـاع فـؤاده حتـى توفـاه الله هنـاك في كاليفورنيا، وعسى الله أن يكون لنا غصناً في الجنة فماذا أقول فيهم؟

وأذكـر الشـقيقتين أم احمـد وأم واصـف، لقـد فقـدتا الـزوجين مبكـراً، وأعرضـتا عـن زخـرف الـدنيا وزينتهـا وتعهـدتا أبناءهمـا، لقـد صـاروا شـباباً

ونعم الشباب، أذكرهم كأبنائي وأحبائي، فماذا أقول فيهما؟

وأقـدر تقـديراً خالصـاً مكتبـة المـأمون في عمـان والقـائمين عليهـا، لقـد بـذلوا جهـداً لا ينكـر في العنايـة بكـتبي وذلـك طباعـةً ونشـراً وتوزيعـاً، ثـم واكبـوا العصـر الحـديث بإدخـال الكتـب في أجهـزة الانترنـت ليقـرأ في جميـع أنحاء العالم من يريد أن يقرأ فماذا أقول فيهم؟

وأقــدر صــحبي وزملائــي ورفقــائي الــذين ناقشــوني في مشــتبهات في الفكـر الإسـلامي كمـا ظنوهـا، لقـد كـان لتأييـدهم أو إعراضـهم أو تعريضـهم أثر جيد في البحـث، كانـت مجـالس نافعـة جعلـت للمعرفـة طعمـاً وذوقـاً، إنهـم مؤمنون صادقون يحبون لأخيهم ما يحبون لأنفسهم، فماذا أقول فيهم؟

وسـواء الـذين ذكـرتهم أو الـذين قـدرتهم فإنمـا هـم جميعـاً صـورةُ عـن البيـوت الإسـلامية، وكـل بيـت إسـلامي فيـه طعـم الترابـط، لأنـه لا يخلـو مـن طعم القرآن وسـنة خـاتم النبـيين؛ وهـم صـورة أيضـاً عـن خلايـا النحـل، تعمـل بكـد وهمـة وتقـدم في أخـر مسـالكها عسـلاً شـافياً، أن هـؤلاء جميعـاً يسـرهم نجـاحي ويحـزنهم مـا هـو عـير ذلـك، وانـي أظـن أن لكـل منـا في الـبلاد الإسـلامية إحساسـاً بـأن هـذا موجـود في محيطـه الاجتمـاعي، إنهـا نفحـة مـن خلق النبيين. واحمد الله تعالى، وما توفيقي إلا بالله جل وعلا.

# المقدمة

## كما هي في مجالسنا الاجتماعية



# المقدمة

تتناول هذه المقدمة سبب تأليف هذا الكتاب، كما تتناول القضايا التي أحاط بها بصورة مجملة لتعرف القارئ أنه يقرأ شيئاً مهماً لديه، إذ ما فيه كان حصيلة لتساؤلات بين أصدقاء مؤمنين ومصلين وصائمين عن آيات يقرءونها ولا تتبين معانيها عندهم او مجالسين ليسوا على هذه الدرجة من الإيمان والعبادة يسألون عن نقاط دينية لا تروق لهم، كلنا يطرح ما لديه من غير تخطيط او تقصد، ربما تكون نية أحدهم إراحة نفسه مما تجد، وربما تكون غير ذلك؛ والأهواء لا يعلمها إلا الله؛ انه موضوع غاص في المشتبهات المفترضة في الفكر الإسلامي.

## كيف نشأ الكتاب؟

ونشأ الكتاب عن هذه الآراء العفوية والتساؤلات العفوية، لم يكن الكتاب وليداً عن موضوع محدد ينال به صاحبه درجة ماجستير أو درجة دكتوراه، أو يغطي به مسالة سياسية أو اقتصادية، لم يكن الكتاب في حاجة إلى هذه الأسئلة التي يصطنعها المؤلفون عند تأليف كتبهم: من، متى، كيف، لماذا، أين، هذه أمور فنية صناعية عند التأليف، وليس لهذا الكتاب توجه إليها؛ إن مادة الكتاب مسائل نقاش عفوية، وهي من هذه المسائل التي تعرض للناس عادة في مجالسهم ولا يخلو مجلس جادٌ منها، إن مادته تحيط ببعض الأمور التي تقلق او تحيك في الصدور إننا فئة من الأصدقاء أو الأقارب أو المتعارفين أو من هؤلاء جميعاً نلتقي بعد صلاة الجمعة أو بعد صلاة المغرب أو عند مرض أحدنا أو في مناسبة سارة، **فيقول مَنْ** في نفسه سؤال أو تعليق: هل (كان) في الآية الكريمة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا

﴿رَّحِيمًا﴾ أو الآيـــــة ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمۡ عَلِيمًا﴾ أو الآيـــــة ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ هـل الفعـل كـان في هـذه المواقـع ومـا ماثلـها يـدل علـى أن الله تعـالى كان يغفر ويرحم ويشـكر ولكـن هـذا الأمـر انتهـى، أي أن هـذه الأشـياء كانـت في الزمن الغابر ثم انتهت؟ ألا ترون أن الفعل (كان) يدل على الماضي؟

**ويقـول ثـان:** نحـن نعلـم مـن كتـاب الله أن أعمالنـا الصـالحة هـي سـبب نجاتنا، وهي سـبب دخـول الجنـة، ولكـن الحـديث الشـريف الـذي ثبتـت روايتـه يقول (لن ينجي أحدا منكم عمله) فماذا نفهم من ذلك؟

**ويقــول ثالــث:** المســلمون التقــوا بســيوفهم في معــارك، وبيــنهم مــن هــم مبشـرون بالجنـة، فهـل نغفـل عـن الحـديث الصـحيح وهـو قـول الـنبي (ﷺ): إذا تواجه مسلمان بسيفهما، فالقاتل والمقتول في النار)؟

**ويقول رابع:** هل رأى الرسول ربه ليلة الإسراء والمعراج؟ إن الله تعالى يقول: ﴿لَقَدۡ رَأَىٰ مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ﴾ وأكبر الآيات هي رؤية الله،

**ويسأل خامس** إن لي صديقا مسيحيا يقول لي: إني اسمع القـارئ في القـرآن يقول عن المسيح (عليه السلام): ﴿وَرُوحٌ مِّنۡهُۖ﴾، أليس المسيح (عليه السلام) فيه ألوهية الابـن أو أكثر من الابن؟

**ثم يسأل سادس** هذا السؤال اللغوي يقول (هذه العبارات جـزء مـن أيـة في سورة الفتح يصف فيها تعالى المؤمنين بما يلي: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبۡتَغُونَ فَضۡلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنًاۖ﴾، و.. و....، ثم تـأتي عبـارة ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم﴾ هل جزء من الصحابة كان كافرا وكيف يلتقي الكفر مع: أصحاب معه (رضي الله عنهم)، أشداء على الكفار رحماء بيـنهم و ... و ...، مـا القـول في

ذلك؟

**ويسأل سابع**: هل يحيى الإنسان من جديد في قبره ويسـأله الملـك عـن إيمانـه وعن الرسول محمد وعن الآخرة؟ إنا نقرأ الأحاديث الشريفة عـن سـؤال الملكـين، والقبر ضيق لا يتسع إلا للجثة، فكيف هذا كله؟

**ويسأل ثامن:** ما بالنا لم ننتصر على إسرائيل وقد أذلت الأمـة شـرقاً وغربـاً؟ وسيطرت على حقوق شعب بكامله وتريد أن ترسـم سياسـة لمنطقتنـا علـى هـوى عنصريتها وتعصبها؟

هذه القضايا جميعها جاءت في مجالسنا عفوية، وأخذنا فيهـا وأعطينـا، وشـرقنا وغربنا، بادرنا بالشرح العجول أحياناً وبالصبر والأناة في أحيان أخرى، كنا نختلـف كثيراً ونتفق قليلاً، ويجادل بعضنا بعضا، وكان لمؤلف هذا الكتاب حـظ في البحـث والعرض والنقاش.

## أهمية البحث:-

لقد وقر في نفسي أن المسلم المتفاعل مع دينه ومجالسه أو المفكر مـن أي نـوع، كان، لو قضى أشهراً وهو يبحث في مسالة من هذه المسائل لتستقر نفسـه أو نفـس إخوانه وأصدقائه لاستحق ذلك البحث ثناء منا وتكريماً، بـل لاسـتحق القـائم بـه دعاء خالصاً باراً، إن هذا الوازع وهو إدخال الطمأنينة في نفـوس السـائلين دفعـني للعمل لأنه من مقتضيات الإيمان بالله والرسـل والملائكـة والكتـب واليـوم الأخـر اليقين وعدم الارتياب، انه لن يشعر المؤمن بالراحة والسـعادة إلا إذا رأى أن هـذه الأمور كلها جارية في الطريـق السـليم، بآيـات محكمـات، يفهمهـا المسـلم ويحسـن فهمها، وتزيل عنه ما يحيك في صدره فيكون من الذين امنوا ولم يرتابوا.

أدعو الله تعالى أن يجعل في هذا الجهد الميداني العفوي شـفاء لمـا في صـدورنا، وعاملاً قوياً في التمسك بأخر رسالة نزلت للعاملين.

إذاً نشأت فكرة الكتاب من تساؤلات عديدة لسنوات بين أصدقاء عاديين سألوها لتستقر بالحلول الجيدة أفئدتهم، وكانت قضايا كثيرة تناولت ما يخطر ببالنا من ناحية إسلامية إيمانية، ومن ناحية اجتماعية وفكرية أدعو الله تعالى أن يوفقنا لفهم كل ذلك ونضع ما نصل إليه أمام قلوب متلهفة للمعرفة والإيمان.

# نقاط في معالم البحث

## أولا: موضوعاته ميدانية:-

أعني بذلك أنها مناقشات ميدانية، صرفه، نشأت نشأة عفوية في مجالسنا، إنها ليست مرتبطة ببحث مقنن، أو بحياة عالم لغوي أو تاريخي أو جغرافي أو سياسي أو عسكريّ أو بقضية خاصة، إن البحث يصور ما خطر ببالي أو ببال جليسي، كنا كجلساء لا نتجاوز ميدان القضية المطروحة كما لاحت لصاحبي أو لجليسي، ولذلك يجد فيه الدارسون شيئاً مما خاض فيه الجلساء، على اختلاف أذواقهم وتوجهاتهم ومكوناتهم، إن أمور البحث عامة دون قيد على راي أو فكرة، إنها تتعلق بما رآه السائل في لغة القرآن الكريم أو في نحو القرآن الكريم أو في قِصَّته أو في فكرته، ولا أظن أنّ مسلماً أو غير مسلم جلس مع الناس يحادثهم فيما يفكر فيه أو يشعر به أو قرأ في كتب دينية أو فكرية أو مذهبية ولم يكن في حاجة إلى هذه المناقشات، كما وردت في هذا الكتاب، لأن البحث فيها يجلو الرأي ويجلو الهم ويريح النفوس، ألم يقل سبحانه ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾؟ ألم يقل سبحانه ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾؟ ألم يقل سبحانه ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ لا يوجد على فكرنا المستقيم قيد.

## ثانيا: مع العقائديين:-

كان هؤلاء أكثر من سأل ووقفوا طويلاً عند أسئلتهم لماذا إنهم أهل العقائد مهما تنوعت هذه العقائد، ولأن العقائد تلح على أصحابها ليعرف كل مفكر ما هي عقيدته وما هي عقائد غيره إن من المسلمين من يسأل أخاه غير المسلم: لماذا يعيش بعض الأشخاص في صوامعهم وكنائسهم طوال الحياة ولا يتزوجون، هل يصح للبشر أن يعطلوا أعضاء خلقها الله تعالى لأداء وظائف معينة في الحياة؟ هل تنقص العبادة وذكر الله وطاعته شيئاً إذا تزوج الإنسان؟ وقد يسأل غير المسلمين

إخوانهم من المسلمين: لماذا تحاربون الناس ليسلموا، دعوهم يفكروا ويتخذوا قرار الإيمان بحرية واختيار، لماذا نحمل السيوف ونقاتل في ميادين القتال من أجل اعتناق المذاهب، دعوا الناس على سجاياهم اتركوا الناس وشأنهم؛ لماذا تجمعون الأسرى بالآلاف وماذا تصنعون بهم؟ وإن معرفة كتاب الله تسهل كل هذا وتطمئن النفوس. وقد يسأل المسلم أخاه من هو الشقيّ ومن هو السعيد؟ ما فائدة الأوامر والنواهي إن كان الملك ينادي والجنين في بطن أمه فيقول: هذا شقي وهذا سعيد، ما هي المشيئة الإلهية تجاه الإنسان، وما هي مشيئة الإنسان نفسه، لماذا نقرأ في القرآن الكريم آية تتحدث عن طائفتين ولكننا نجدها في الآية ذاتها تقلب الكلام إلى الجمع، قال سبحانه ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا ﴾، وما الفرق بين الذكر والأنثى؟ إن كلا منهما يعبد الله، فلماذا نجد القرآن الكريم يقول ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ﴾ لماذا نرى المسلمين متأخرين مع أنهم يرون أن الدين الإسلامي هو آيات محكمة ومفصلة من عند الله؟ إنَّ هذه الأسئلة تتطلب إجابات واضحة مطمئنة، وأستبق القول لأبين إن هذا الكتاب وعى هذه الأسئلة، وأدرك مراميها وأهدافها وقد تفرغ للإجابة عليها في أجزائه المختلفة أي الفكرية والعقائدية واللغوية والنحوية والتاريخية، وما توفيقي إلا بالله.

## ثالثاً: الفطرة تُلح على التساؤل:-

الفطرة هي الطبيعة الإنسانية والإنسان يجب أن يكون اعتقاده صحيحاً سليماً خالياً من الشوائب، فأنا مسلم وأريد أن أقيم الصلاة وأتلو القرآن وأذكر الله وأدعوه، إني أتوخى أن أفعل ذلك وغير ذلك، فالعبادات متنوعة ويهاجم هذه الفطرة وسوسات كثيرة، وتشكيكات من هنا وهناك، لماذا تتحمل برد الشتاء ثم تقوم وتتوضأ، لماذا الذهاب إلى مكة ورمي الجمرات، هنا تساؤلات تلح على

الإنسان، فيبحث المسلم عن الحقيقة ولذلك يسعد بثمرة هذه الأتعاب، فإذا وجد ما يطمئنه يشتد إيمانه، وترتاح نفسيته، وقد هيأ القرآن الكريم لهذه الفطرة الإنسانية ما يؤمنها ويطمئنها، قال كتاب الله في باب إزالة الوسوسة، ودحر الوسواس قال﴿قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ﴾ **[هود: ١٣]**، إنهم يزعمون الإتيان بسور ولم يفلحوا، ثم خفف عنهم الحمل ليظهر كلام الله بقوته فقال جل وعلا ﴿قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ **[يونس: ٣٨]**، ما زالت الآيات تحثهم على المحاولة وذلك ليترسخ الإعجاز وترتاح الفطرة الإنسانية لكلمات الله، ولتعلم أنه الأمر الإلهي الذي لا يُبارى، وقد كانت آية سورة البقرة حاسمةً جداً في تنقية النفس الإنسانية أينما كانت تلك النفس وكيف كانت، قال سبحانه ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ **[البقرة: ٢٣ - ٢٤]** إنه الخالق وهو أعلم بما ينزل، وأوامره ونواهيه هي الدواء لدائي.

تريد الفطرة الإنسانية أن تتأكد أن هذه الأعمال التعبدية وغير التعبدية إنما هي من عند الله ولا يقارفها الخطأ مطلقاً وتريد أن تتأكد أن هذه الأعمال ستقيها الغضب الإلهي عندما تأتي الحاقة وتقرع القارعة، وتريد أن تعلم أن هذا كله من الله فتترك الربا والزنا وتترك الخمر والقمار والكبرياء والتفاخر والتباهي تريد أن تعرف أن هذا الدين الإسلامي هو المنقذ حقاً؟ لقد استجاب القرآن لكل ذلك، فمن التزم فإنه سينال حظاً كريماً في الدارين.

## رابعاً: المحجة البَيْضاء:-

هذه خلاصة أي كتاب في الأفكار والعقائد الإسلامية، أنّ ذلك الكتاب حق كله، فالمسلم الحق يعلم أنه يسير على طريق المحجة البيضاء، وإن أول خطوة في هذه المحجة البيضاء أن القرآن بإطاره المعجز وكلماته وآياته حفظ من لدن الله عز وجل وحفظت أحاديث النبي وأفعاله بواسطة جماهير الأمة الإسلامية التي عرفت أفعال النبي بالتواتر، أي تنقل طريقة الصلاة أمة عن أمة وتنقل طريقة الحج أمة عن أمة، وجلد الزاني وإخراج الزكاة واللباس الفضفاض وتلاوة القرآن وارتياد المساجد وبنائها والمشاركة في الجهاد وطاعة أولي الأمر الذي هم على الحق والشريعة، وحب الزوجة لزوجها وطاعتها إياه بالحق وتحريم الربا وقتل النفس أي نفس إلا بالحق، ثم حفظت الأحاديث التي نطقها النبي بتسجيل ما نطقه أو بحفظه بدقة متناهية ثم بتسجيله، لقد سجلت أكثر الأحاديث عن الصحابة في زمن النبي وسجل بعضها في عهود التابعين وبذلك حفظ الإسلام بشقيه، إن أكثر من ٩٠■ من الإسلام وصل إلينا بطريقة التواتر، تلك هي المحجة البيضاء، إنك ما أن تلفظ أول الآية حتى تجد ابن الأردن ومصر وسوريا والباكستان والجزائر وتونس واندونيسيا وماليزيا يكملها كما هي في القرآن الكريم، قال سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾.

حقاً إن ليلها كنهارها، ليس في دين الإسلام خلل أو تناقض أو اضطراب، الرؤية فيها واضحة جداً وقد نزلت المحجة البيضاء في القرآن وتلقينا المنهج كاملاً من رسوله، وقد التزم به النبي التزاماً حاسماً كان يقول لصحبه: وأقيموا الصلاة فإذا رأى النبي المسلمَ لا يقيمها بحقها، كأنه طير ينقر نقراً يقول له:- قم فَصَلِّ فانك لم تُصلِ، وكان يقول لأهل الميت، هل عليه دَيْن فإن قالوا نعم فإنه يطلب إلى أهله أن يسددوا دينه، وإن كان أهله غير قادرين تكفل النبي بسداد الدين، ثم يصلي عليه، وقال لعائشة زوجه: ما صنعت بالشاة يا عائشة؟ فتجيب ذهب الثلث وبقي

الثلثان، فيقول لها بل بقي الثلث وذهب الثلثان، وكان يسأله احدهم يقول: يا رسول الله أريد أن أعطي ابني هذه القطعة الفلانية من أرضي، فيقول هل أعطيت أبناءك كما تعطي هذا الابن فيقول الرجل: لم أعطهم فيقول له: لا أشهد على عطيتك اعدلوا في القسمة على أبنائكم، وكان وكان وكان، عمله دائب في إدارة المجتمع وبناء الأمة، ويريد بذلك تعليم من عاصره ومن لم يعاصره كيف تطبق الشريعة الإسلامية بالعدل؛ تطبق على الجميع ليشعر المؤمنون وغير المؤمنين بأن الله تعالى أراد للناس الطمأنينة.

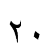
تلك هي المحجة البيضاء التي جاء بها الرسول (ﷺ) إنَّ ليلها واضح كما هو النهار واضح، لا يوجد غموض وإبهام، وإذاً فإنه حري بكل مسلم أمن بالله ورسوله أن يعلم أن هذا القرآن لم يفرط في شيء، وجاء الرسول ليجعل ما أمر الله به واقعاً وليجعل ما نهى عنه مُلغى، فإن الغموض والإبهام ليس له وجود في قضايا الأمة الإسلامية، وإذا لاحظ أحد شيئاً ما غامضاً فهو من ابتكار الأهواء أو المطامع أو الدراسات العجولة وليس من الدين الإسلامي في شيء، يجب أن تكون قضايا الأمة والأفراد واضحة، يجب تنقية النفوس من الشوائب، يجب أن نعلم أن الرسول (ﷺ) تركنا على الصراط المستقيم، فعلينا أن نتبع هذا الصراط ونترك غيره من السبل حتى لا نضل.

إن منهج هذا الكتاب هو إزالة الشبهات التي تعلق بأذهان بعض المسلمين وتعلق بأذهان غير المسلمين، وقد تناول الكتاب الآيات المتعلقة بالمؤمنين كما تناولت الأحاديث الشريفة المتعلقة بهم، وكانت النتيجة أن المحجة البيضاء ليس فيها ما يغطي بياضها، وليس فيها ما يثير الشبهات حول حقائقها، ليلها المعتم يصبح نهاراً ساطعاً بالبحث، ونهارها ترتاح إليه العيون؛ وحتى عيون من لا يؤمنون بالقرآن .

**فكرة من غير المسلمين:-** غير المسلم يسأل: لماذا تقاتلون الناس وتأسرونهم باسم الإسلام. ثم يكونوا عبيداً لديكم، هل يمكن أن يأمر الله بذلك؟ لا نظن ذلك إنما يحدث ذلك ابتداعاً منكم.

نقول: كل هذا ناتج عن عدم النظر في كتاب الله ومعرفة آياته، إن الله تعالى حدد موقف المسلمين من الأسر والقتال، فالقتال له هدف واحد وهو بيان الفكر الإسلامي وبيان أوامر الله للناس، فمن أسلم فنعما هو، ومن رفض فأمره موكول إلى الله تعالى؛ لا يجوز في القتال السيطرة على نفط العالم أو أراضيهم الزراعية وغير الزراعية لا يجوز نهب المعادن في الأرض المغلوبة، لا يجوز أن نفرض الهيمنة لتبقى الشعوب جاهلة، أهم شيء لدى المسلمين نقل الفكر الإسلامي للناس ليعبدوا الله ويتخلصوا من عبادة الأفراد وتسلطهم؛ المسلم يكره الظلم، ولا يظلم ربك أحداً، وما القتال إلا لإزالة القوى التي تمنع الناس من معرفة الإسلام وأما الأسرى فقال سبحانه﴿فَإِمَّا مَنًّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلۡحَرۡبُ أَوۡزَارَهَاۚ﴾ سمى الإسلام الحرب أوزاراً لثقلها على النفوس جميعها، والأسير إما أن يطلق سراحه من دون أي فلوس أو دنانير أو يُفادى بشيء، كأسير مقابل أسير، أو مال مقابل أسير وسيأتي تفصيل ذلك فيما سيأتي هذا هو القرآن وكل ما يخالف هذا فهو يخالف المحجة البيضاء.

ويقول بعضهم: أنتم على الإسلام وها أنتم متأخرون عن قوافل القوة والحضارة، لماذا؟ إذاً الدين سبب للتأخر وليس للتقدم! ونقول: المسلمون ضعفوا إذ هجروا الإسلام، واسأل المسلمين عن شرائعهم فستجد أنها هولندية وبلجيكية وفرنسية و...، وانظر إلى التاريخ الإسلامي عندما يتمسك المسلمون بالإسلام ما الذي كان يحدث؟ تقدم هائل في كل شيء، نحن أمة وصفها الله تعالى بقوله:﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ﴾ وبمقدار تمسكنا بأمر الله نرتقي وبمقدار بعدنا عنه نهبط؛ وهذا التاريخ يحكم علينا أوْلنا.



## خامسا: تساؤلاتنا في صميم القرآن وأمثلتها.

لقد تحدثنا في مجالسنا بعفوية عن كلمة تتردد يومياً بين المسلمين وغير المسلمين، قلنا إننا نجد أسماء لأشخاص مثل مسلم ومؤمن ولا نستطيع أن نميز بينها، كأنها أسماء مترادفة، فلماذا نستعمل مثل هذه الكلمات، ونستعمل حروفاً مثل من وعن وإلى واللام ونبذل جهوداً لتحديد عملها، ولكنها في اللغات الأخرى بسيطة ولا تحتاج إلى بذل وجهد لنعرفها، ونتساءل عن مشيئة الإنسان هل له حقاً مشيئة وقد كتب الله تعالى عنه أنه شقي أو سعيد قبل خلقه؟ والأَوْلى أن نأخذ الأمثلة المتداولة ليكون الوضوح تاماً في طبيعة تلك التساؤلات، وليس المعنى في ذلك أنَّ هذه التساؤلات هي لمجالسنا فقط، ولكنك أينما سالت: ماذا تحدثتم في مجالسكم في تلك الأوقات التي تلاقيتُم فيها؟ الجواب تحدثنا عن شؤوننا السياسية، عن الفقر في بعض البلدان، عن مناسبات حدثت سارة أو محزنة، تحدثنا عن خطبة الجمعة، تحدثنا عن الآية القرآنية وشرحها، تحدثنا عن القضاء والقدر، وأمثال ذلك؛ وإن الذي سنتعرض له الآن كان حاضراً في كثير من مجالسنا.

### أمثلة من الحوار:-

١- النبيّ والرسول:- هل هناك فرق بين محمد رسول الله وبين محمد نبيّ الله، هل نوح رسول أم نبي، هل يوجد في عالم الرسالة والنبوة مبعوث نبيّ وليس برسول، او رسول وليس بنبيّ؟ إجاباتنا متعددة، وليس هذا المقام الآن للخوض فيها، فسيأتي ذلك عند البحث والتفصيل وسيكون مريحا للنفس بإذن الله تعالى.

٢- أنا أؤمن بالله وبكتاب الله المعجز وبالرسول خاتم النبيين وأومن بكل الرسل السابقين وأومن بالبعث والملائكة، **فهل أنا مؤمن او مسلم،** أي الاسمين أَولى بي، ومن يشهد بسلامة هذا الاختيار أن تكون كذا أو تكون كذا، إنّ

الاسمين نرددهما مرات فهما جديرتان بترجيح إحداهما على الأخرى من أجل الوضوح ومعرفة مكان الكلمة المناسبة.

٣ – كلمة ﴿بُطُونِهِۦ﴾ ـ تأتي أحياناً ﴿بُطُونِهَا﴾ وهي تتحدث عن الأنعام. فلماذا أفردت مرة وجمعت مرة أخرى؟ قال تعالى في سورة النحل(٦٦)، ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ **[النحل: ٦٦]**، ولكن نجد في أية أخرى نفس الكلمة بصيغة الجمع بطونها قال سبحانه،﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ **[المؤمنون: ٢١]** لا شك أن هناك أسرارا وراء ذلك: ولم يأت هذا التفريق عبثا، فكل شيء في كتاب الله جاء بمقدار؛ فلماذا إذاً نقول بطونه ثم نقول بطونها؛ أونقول العكس؟.

٤ – «وعد الله الذين أمنوا منهم»، مَنْ هم؟ إنه سبحانه في سورة الفتح يقول ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾ **[الفتح: ٢٩]** وقد وصف تعالى المؤمنين بأجمل الصفات فهم: كزرع ناضج سوقه قوية غليظة تتحمل عدداً كثيراً من الحب، وهذا النوع من الأثمار يسعد المزارعين، فأصحاب النبي (ﷺ) لهم من الصفات ما يملؤهم أملاً في دخول الجنة استغفر الله بل أقول يملؤهم ثقة ويقيناً بدخول الجنة، فكيف يصفهم بالإيمان وصحبة الرسول وتراحمهم بين بعضهم بعض، وشدتهم في الميدان وقت الحرب، ثم يأتي الوعد بهذه الصورة ! إنَّ الحرف (من) يثير الاشتباه، تأمل الآية ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾ إن التساؤل حق، والمتسائل على حق؛ مَنْ هؤلاء الصحابة الذين لا يوعدون بالجنة والمغفرة،

هل كلمة (منْهم) تستثني أم لها وظيفة أخرى؟ فكيف نفهم ذلك حتى تطمئن نفوسنا؟

٥- المشيئة «وما تشاؤون إلا أن يشاء الله» أين مشيئتنا إذاً؟ السائل يقول: يوجد آيات تقول أن الله تعالى هو الذي يشاء ونحن لا مشيئة لنا، كيف الله والله تعالى يقول ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ أي أَنَّ مشيئة الله هي الأولى، ولكن مشيئة الإنسان هي التالية أو الثانية وكيف يخالف الإنسان الضعيف مشيئة خالقه جلّ وعلا؟ ولذلك احتج المشركون إذ رأوا العذاب بالمشيئة التي فصّلوها على هواهم، قال سبحانه يصف حالتهم في الآخرة ومحاولتهم دفع العذاب عن أنفسهم قال ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ **[النحل: ٣٥]**، إنَّ قضية المشيئة قضية عامة تصيب كل إنسان، والتساؤل فيها وارد في مجالسنا ولكني أظن أن المجالس كلها تبحث فيه وتدرسه، لأن كل إنسان يجب أن يعرف حدود قدرته أمام رب العالمين، ماذا تعني الاية السابقة، كيف أعرف أن الله تعالى شاء لي ذلك ثم أشاء بعد ذلك؟.

٦ – هل دخول النار محتوم على كل إنسان؟ فليس ورود النار أمراً هيناً، لا يستطيع أحد فيه ذرة من عقل يقرأ قوله تعالى ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ إلا ويرهب هذا الورود إلى النار أليست هذه الآية تهز البدن؛ أخبرنا بالورود ولم نخبر بالصدور، فهل التساؤل عن ذلك حتمي أم لا؟ يسأل أحدنا في مجلسنا، ومجالسنا تمثل مجالس كثيرة جداً، لأن الذي يقرأ القرآن سيمر على هذه الآية فيسأل: هل سنحرق بها؟ هل نراها من بعد، هل الورود لنعرف طبيعتها أي النار فنقدر مدى النعيم في الجنة؟ أم هل تمحص

الواردين فيها، كيف ذلك؟ أليس هذا النقاش واقعياً؟ أن البحث عن الإجابة حق.

٧ – هل كل مسلم في الجنة؟ نعم، وقد جاءت الإشارة من الاية (٣٣) في سورة فاطر قال سبحانه:﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾**[فاطر: ٣٢ - ٣٣]** ولكن بعضهم يقول: هناك مسلم يأكل الربا، ويهمل الصلاة ويكذب في حديثه ولا يحفظ حرمة جاره، فكيف يدخل الجنة دون أن يحاسب على أعماله السيئة، ويقول ورد في كتاب الله أن كل إنسان سيرد النار فكيف نوفق بين الآيتين؟ هل معنى ذلك انه يحاسب بالنار مدة من الوقت تطول أو تقصر ثم يدخل الجنة؟ هناك أسئلة متراكمة ولذلك يجب التعرض لها فما الرأي الحق؟

٨ – أنت مني بمنزلة هارون وموسى: هذا حديث شريف ويولد نقاشاً بين المسلمين أنفسهم، وليس عيباً ولا نقصاً أن يكون لهم في هذا الحديث آراء، من كان من المسلمين على خطأ فله أجر ومن كان على صواب في فهم هذا الحديث فله أجران. منهم من قال: هذا الحديث يعطي علياً بن أبي طالب الولاية فهو إمام بعد رسول الله (ﷺ) ومنهم من قال: هذا ثناء على عليّ بن أبي طالب فهو أقرب إلى رسول الله من أي إنسان أخر فهو الذي يرعى عياله من بعده وأما إمامة المسلمين فهي بالشورى بينهم، ويأخذ النقاش دوره في هذا الباب وفي هذا يجتهد المسلمون: فما الرأي؟

٩- حوار بين آدم وموسى: ورد حديث يبيّن الاختلاف بين موسى وآدم،

فموسى إذ التقى بآدم قال له: يا آدم أنت الذي خلقك الله بيديه ونفخ فيك من روحه وأسكنك جنته، ثم يخدعك الشيطان فتنزلنا إلى الأرض؟ وهذا هو الحديث كما رواه صاحب النبي أبو هريرة (رضي الله عنه): قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) احتج آدم وموسى عليهما السلام عند ربهما فحجَّ آدم موسى، قال موسى أنت الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه، واسجد لك ملائكته وأسكنك في جنته، ثم أهبطت الناس بخطيئتك إلى الأرض، قال آدم أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالته وبكلامه وأعطاك الألواح فيها تبيان لكل شيء، وقربك نجيا فَبِكَمْ وجدت الله كتب التوراة قبل أن اخلق؟ قال موسى بأربعين عاماً، قال آدم: فهل وجدت فيها ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾؟ قال: نعم، قال أفتلومني على أن عملتُ عملاً كتبه الله عليّ أن أعمله قبل أن يخلقني بأربعين سنة، قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فحجَّ آدم موسى مختصر صحيح مسلم / الألباني نفس الجدل يدور بين مسلم ومسلم او مسلم وغير مسلم فما الرأي؟

١٠- سؤالان لابن عباس يتعلقان بالعقيدة:

أ- سال رجل ما تقول يا ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَكۡتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثٗا﴾، وقوله تعالى في آية أخرى في كتمان الحديث ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ﴾ مع إنهم كانوا مشركين، ويعلمون أنهم قد كتموا بقولهم هذا.

ب- وقال الرجل عن التساؤل وعدم التساؤل﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ ما علاقة هذه الاية بالآية التالية ﴿وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ﴾: كيف يكذبون ويقولون لم نشرك وهم مشركون وكيف يذكر القرآن الكريم أية فيها التساؤل وأخرى تقول لا تساؤل؟ ما الرأي.

١١- الشقي والسعيد: يتساءل المؤمنون بين بعضهم بعض ما قيمة العمل إزاء هذا الحديث الشريف: «إن أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً.... ثم يبعث الله ملكاً فيؤمر بأربع كلمات ويقال له: اكتب عمله ورزقه وأجله وشقي أو سعيد..» فإذا كان العمل قد كتب والرزق قد كتب والأجل والنتيجة كتبا فلماذا يعمل الإنسان فيجتهد في صلاته وصيامه وزكاته و... و... و...، أليس الأفضل أن يترك العمل ويستريح؟

١٢- تواجه المسلمين بالسيوف: هل من حضر يوم الجمل في النار؟ هل من حضر يوم صفين في النار، هل من حضر كربلاء في النار؟ يوجد بينهم مبشرون بالجنة وآيات تعدهم بالجنة وتبعدهم عن النار فكيف ننظر لذلك؟ و... و...، كيف نتعامل مع الحديث: إذا تواجه المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار إنه سبحانه عنده كل شيء بمقدار، إذاً علينا أن نبحث.

١٣- هل يُضل الله الناس ثم يعذبهم على سوء عملهم؟

يتساءل أصحابنا وغير أصحابنا عن الإضلال، يقولون نجد في كتاب الله ﴿أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُواْ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ﴾؟ ونجد في كتابه العزيز ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ﴾ **[الأعراف: ١٥٥]** ونجد أيضاً: ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾ **[النساء: ١٤٣]** فكيف نفهم ذلك؟

**ملاحظة:** هذه أمثلة ولكن المؤمن يقرأ ويستمع ثم تجده حائرا ومشتبهاً فيتساءل، والأمر حق وهو هَيِّن؛ لأن الإسلام حثنا على التفكير، وهو هَيِّن!

لماذا هو هينّ؟ لان الرسول (ﷺ) الذي قال تركتكم على المحجة البيضاء علم بفضل الله عز وجل أن تلك الأسئلة ومئات غيرها مما يخطر ببال المسلم أو غير المسلم سيكون لها جواب وافٍ شافٍ في كتاب الله؛ وإن ما سبق من الأمثلة

والتساؤلات والظنون سيجد طريقه إلى الوضوح والتوضيح؛ وسيتبع ذلك الأمثلة أمثلة أخرى تداولناها في مجالسنا ومسائل أُخرى وجدت هنا او هناك في مجالس غيرنا أو في صحف وكتب أُلفت بحسن نية أو بسوء نية وقصد.

وقادني البحث إلى مَوضوعين آخرين هما: القضايا النحوية أو كما سميناها المشتبهات النحوية، والمشتبهات اللغوية ثم بشيء من الإيجاز بعض المواقف التاريخية والبحث كله بإذنه تعالى يغوص في أعماقنا البشرية، وما يحيك في صدورنا، فعلينا أن نجادل فيه ونكثر الجدال من دون فرح او اختيال، وستكون هذه المشتبهات التي ما أكثر ما خطرت بالبال ومواقف أخرى مماثلة ليست بعيدة عن هذا مفتاحاً لنقاء نفوسنا مما وجدت او مما تجد؛ إن جميع هذه المشتبهات ما هي إلا مشتبهات ظاهرية وهي من تعلات السطح، وهي لن يكون لها اشتباه في الأعماق بحمد الله وهدايته؛ إن مؤلف هذا الكتاب يتطلع إلى الحل فيجده ماثلاً أمامه، إن هذا الحل يكبر ويتعاظم وأنا أقرأ قول رسول الله (ﷺ) تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها؛ فهذه المحجة متكاملة، إن بحوثنا هذه وحلول مشكلاتنا يتطابق مع الآية الكريمة ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ﴾ فالويل هذا يحتاج إلى إزالته من النفوس، فإذا أتممنا التلاوة عرفنا كيف يزول الخوف من الويل قال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾ وكذلك ما يحيك في صدرك إن بحثت عنه بإخلاص وصدق ستجد له إجابة في القرآن الكريم أو في قول رسول الله وأفعاله وتقاريره لكل شيء في الإسلام إجابة وافية شافية، إنّ بحوثك واجتهاداتك تشبه في حل الإشكال وإزالة ما يعلق بالنفوس قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾ بعد آية ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ﴾.

إن الإجابات عن هذه التساؤلات وربما نقول وتساؤلات أخرى غيرها. قد أجبت عليها في عدة مواضيع من الكتاب، أرجو ألا يتوقف القارئ عند مشتبهات العقيدة والفكر ثم يفرك يديه حيرة ويقول لم أجد ما أريده مما حاك في صدري، بل عليه أن ينظر في مشتبهات العقيدة والفكر ومشتبهات اللغة ومشتبهات النحو ومشتبهات القضايا التاريخية، عليه أن يبرئ نفسه مما تجد بدراسة سائر الكتاب، وعليه بعد ذلك أن يجتهد فيما لم يجده هنا، فإن المسلم أو الإنسان مكلف بأن يبحث في القرآن الكريم فينفع نفسه وينفع غيره ويسير على هدي الكتاب لينجح في **يوم لا ينفعه** فيه إلا صِدقُهُ.

**سابعا: المشتبهات في الحوادث التاريخية**، وقد جُلبت تلك المشتبهات وظهر أنها حلت بطريقة حضارية فريدة في التاريخ وعسى أن نتعظ مما سُبقنا فيه.

## من المشتبهات المطروحة عقيدة أو فكراً ومعالجتها

١ - هل يضل الله المشركين ثم يعذبهم؟
٢ - هل الإنسان شقي او سعيد منذ أن يكون في بطن أمه.
٣ - هل كل مسلم في الجنة؟
٤ - ما هي تمنيات الأنبياء واثر الشيطان فيها؟
٥ - هل يخرج أهل النار من النار؟
٦ - أحاديث متناقضة.
٧ - هل يسمح الإسلام بالعبودية؟
٨ - كيف نفهم الحديث: أنت من بمنزلة هارون من موسى.
٩ - المشيئة الإلهية.
١٠ - لا يسال عما يفعل وهم يسالون. فهم الغزالي وفهمنا.
١١ - ملاحظات رهيبة في لحظات النزاع.

# هل يضل الله المشركين ثم يعذبهم

لماذا يخطر ببال بعض الناس أن الله تعالى يقضي على الناس بارتكاب الفواحش ثم يعاقبهم على ذلك؟ إنَّ هذه الخواطر خاطئة، إن الله تعالى لا يرضى لجميع عباده في الأرض أن يضلوا، إن الله تعالى لا يرضى الكفر لعباده، وقد أرسل الرسل ليخرجوا الناس من الضلالة إلى الهدى، ولكن بعض من يتساءلون يقرءون قول الله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ﴾ **[فاطر: ٨]**، يقولون: ها هو الله يضل، ونقول إن هذه الآية الكريمة وأمثالها تشير إلى أمة من الناس ضلوا وازدادوا ضلالاً، ولذلك يعرض عنهم ويضلهم إضلالاً لا رجعة لهم منه، لقد علم الله ما في قلوبهم، وأقفل أمامهم باب الرحمة لأنهم لا يريدون هذه الرحمة مطلقاً، والآيات التي توجهنا إلى هذا الإضلال للفاسقين الذين وطّنوا أنفسهم بالأعراض عن آيات الله أو رسل الله كثيرة قال سبحانه:﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ **[إبراهيم: ٢٧]**، وقال سبحانه:﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ وقد قال سبحانه وتعالى: ذلك للرسل لكي لا يهلكوا أنفسهم نصباً ووصباً ومشقةً، فبين لهم أن الله تعالى أضلهم فلا تسعوا وراءهم نصحاً وإرشاداً فإنهم خُتم على قلوبهم فلن يرجعوا؛ والله اعلم بقلوبهم؛ إن الذين أضَلّ أولئك الله كما في الآيات أمة من الناس سماها تعالى الظالمين أو الكافرين أي لا يفارقهم الظلم والكفر، قال تعالى:﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ﴾ **[الزُّمَر: ٣٦]**، ومن يضله الله فإننا لا يجوز أن نخاف منه إنه وقوته لا شيء أمام قوة خالقنا، يجب أن نخاف الله فقط.

إن الذي يضل الناس العاديين أو الناس المؤمنين هو فرعون وأمثال فرعون

وعمله هذا مشؤوم ، قال جل وعلا:

﴿ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ (٧٩) ﴾ ولكن الله جل وعلا يقول لعباده ويطمئنهم: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ﴾؛ إن الناس الذين يختارون الإعراض والزوغان ويصرون على ذلك، وأعطوا الفرصة الكافية يُزيغهم الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ ولكن الذين أقبلوا على الله تعالى سيزيدهم من فضله، قال جل وعلا: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [إبراهيم: ٧] وقال سبحانه: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ﴾ [الشورى: ٢٠].

هذه هي صورة الهداية والإضلال، ولذلك نستطيع أن نفهم موقف المشركين يوم الدين إذ وقفوا أمام ربهم فصاروا يتحدثون عن المشيئة الإلهية كأنهم أساتذة في المشيئة، وذلك يوم عصيب، ذلك يوم عسير على الكافرين غير يسير، إن المشركين الآن يرون جهنم رأي العين، وأدركوا أنهم مواقعوها فصاروا يجادلون ويدَّعون، قال عز وجل من قائل: ﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأْسَنَاۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴾ [الأنعام: ١٤٨].

يسألهم سبحانه هل عندكم دليل يدل على أن الله تعالى رضيَ منكم أن تشركوا، ثم تحرمون وتحلّون ما تريدون! طبعاً ليس لديهم شيء من ذلك، وجاء العذاب وهم يوهمون أنفسهم بأنهم على حق فلجؤوا إلى أوهام وتمنيات وتخرصات حيث لا ينفع إلا الصدق الخالص عند الله جل وعلا.

إن مسالة المشيئة أمر مهم وتلتقي فيه عدة إرادات، الأولى إرادة الإنسان ورغباته أي يحق له أن يختار ما يشاء، وإرادة الله وهي السابقة على إرادة الإنسان، فالإنسان خلق وكانت الأرض مخلوقة قبله، وما أراده الإنسان كان بعد خلقه وبعد خلق الأرض التي سيسكن فيها ويشرب من مائها ويأكل من ثمرها ويتفق أو يختلف مع من يعايشه فيها، كل إرادة من الإنسان علمها الله قبل خلق الطبيعة وقبل خلق الإنسان ثم شاء أن تقع وربما أراد الإنسان أشياء أخرى ولم يشأ الله وقوعها فلم تقع، ثم دُوّن علم الله وإذنه تعالى بوقوع الأشياء في اللوح المحفوظ، وهذا واضح في قوله تعالى:﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا ﴾ لقد كتبت المقادير قبل خلق البشر.

من هذا الإدراك لمشيئة الله ومشيئة الإنسان والكتابة في اللوح المحفوظ نستطيع أن نفهم الحديث الشريف الذي رواه عمران بن الحصين في القضاء والقدر «قال رجل يا رسول الله أيعرف أهل الجنة من أهل النار؟ قال نعم، قال: فلم يعمل العاملون؟ قال كل يعمل لما خلق له او لما يسر له»[1].

والحديث الشريف الثاني برواية عمران بن الحصين أيضاً وهو يكمل معنى الحديث الأول «قالوا يا رسول الله أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل؛ قال النبي (ﷺ) «أما أهل السعادة فيسرون لعمل السعادة وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل الشقاوة، ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾»[2].

(١) مختصر صحيح مسلم تحقيق الألباني ٢/ ٢٤٧.

(٢) مختصر صحيح مسلم تحقيق الألباني ٢/ ٢٤٧.

## الشقي والسعيد منذ كونه في بطن أمه!

وهي من النقاط التي لا ينتهي فيها الجدل، يقول المسلم أو غير المسلم:- إذا كان المَلَك بعد ١٢٠ يوماً أي بعد أن يصبح الجنين ذا روح في الأرحام ينادي ويعلن إن هذا الجنين شقي أو سعيد، فما بال الناس يجتهدون للخلاص من النار ودخول الجنة؟ إن القضيّة قد حسمت ولمّا يخرج الجنين طفلاً إلى هذه الحياة! لا فائدة من العمل إذاً.

يقول الحديث ما يلي: «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أُمه أربعين يوماً، ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغةً مثل ذلك ثم يبعث الله ملكاً فيؤمر بأربع كلمات ويقال له: اكتب عمله ورزقه وأجله، وشقي أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح فإن الرجل منكم ليعمل حتى ما يكون بينه وبين الجنة إلا ذراع فيسبق عليه كتابه فيعمل بعمل أهل النار ويعمل حتى يكون ما يكون بينه وبين النار إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة»[1].

يتساءل الإنسان مسلماً كان أو غير مسلم: ما فائدة عملي وإرادتي ومسعاي وحركتي وسكوني؟ أنا فاقد الإرادة أمام هذا الحديث، وقد تحدد لي مكاني قبل أن أعمل أو انطق أو أومن أو أكفر، ليس لي من الأمر شيء؟

وهذا الحديث يعززه حديث أخر، أشد معنى وأعمق في التأثير، إنه ينبئ عن حال هذا الإنسان عندما يجمع الله البشر، حديث قيل في مقبرة البقيع وهي أشهر مقبرة في العالم، كان الناس في جنازة وكان بينهم رسول الله (ﷺ) قعد وقعد الناس من حوله وجعل ينكث الأرض بعود صغير معه، والناس تتأمل رسول الله يريدون أن يعرفوا ما سيقول في مثل هذه المواقف المحزنة القاهرة، فقال الرسول (ﷺ): «ما

(١) كتاب اللؤلؤ والمرجان ص ٣٩٣.

منكم من أحد ما من نفس منفوسة إلا كتب مكانها من الجنة والنار وإلا قد كتب شقية أو سعيدة» هذا ما سمعه علي بن أبي طالب من قول النبي (ﷺ). ويرسخ هذا المفهوم الحديث الذي ذكر في المحاججة بين آدم وموسى عليهما الصلاة والسلام فهو حديث في القضاء والقدر، وقد أوردنا الحديث فيما سبق، وقد أُنبيء الرسول بذلك الموقف لينبئ أمته؛ آدم أخطأ وقد علم سبحانه بأنه سيخطئ، وأذن بهذا الخطأ، وَعَلّم آدم كيف يستغفر ويتوب، وتاب سبحانه عليه، كان آدم في تجربة وغلب عليه إبليس بِحيَلِهِ وقسمه، وهيئت الأرض لاستقبال الإنسان، وهي التي تناسب طبيعته، وهي التي خلقت قبل خلق آدم، وأحاط علمه سبحانه بما سيفعله آدم وما سيفعله جميع الخلق قبل خلق الأرض بخمسين ألف سنة، وكتبت المقادير فنزل آدم إلى الأرض على قدر الله، كما رأى موسى عليه السلام النار من بعد وكان في حاجة للدفء كل ذلك بقدر الله، فذهب إلى مكان النار ليسأل أين الطريق وليحضر معه قبساً من النار للدفء، قال سبحانه:﴿جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ﴾.

والإجابة عن كل هذا بسيطة وسهلة، إن الله تعالى خلق الإنسان وخلق معه قدرته على الاختيار، وقد ورد ذلك في قوله تعالى:﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ أي هداه بواسطة الرسل عليهم الصلاة والسلام إلى ما يرضاه الله تعالى وإلى ما لا يرضاه، إنهما طريقان واضحان؛ والقرآن يشتمل على مئات الآيات تبين ما يرضاه جل وعلا، كما يشتمل على آيات تحذّر عما لا يرضاه وتنهى عن الكذب والسرقة والغش وسب المسلم وسب الكافر وإخلاف العهد وإخلاف الوعد والميثاق، و...و....

كما ورد في كتاب الله قوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾، فإذا كان الإيمان يصدر عن الإنسان باختياره، والكفر يصدر عنه باختياره

فالأَوْلى أن تكون الأعمال الأخرى وهي أقل شاناً من الإيمان والكفر تصدر باختياره.

وقد اشتبه على بعض الدارسين آيات تبيّن أن الله يُضل أو يهدي، يشرح صدر فلان ويضيّق صدر فلان، كل هذا موجود وتسنده آيات كريمة، ولكن السياق في كل هذه النقاط يدل على أن الإنسان بدأ بالخير فزاده الله خيراً أو بدأ بالشر واستمرأ الشر فزاده تعالى شراً.

أن كل شيء عند الله عز وجل بمقدار.

## المسلمون جميعاً في الجنة في سورة فاطر

ما أكثر ما سمعت في المجالس العادية أو مجالس المناسبات أو مجالس العزاء حواراً في أية سورة فاطر برقم ٣٣ ؛ إنها بحق آية مبشرة لكل مسلم توجه إلى الله ليعبده ويطيعه، ولكل مسلم أخطأ لأنه ارتكب أخطاء صغيرة أو أخطاء كبيرة، وإن هذه الآية تفصل القول في نتائج المسلمين جميعاً، وهي تفتح الطريق لغير المسلمين بأن يبادروا إلى معرفة هذه الآية ثم الانتفاع بنصوصها؛ ويزيد من فضلهم أن يعرفوا الآيات التي حولها، إنها حديقة إسلامية نضرة.

قال سبحانه: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾.

لقد سعد المؤمنون إذ بُشروا بدخول الجنة ـ والمؤمنون هنا تشمل كل من ورث القرآن الكريم آل ١١٤ سورة أو بعضها حتى السورة الواحدة تعطيه حق الوراثة، وقد بينت الآيات سعادة هؤلاء المؤمنين، ثم التفتت الآيات لأولئك البشر الذين لم يَرثوا القرآن كله ولا بعضه ولا أي شيء منه فحسمت أمرهم قال جل وعلا: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴾ انتهى الموقف، وانقسم الناس إلى قسمين، لقد بشرت الآية جميع المسلمين على اختلاف أعمالهم وأنذرت الكافرين على اختلاف أعمال الكفر، المسلمون ثلاثة أنواع، **أولها** من يقترف الكبائر وهو أقل الناس أملاً

بدخول الجنة، ولذلك كانت البشرى له قبل غيره لتبعد عنه البؤس والحزن والقلق، وإن ترتيب الوارثين بهذه الصورة: الظالم – والمقتصد- والسابق بالخيرات تدل على رضا الله سبحانه عن هؤلاء الوارثين الثلاثة وأولهم (الظالم) الذي قلق كثيراً بسبب فعله المنكر، ورأى بعض المفسرين أن الكبائر تقع ضمن المنكر وظلم النفس.

**وثانيها** إنسان معتدل في إيمانه، لا يصيب الكبائر ولكنه يصيب الصغائر، وربما نشأ عن ذلك الاقتصاد في الدين أنه لم يكن شديد الحرص على القيام بفرائض الإسلام وسننه، إننا لم تُحدد معنى مقتصد بدقة، فهي تقبل جميع المعاني المعتدلة دون إفراط أو تفريط، وقال كثير من الذين تداولوا التفاسير إنه قد يعنى بهم من تساوت حسناتهم وسيئاتهم، وإني كدارس لهذه الآية ومطلع على عدة تفسيرات لها لم أجد مسوغاً لترجيح حال على حال، وأما **الفئة الثالثة** فهي السابقون بالخيرات، الذين اجتنبوا الكبائر، وأقاموا الفرائض، واغتنموا غناهم فتصدقوا واغتنموا شبابهم فأعانوا واغتنموا علمهم فنفعوا، وجاءت عبارة بإذن الله لتشمل الثلاثة لأن الإذن من الله صدر قبل خلق الأرض فالبشرى تعم الفئات الثلاث.

## ما هي تمنيات الأنبياء؟ وما أثر الشيطان فيها؟

هل يقرأ الأنبياء كلاماً وسوس به الشيطان على الناس مؤمنهم وكافرهم؟ هل يحدث هذا الغلط أو الخطأ، ثم يتعذر النبي عما قرأه بعد أن يأتي جبريل ويقول للنبي: أنت فعلتَ شيئاً من تلقاء نفسك ولم أبلغه لك ولا قرأته عليك، وماذا ينفع الاعتذار بعد أن يكون الكلام الخاطئ الذي قرأه النبي قد شاع بين الخَلْق؟ هل يمكن أن يحدث هذا؟.

لقد تجاوز بعض الرواة في تفسيراتهم عند شرحهم لسورة النجم، فقد نزلت سورة النجم ومن ضمنها الآيات التالية قال سبحانه: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴾ الآيات من **[النجم: ١٩ - ٢٢]**.

وقد أدخل المشركون آيات من عند أنفسهم لتعظيم اللات والعزى ومناة، فقالوا (وان شفاعتهن لترتجى)، وسجد الرسول (ﷺ) وسجد نادي قريش معه، وتفرقوا والمشركون راضون جداً لأن النبي ذكر ألهتهم بخير وسجد لها، فسجدوا لله.

قال الشيخان المفسران في كتابهما (زبدة التفسير) وهما الشوكاني والأشقر، (إن النبيّ (ﷺ) لما شَقّ عليه إعراض قومه تمنى في نفسه ألاّ ينزل عليهم شيء ينفّرهم منه لحرصه على إيمانهم، وذات يوم كان الرسول (ﷺ) يقرأ سورة النجم فلما بلغ قوله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴾ فجرى على لسانه مما ألقاه الشيطان عليه، أي:- تلك الغرانيق العُلا وإنّ شفاعتها لترتجى ـ فلما سمعت قريش ذلك فرحوا فلما سجد الرسول (ﷺ) في آخرها سجد معه جميع من في النادي من المسلمين والمشركين فتفرقت قريش مسرورين بذلك، وقالوا ذكر

محمد آلهتنا بأحسن الذكر فأتاه جبريل فقال: ما صنعت؟ تلوت على الناس ما لم آتك به عن الله، فحزن رسول الله حزناً شديداً، فانزل الله هذه الآية، ومعنى ألقى الشيطان في أمنيته أي في قراءته، ومعنى تمنىّ: قرأ.

وذكر الشيخان إنّ البيهقي قال هذه القصة غير مثبته، وقال ابن خزيمة إنها من وضع الزنادقة وقال خلق من المفسرين إن طبيعة الآية تناقض ما حشوا فيها.

انظر لرقم الآية ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴾ إنهُ رقم ١٩، واقرأ ما قبل هذه الآيات فستجد أنه سبحانه يمدح رسوله الذي رأى جنة المأوى فرأى مكانه في أعلى عليين ورأى ما فوق السماوات ورأى جبريل بجانبه وما زاغ بصره وما طغى، ثم يذكر تعالى ثلاثة حجارة صنعها الناس بأيدهم وهي لا تقدم ولا تؤخر ولا تسمع ولا تنطق ولا تتحرك من مكانها الذي تثبت فيه، يذكرها سبحانه ليدركوا ما هم فيه من سخف العبادة وجاءت الكلمات معبرة عن ازدراء تلك الأصنام، أفرأيتم حجارتكم الثلاثة، وأضافت الآية كلمة الثالثة الأخرى على سبيل أنكم تعدون أشياء مجرد عدد، ولكنكم تعدونها آلهة ومؤنثة فما نسبتم ما هو مؤنث لله وجعلتم ما هو مذكر لكم هل هذه قسمة يا أهل قريش؟ ما هذه الآلهة إلا أسماء ليس لها أي قيمة لقد ابتدعتم أسماءها من لدن أنفسكم وليس لكم برهان على صحتها، وانظروا إلى محمد فقد جاءه الهدى فاتركوا الهوى واتركوا الكذب واتركوا التصورات والتمنيات إن أردتم النجاة، إنّ سياق الآيات لغةً ومعنى يجعل قارئ القران يحتقر أي ادعاء يخالف أمر الله؛ لأنه لا دليل له ولا برهان؛ ونِعم قوله سبحانه إذ يقول:﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾.

إذاً كيف أفسر (إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته)، يقول الشيخ السعدي في كتابه (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) يقول:- تمنى: قرأ قراءته التي

يذكر بها الناس ويأمرهم وينهاهم، ويقول: ألقى الشيطان في أمنيته أي في قراءته من طُرُقه ومكائده ما هو مناقض لتلك القراءة مع أن الله تعالى قد عصم الرسل فيما يبلغون عن الله وحفظ وحيه أن يشتبه أو يختلط بغيره، ولكن هذا الإلقاء من الشيطان غير مستقر ولا مستمر إنما هو عارض يعرض ثم يزول).

كيف عرف الشيخ رحمه الله أن الأمر غير مستقر ولا مستمر؟ لقد جاء في هذه الاية حرف (ثم) الذي يفيد الوقت الطويل، وكيف عرف أن (تمنّى) معناها قرأ، إن التمني شيء والقراءة شيء آخر، وليس لنا بد من وضع هذه الآية نصب أعيننا ليتضح لنا ما ورد في سورة النجم وما أضافه الزنادقة على تلك الآيات المتعلقة بالغرانيق ومدح الرسول للغرانيق وسجوده بعد ذلك لله ولها، قال سبحانه في سورة الحج أية ٥٢ ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٥٢ لِّيَجۡعَلَ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ٥٣ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤۡمِنُواْ بِهِۦ فَتُخۡبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾.

إذا رضينا بان تكون كلمة (تمنى) بمعنى قرأ، فإن قراءات كثيرة للرسول (ﷺ) تكون من إلقاء الشيطان، ونضرب المثل الأتي بتغيير كلمات بكلمات دون أن نمسَّ الأسلوب والتركيب لنرى خطر هذا التفسير، فإنه إن قال أحدنا «هذا: الطفل قرة عين والدته، إنه كلما أشار إلى الطعام قدمت له والدته الطعام» ونعيد المثل وفقاً لأسلوب الآية فنقول:- ما نظرتْ هذه الأم إلى ابنها إلا إذا طلب شيئاً أعطته إياه إذن العطاء مستمر وكثير، إن الأسلوب يفيد التكثير، فكأننا نتصور الشيطان مترصداً بالرسول، وكلما قرأ الرسول شيئاً أدخل الشيطان في قراءته! إن هذا

مخالف لطبيعة الرسالة النقية التي لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها؛ إن كلمة (تمنى) لا تتجاوز المعاني التي عرفت لها وهي خواطر النفس بأن تصبح كذا أو تمتلك كذا، أو تفعل كذا أو تنال كذا، إنها أفكار في داخل النفس، إنها لغة داخلية في القلب والعقل وليست ألفاظاً قيلت، وتمنيات الإنسان قليلة، وتمنيات الأنبياء قليلة، لأنهم منهمكون في واقع الدعوة والعقيدة والشرح والبذل، ووصف الطاعة لرب العالمين ووصف الآخرة والحساب، فإنهم في شُغل عن التمنيات، لا نبتعد عن المعنى الأصلي للكلمة ليتلاءم ذلك المعنى مع تفسيرنا للآية.

إنَّ باب الاجتهاد مفتوح بل أبوابه مشرعة لكل مقتدر وكلّ مَنْ لديه علم بذلك في لغته ونحوه وفهمه، وحفظه للقران والحديث.

ربما نفسر الآية بما يلي (كل نبيّ أو رسول يحتمل أن يتمنى، وهذا التمني شيء ما يخطر ببال الناس، والرسل لهم طبيعتهم البشرية فقد يتمنون وإن كان هذا التمني ليس محموداً فيهم، فيغتنم الشيطان الفرصة ويهيئ للنبي من التمنيات ما يحلو، ومنها ما هو بعيد عن شرع الله وأمر الله وعظمة الله، فينزل جبريل ويخبر النبي (ﷺ) بهذا البعد عن الحق، وينسخه الله من فكر النبي وخاطره، ويبقى الإيمان خالصاً وسائغاً.

وهذه الخواطر تنتاب المنافقين والمرتابين فيضلوا بها كثيرا، وهذه الخواطر تلم بالمؤمنين، فيحدثون بها الرسول (ﷺ) وينقحها لهم ويهديهم لحلولها التي عَلَّمه الله تعالى إياها ويعلّمها الرسول بعد ذلك للمؤمنين والمسلمين فيزدادوا إيماناً إذ علموا أن تمنياتهم وما يخطر ببالهم يعلمه الله، وأن أوامر الله تعالى فيها كذا وكذا، ولذلك يزدادون إيماناً وصلابة، وتخشع قلوبهم للذكر، ويتمسكون بهذا الصراط المستقيم الذي أحاطهم به رسول الله علماً ودراية.

## هل يخرج أهل النار من النار؟

ويتبع هذا السؤال سؤال أخر وهو (وهل يخرج أهل الجنة من الجنة)؟

هـذان السـؤالان مهمـان جـداً، لان سـورة هـود أوردت كلمـة (خالـدين) للأشقياء وللسعداء، ثم جاء استثناءان لهذا الخلود ولعلنا ندرس الآيـات مـن ١٠٦ – ١٠٨ فنلاحظ كيف يكون الخلود أو الخروج، قال سبحانه:﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَشَهِيقٌ ١٠٦ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ١٠٧ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۖ عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ﴾. هنا خلود إلا ما شاء ربك وهناك خلـود إلا ما شاء ربك، إذاً هل يقطع الخلود؟

لا أريد الإكثار من التفاسير التي وردت عن دخول أهـل النـار ذلـك المسـتقر الشديد والمقام الأليم، ولا عن التفاسـير مـن دخـول أهـل الجنـة طيـبين خالـدين، سأذكر تفاسير قليلة وهي تدل على صعوبة الإحاطة بمعاني هذه الآيات الثلاث مـا لم تكن لغتنا العربية معينة على الحل.

قال الشيخ السعدي: (خالدين فيها أي في النار أبداً إلا المدة التي شـاء الله ألا يكونوا فيها وذلك قبل دخولها؛ فالاستثناء راجع إلى ما قبل دخولهـا فهـم خالـدون فيها جميع الأزمان سوى الزمن الذي قبل الدخول فيها).

وقال الشيخ: (وأما الذين حصلت لهم السـعادة والفـلاح والفـوز فإنـه دائـم مستمر غير منقطع بوقت من الأوقات، نسال الله الكريم من فضله).

إذاً ترك الشيخ الاستثناء في الآية الثانية، كأنه قال إلا الفترة الـتي كانـت قبـل دخولها؛ واني أرى أنَّ الشيخ رحمه الله لم تتضح له فكرة الاسـتثناء، فـنحن نسـتثنى

من شيء موجود نسميه المستثنى منه، وهو الشيء الكبير الذي نأخذ منه شيئاً أقل، نقول: بعتُ كيس السكر إلا ثلثه، وحضر الموظفون إلا ثلاثة، و...و...، شيء كثير ثم نستثني منه بعضه قال الشيخ (قاله جمهور من المفسرين) أي أن كثيراً من المفسرين ذكروا ذلك، وقد نقل عنهم الشيخ، وبذلك وضع الشيخ بين أيدينا رأياً عاماً للمفسرين، ولكنَّ هذا القول لم يراع اللغة ومعنى الاستثناء، وأظن أن الاستثناء يخالف ما ذكره الشيخ.

دع هذا، وانظر إلى التفسير المشهور جداً وهو تفسير ابن كثير ، فإننا نجد فيه ما يلي: (وقد اختلف المفسرون في المراد من هذا الاستثناء على أقوال كثيرة نقل كثيراً منها ابن جرير رحمه الله وأختار:- أن الاستثناء عائد على العصاة من أهل التوحيد ممن يخرجهم الله من النار بشفاعة الشافعين، ثم تأتي رحمة أرحم الراحمين فتخرج من لم يعمل خيراً قسط وقال يوماً من الدهر (لا اله إلا الله) كما وردت بذلك الأخبار الصحيحة المستفيضة عن رسول الله (ﷺ) ولا يبقى بعد ذلك في النار إلا من وجب عليه الخلود فيها).

إنَّ هذا الأمر كما ساقه ابن كثير واضح ويسهل استيعابه، ولكن الذي يتلو الآية التي تليها مباشرة عن أهل الجنة يتوقف ويفكر ملياً، ويقلب أخماساً في أسداس، قال سبحانه:﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾، إنه يقول: إننا نعلم أنّ السعداء دخلوا الجنة وهم فيها خالدون، فماذا يعني الاستثناء مع هذه الأمة المؤمنة التي دخلت الجنة، هل سيخرج بعض من أهل الجنة إلى مكان أخر؟

وقال ابن كثير: (معنى الاستثناء هنا أن دوامهم فيما هم فيه من النعيم ليس أمراً واجباً بذاته، بل هو موكول إلى مشيئة الله تعالى، فله المنةُ عليهم دائماً عطاء غير

مجذوذ لئلا يتوهم متوهم بعد ذكر المشيئة أن ثمة انقطاعاً أو لبساً أو شيئاً، بل ختم له بالدوام).

ولكننا نقول: كيف يدخل المؤمنون الجنة ويرون نعيمها يتحقق أمام أعينهم ولم يدخلوها إلا بعد المواقف العظيمة قبل دخولها كالملائكة التي بشرتهم بالجنة، وأمر الله عند ورود جميع البشر إلى النار بإخراجهم إلى الجنة، وإيتاؤهم كتبهم بأيمانهم، بل يرون الله فيها جل وعلا، نقول:كيف يتوهمون شيئاً غير ما يرون، إن الوهم في الجنة لا سبيل له، وقد علم المؤمنون الموحدون بل المسلمون المخلصون أنّ المشيئة لابست قلوبهم وأفئدتهم ونفوسهم، إنّ موقع الاستثناء لم تظهر فائدته لإمام المفسرين أو لأحد أئمتهم، وسبحان من أوحى لرسوله الكريم محمد (ﷺ) بأن يقول: «كل ابن آدم خَطّاء، وخير الخطائين التوابون» إن كل إنسان معرض للنسيان أو السهو، ولسنا الآن بصدد ما يقع منا أو يقع لنا من أخطاء، فالآية الكريمة تشغلنا ولذلك ننتقل إلى وجهة نظر أخرى.

قال المفسر الشوكاني كما في كتابه الذي حققه الدكتور محمد الأشقر، قال (إلا ما شاء ربك أي من تأخير قوم عن ذلك، وقيل إلا العصاة من المؤمنين فيخرجون فيها ويبقى فيها الكفار، وعن عمر قال: لو لبث أهل النار في النار قدر رمل عالج لكان لهم على ذلك يوم يخرجون فيه) وقال أيضاً (إلا ما شاء ربك من تأخرهم في قبورهم وفي المحشر من دخول الجنة)!!

هل هذا له صلة بنص الاية؟ الاية تشير إلى المؤمنين في الجنة، إنهم الآن في الجنة، وتصف حالهم فيها، ولا تتدخل فيما قبل وصولهم إلى هذه النعم الخالدة، كما أشارت إلى أهل النار التي هم فيها الآن، وأشارت للعذاب الدائم، ولا ترتبط بصلة بما قبل دخول النار وأقول: إن عدم التدقيق في معنى الاستثناء الوارد في الآية هو الذي أوقع في اللبس، فجعل المفسرين لا يصفون أهل هذه وتلك بالوصف

الدقيق الملازم.

وأما نسبة القول إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (ﷺ)، فقد نسب القـائلون إليه أو المتقولون أشياء كثيرة بعيدة عـن الحـق، إن لغـة عمـر وتمثلـه الحـق للقـرآن الكريم ومشاهدته لرسول الله (ﷺ) وهو يفسر ويطبق، تجعله في مـأمنٍ مـن تفسـير موقف أهل النار وموقف أهل الجنة، إنه كما زعموا رأى المشركين سيخرجون مـن النار، ولم يقولوا رأيه في الجزء الأخر أي هل يخرج أهل الجنة من الجنة، بلى إن هذا الرأي المنسوب لعمر يخالف الحديث الشريف «ليس بعـد هـذه الـدار إلا الجنـة أو النار».

ويرى المؤلف أن دراسـة كلمـة (إلا) تغنـى عـن اجتهـادات كـثيرة، إنَّ هـذه الكلمة من أدوات الاستثناء تعني عند قبائل عربية (غـير)، فكلمـة غـير هـي كلمـة مرادفة لكلمة (إلا) ولكن كما يقول الجاحظ في المترادفات إنها تختلف في شيء مـن المعنى، فكيف نفسر الآية الآن بعد أن نضع كلمة (غير) بـدل كلمـة (إلا)؟ يصـبح المعنى، بكل بساطة وسهولة ويسر كما يلـي:- إن الله تعـالى اعـد للسـعداء جنـات دائمة للنعيم، كما أعد أشياء أخرى غير الجنات، وقد قرانا في الأحاديـث الشـريفة أن المؤمنين سيرون الله تعالى يوم القيامة رؤية واضحة عظيمـة، بـل إننـا نفهـم مـن قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ أن الرؤية ستكون من أكبر النعم على أهل الجنة؛ وهذا العطاء لن ينقطع.

وأعد الله تعالى للأشقياء ناراً للعذاب كمـا أعـد أشـياء أخـرى للعـذاب غـير النار، إنها تضاف إلى عذاب النار، ولستُ أحيط بهذه الأنواع الأخـرى علـى وجـه اليقين، ولكن هذه الأنواع، وعذاب النار، ستلازم الأشقياء وسـيظلون خالـدين في العذاب وبخاصة عذاب جهنم خلوداً لا ينقطع.

# ما هي الأحاديث المتناقضة؟

نتوقف أحياناً عند بعض الأحاديث التي نلمس فيها تناقضاً، ونتساءل ما سر ذلك، إن الرسول (ﷺ) مأمور، وما هو إلا مبلغ، وإن هو إلا وحي يوحى، فكيف يقول أحاديث يعارض بعضها بعضاً، وسأذكر هنا عدة أحاديث يظهر فيها التناقض، فكيف نتصرف إزاءها؟ لا أريد إجابات تذهب إلى أعماق الكتب كما تذهب إلى أقوال مطولة ومعمقة للعلماء، فإنا من أوساط الناس الذين يحتاجون إلى إجابات سهلة وسريعة وواضحة ومحدودة، فلنبدأ بذكر هذه الأحاديث ثم ننظر كيف نتعامل معها؟ إننا متأكدون أن رسول الله (ﷺ) لا يقع في مثل هذه الأخطاء المتناقضة لأنها أي الأحاديث الشريفة كمعانٍ معينة وردت من الله عز وجل، ولن يكون فيها أي تناقض، ولكنا نجد ما يلي:-

**١- الصلاة في الكعبة:-**

أ- قال بلال (رضي الله عنه): دخل الرسول (ﷺ) الكعبة ومعه عدد من الصحابة وصلى. قولُ بلال يدل على جواز الصلاة في داخل الكعبة، وأن الحائط أي حائط من الكعبة يمكن التوجه إليه.

ب- وقال ابن عباس (رضي الله عنه): دخل الرسول (ﷺ) الكعبة فدعا ولم يُصلِّ، ويفهم بعض المسلمين أنه لا يجوز أن نصلي داخل الكعبة، ولكن يجوز الدعاء.

جـ- وقال عبد الله بن أوفى: طاف النبي (ﷺ) بالبيت وصلى خلف المقام ولم يدخل الكعبة. [كتاب اللؤلؤ والمرجان ص ١٨٥].

**٢- سفر المرأة:-**

(أ) روى ابن عمر أن النبي (ﷺ) قال: «لا تسافر المرأة ثلاثاً إلا مع ذي محرم»، المقصود هنا مدة السفر ثلاثة أيام.

(ب) وروى أبو هريرة أن النبيّ (ﷺ) يقول: لا يحل لامرأة تؤمن بـالله واليـوم الأخر أن تسافر مسيرة يوم وليلة ليس معها حرمة.

(جـ) وروى أبو سعيد أن النبي (ﷺ) أمر ألا تسافر المرأة مسـيرة يـومين لـيس معها زوجها أو ذو محرم.

(د) حديث ابـن عبـاس (رضي الله عنه) لا تسـافرن امـرأة إلا ومعهـا محـرم. [اللؤلـؤ والمرجان ص ١٨٧].

### ٣- هل يعذب المسلم بالنار؟

يقول فقهاء وباحثون نعم، ونجد بعض الأحاديث تقول: مـن شـهد أن لا إلـه إلا الله وأن محمداً رسول الله دخل الجنة، يقول فقهاء وباحثون إنهم سيعذبون فـترة ثم ينقلون إلى الجنة، ويستشهدون لذلك بالحديث التـالي ، وهـذا عنوانـه في كتـب الحديث «خروج الموحدين من النار»، وقد سماهم جابر بن عبد الله (الجهنميين).

**عن انس بن مسعود** (رضي الله عنه) أن رسول الله (ﷺ) قال: آخر من يدخل الجنة رجل يمشي مرة ويكبو مرة وتسفعه النار مرة أخرى فإذا ما جاوزها التفـت إليهـا فقـال: تبارك الـذي نجـاني منـك، لقـد أعطـاني الله شـيئاً مـا أعطـاه أحـداً مـن الأولـين والآخرين، فترفع له شجرة أحسن من الأولى فيقول أيْ ربّ أدنني من هذه الشجرة لأستظل بظلها، وأشرب مـن مائهـا، فيقـول الله عـز وجـل، يـا ابـن آدم لعلـي إن اعطيتكها سألتني غيرها؟ فيقول لا يا رب ويعاهـده ألا يسـأله غيرهـا، وربـه تعـالى يعذره لأنه يرى مالا صبر له عليه، فيدنيه منها فيستظل بظلها ويشرب من مائها ثم ترفع له شجرة أحسن من الأولى فيقول.............. ثم ترفع له شجرة عنـد بـاب الجنة هي أحسن من الأوليْين فيقول........ثم يدنيه من الجنة فإذا أدناه منها سمـع أصوات أهل الجنة فيقول أَيّ رب أدخلنها فيقول سبحانه: يا ابـن آدم مـا يصـريني منك؟ أيرضيك أن أعطيك الدنيا ومثلها معها؟ قال يـا رب أتسـتهزئ مـني وأنـت

رب العالمين؟... فيقول جل وعلا: إني لا أستهزئ منك ولكني على ما أشاء قادر»[1]

يقولون هذا الحديث شاهد على دخول النار.

ويقول غيرهم إن هناك أحاديث عديدة تدل على دخول الجنة وأنه لا تمحشه النار إن كان مؤمناً، وهذه الأحاديث التالية إنما هي بعض من تلك الأحاديث:-

روى **جابر بن عبد الله** أنه أتى النبيَّ (ﷺ) رجلٌ فقال يا رسول الله ما الموجبتان؟ قال «من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ومن مات يشرك بالله شيئاً دخل النار»[2].

وعن **أبي الأسود الديلي** أن أباذر حدثه أنه قال: أتَيْتُ النبي (ﷺ) وهو نائم عليه ثوب ابيض، ثم أتيته فإذا هو نائم، ثم أتيته وقد استيقظ فجلست إليه فقال: ما من عبد قال لا إله ألا الله، ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة، قلت وإن زنى وإن سرق؟ قال وإن زنى وإن سرق، قلت وإن زنى وإن سرق؟ قال وإن زنى وإن سرق، ثلاثاً ثم قال في الرابعة: على رغم أنف أبي ذر، قال فخرج وهو يقول: وإنْ رغم أنفُ أبي ذر»[3]، **وعن الصنائجي** أنه زار عبادة بن الصامت في مرضه الذي توفي فيه فبكى الصنائجي متأثراً بمرض أخيه، فقال عبادة بن الصامت «والله إن استشهدت لأشهدن لك وإن شفعت لأشفعن لك، أحدثك الآن بما سمعته من رسول الله (ﷺ)ولم أحدثه، ولكن أجد نفسي تفيظ فأقول الحديث تأثماً قال رسول الله ﷺ (من قال لا اله إلا الله صادقاً بها قلبه حرمه الله على النار)».

---

(١) مختصر صحيح مسلم للألباني ١/ ٣١.

(٢) مختصر صحيح مسلم للألباني جـ١ ص ٢٠.

(٣) المرجع نفسه.

ولكن ماذا نقول في أحاديث نفهم منها المعنى العكسي لما سبق، ماذا نفهم من هذا الحديث الذي رواه عبد الله بن مسعود (ﷺ) تحت هذا العنوان في كتاب مختصر صحيح مسلم: سباب المسلم فسوق وقتاله كفر.

قال عبد الله بن مسعود، قال رسول الله ﷺ:- «سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر»! لقد علمنا من كتب التاريخ الإسلامي للطبري وابن الأثير والمسعودي وابن كثير وغير هؤلاء أن المسلمين قاتل بعضهم بعضاً في عدة معارك، وقتل بعضهم بعضاً في تلك المعارك، فماذا نقول؟

**ملاحظة:** وأستبق القول لأبين أن الأوراق التالية فيها ذكر لتلك المعارك وأهلها.

**٤- خوخة أبي بكر ـ وباب عليّ.**

(أ) روى إمام الحديث مسلم كما في كتاب مختصر صحيح للألباني قول رسول الله (ﷺ) وهو (لا تُبقَيَن في المسجد خوخةٌ إلا خوخة أبي بكر)

وهذه العبارة وردت على لسان رسول الله (ﷺ) ضمن حديث شريف تكلم فيه رسول الله عن موته، قال كما في رواية مختصر صحيح مسلم عن أبي سعيد ألخدري (ﷺ) أن رسول الله (ﷺ) جلس على المنبر فقال «عبد خيّره الله بين أن يؤتيه زهرة الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عنده (فبكى أبو بكر) وبكى وقال: فديناك بآبائنا وأمهاتنا، قال فكان رسول الله هو المخيّر وكان أبو بكر أعلمَنا به، وقال رسول الله ﷺ: «إنّ أمَنّ الناس عليّ في ماله وصحبته أبو بكر ولو كنتُ متخذاً خليلاً لاتخذتُ أبا بكر خليلاً، ولكن أخوة الإسلام، لا تُبْقَيَن في المسجد خوخة إلا خوخة أبي بكر»[1].

(١) مختصر صحيح مسلم ٢/ ١٩٠ للألباني.

(ب) وأما باب علي فقد روى السيوطي في كتابه (الحاوي للفتاوي) فقال «أخرج الطبراني عن جابر بن سمرة قال: أمر رسول الله (ﷺ) بسد الأبواب كلها غير باب عليّ فقال العباس: قدر ما أدخل أنا وحدي وأخرج؟ قال: ما أُمرتُ بشيء من ذلك فسدها كلها غير باب عليّ»[1].

وروى السيوطي أيضاً قال «وأخرج النسائي بسند صحيح عن ابن عمر أنه سئل عن على فقال: انظر إلى منزلته من رسول الله (ﷺ) فإنه سَدّ أبوابنا في المسجد، وأقر بابه»[2].

وروى السيوطي أيضاً فقال «أخرج احمد عن ابن عمر قال: أُعطي عليّ ثلاث خصال: زوّجه رسول الله ابنته وولدت له، وسَدّ الأبواب إلا بابه في المسجد، وأعطاه الراية يوم خيبر».

**٥- الزراعة ـ كراء الأرض أجائز أم باطل**

إذا كان لي ارض فعليّ أن أزرعها، إن ترك الأرض من دون زرع فيه أذى لمعيشة الناس، وإذا لم أزرعها فماذا أفعل؟ إما أن أعطيها لأخ ليزرعها أو أن أُكريها له، فهل كراء الأرض حلال أو حرام أو مكروه؟ يوجد عدة إجابات لذلك، وربما يحس أحدنا أن هذا عكس هذا، وإليكم البيان:-

أ- لا يجوز كراء الأرض:- قال جابر بن عبد الله، قال النبيّ (ﷺ) «مَنْ كانت له أرض فليزرعها أو ليزرعها أخاه، ولا يكرها»[3] إذاً الأمر ألاّ يكرها، إما أن يَزرع أو يُزرع.

ب- قال رافع بن خديج «نهانا رسول الله (ﷺ) عن أمرٍ كان لنا نافعاً،

---

(١) الحاوى للفتاوى جـ ٢ ص ١٥.

(٢) المرجع نفسه.

(٣) مختصر صحيح مسلم ٢/ ١٧ – ١٨.

وطواعيةُ الله ورسوله (ﷺ) أنفع لنـا، نهانـا أن نحاقـل الأرض فنكريهـا علـى الثلث والربع والطعام المسمى وأمر رب الأرض أن يزرعها أو يزرعها، وكره كراءها وما سوى ذلك»(١).

كان النهي للتكريه، وليس للتحريم، فمن كرى أرضه فقد وقـع في الكراهيـة، فمن ترك المكروه أثيب ومن فعل المكروه لم يعاقب.

جـ- قال عمر لطاووس: «يا أبا عبد الرحمن لو تركت هذه المخابرة فإنهم يزعمـون أن النبي (ﷺ) نهى عن المخابره، فقال طاووس ـ أَيْ عمرو! أخبرني أعلمهـم بذلك يعني ابن عباس (ﷺ) أن النبي (ﷺ) لم ينه عنها، إنما قال: يمـنح أحـدكم أخاه خير له من أن يأخذ عليها خرجاً معلوماً»(٢)، إنّ هـذا الحـدث يشـير إلى الندب، لا يتناول التحريم ولا الكراهية، بل يحث على المنح والعطـاء، فمـن منح وأعطى فقد اكتسب خيراً، ومن لم يمنح ولم يعط فلا إثم عليه.

**٦- الغُسل:-**

متى يجب الغُسل؟ إذا أُعجل رجل عن امرأته ولم يُمْنَ هل يغتسل؟ إذا جـامع رجل امرأته وأكسل ولم يُمن هل يغتسل؟ هل المخالطة توجـب الغُسـل؟ يوجـد في ذلك عدة آراء، وهذه الأحاديث الشريفة تبين ذلك، ونلحظ في الوهلة الأولى أنها لم تتفق مع بعضها بعض.

أ- قال أبو سعيد الخدري: «خرجتُ مع رسـول الله (ﷺ) يـوم الاثنـيْن إلى قبـاء حتى إذا كنا في بني سالم وقف رسول الله (ﷺ) علـى بـاب عتبـان فصـرخ بـه فخرج يجر إزاره فقال رسول الله «أعجلنا الرجل»، فقال عتبان يا رسـول الله ارايت الرجل يُعجل عن امرأته ولم يُمن ماذا عليه؟ قال رسول الله: «إنما الماء

(١) المرجع نفسه.

(٢) مختصر صحيح مسلم ٢/ ١٧ - ١٨.

من الماء»[1].

ب- نسخ هذا الحديث الماء من الماء؟ قال أبو موسى: اختلف في ذلك رهط المهاجرين والأنصار فقال الأنصاريون:لا يجب الغسل إلا من الدفق أو من الماء، وقال المهاجرون بل إذا خالط فقد وجب الغسل، قال فقال أبو موسى: فأنا أَشفيكم من ذلك، فقمت فاستأذنت على عائشة فأذن لي، فقلت لها يا أماه أو يا أم المؤمنين: إني أريد أن أسالك عن شيء وأنا أستحييك، فقالت لا تستحي أن تسألني عما كنتَ سائلاً عنه أمك التي ولدتك، فإنما أنا أمك، قلت: فما يوجب الغسل؟ قالت على الخبير سقطت، قال رسول الله (ﷺ): إذا جلس بين شعبها الأربع ومس الختان الختان فقد وجب الغسل»[2] .

إذاً لم يشترط الحديث نزول المني حتى يغتسل.

جـ- روى جابر شيئاً ثالثاً عن الغسل أن المخالطة ولو أُكسل توجب الغسل، قال جابر بن عبد الله عن عائشة زوج النبي (ﷺ)، قالت إنَّ رجلاً سَأَل رسول الله (ﷺ) عن الرجل يجامع أهله ثم يكسل هل عليهما الغسل؟ وكانت عائشة جالسة، فقال رسول الله (ﷺ):- إني لأفعل ذلك أنا وهذه ثم نغتسل»[3].

(١) مختصر صحيح مسلم للألباني ١/ ٤٩.

(٢) مختصر صحيح مسلم للألباني ١/ ٤٩.

(٣) مختصر صحيح مسلم للألباني ١/ ٤٩.

## لا مشتبهات في الأحاديث الشريفة

قال الإمام المحدث ابن خزيمة كلمة رائعة في هـذا المجـال: قـال: لا أعـرف أنـه روي عن النبي (ﷺ) حديثان صحيحان متضادان، فمن كان عنده فليأتني به لأؤلـف بينهما.

إذا تعارض حديثان فالحل هو التوفيق بينهما، قال الـنبي (ﷺ) «لا عـدوى ولا طيرة إلا بأمر الله»، وقال (ﷺ) «فر من المجذوم فرارك مـن الأسـد» وقـال (ﷺ) «لا يورد ممرض على مُصح» فالله تعلى قدّر ألا ينتقل المرض من مريض إلى صحيح إلا بإذن الله وهذا يعني أنه لا عدوى، فخوف الناس مـن انتقـال المـرض المعـدي مـن شخص إلى شخص غير صحيح ولا مبرر، لأن الميكروب لا ينتقل كمـا يشـاء، إنـه مخلوق مسير والله جل جلاله يسخره حيث يشاء. وقد سأل أحد الصـحابة رسـول الله (ﷺ) إن جمالنا يدخل بينها الجمل الأجرب فيعديها، فقـال لـه الـنبي (ﷺ) «ومـا الذي أعدى الأولى»؟

لكن الله تعالى خلق الإنسان ووضع فيها صـفات مثـل محبـة الحيـاة وكراهيـة المرض وفقدان الصحة فيسر عليه أن يتصـرف وفقـاً لجبلتـه وطبيعتـه البشـرية ولا يلومه على ما يجتهد فيـه، وجـاء الحـديث الشـريف ليـبين حقيقـة الخلـق وهـي أن الميكروب لا يتصرف بذاته وليبين من ناحيةٍ أخرى أن لا حجر على طبيعة الإنسان من محافظته على ذاته.

والتوفيق هو أن الله تعالى جعل هذه الأمراض لا تجري إلا بقدره وبأمره وإذنه لحكمة أو غرض يشاؤه الله، وهذا يعني ألا نلوم من عاشر المريض، ولا نلوم من لم يدخل على المريض خوفاً من العدوى.

وقد يتعارضان فينسخ أحدهما بعد أن قيل لغرض وأدى غرضـه، مثـل: قـال

النبي (ﷺ) «كنتُ نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها» وفي قول «فإنها تذكر بـالموت» كان الناس يفعلون الأعاجيب عند زيارة القبور، ولكنهم بعـد معـرفتهم بقـدر الله، والإثم من هذه الأفعال العجيبة، أبيح لهم الزيارة لأن زيـارة القبـور عظـة بـذاتها.
وورد في كتاب اللؤلؤ والمرجان في صفحة ٧٤ ما يلي:

قال عبد الله بن مسعود: «كنا نسلم على النبي (ﷺ) وهو في الصلاة فيرد علينا فلما رجعنا من عند النجاشي سلمنا عليه فلم يرد علينا وقال: إن في الصلاة شغلاً» والأمر هنا واضح لا يحتاج لعناء شديد لفهمه وهو: عرف المصلون الصـلاة معرفـة حقة لكثـرة ممارسـتها، وعلمـوا أن القنـوت حـق، وأن الخشـوع حـق، وعرفـوا أن الصلاة يجب أن تشغلهم عن غيرها، فنسخ الأول الذي فعلوه وهم في أول الإسلام واستبدل به عدم الرد في الصلاة.

وقد راعى رسول الله (ﷺ) الأحوال المختلفـة في كـل شـؤونهم فالشـابه الـتي تسافر يختلف حكمها عن المرأة العجوز، والمتزوجة التي تحمل أطفالها معهـا تختلـف عن المرأة المطلقة أو المرأة الأرملة، وقد تنوعت إجابات الرسول (ﷺ) للنساء بتنوع الأحوال وقد أمر الرسول (ﷺ) المؤمنين في موسم الحج ألا يجففوا اللحم بل عليهم توزيعه على الحجاج جميعه، ولكنه في سنة أخرى سمح لهم بالتجفيف، فسـئل عـن سر الاختلاف فقال ما معناه: كان الناس في ذلك في حاجة، وكـان هنـاك نقـص في طعام الناس، وأما هذا العام فلا، ولذلك أباح الخزن مرة وحرمه مرة أخرى مراعاة لأحوال الناس.

أوامر النبي (ﷺ) الأخيرة كانت قواعد دستورية، وقد حدثت أعمال فأجازهـا ثم اتبعها بأحاديث لا بد أبد فهي التي تنسخ ما سـبق وكـل لغـرض مهـم وقضـاء حاجـة وتسـهيل الأمـر علـى المسـلمين والآن يقـوم علمـاء محـدثون درسـوا هـذه الأحاديث ويسروا أمرها، فإما أن ندرس مثلهم أو نسال أهل الذكر مـنهم لنعـرف الأحكام، وقد ذكر الشيخ شلتوت شيخ الأزهر الشـريف إن أكثـر مـن ٩٠■ مـن

أمور المسلمين وردت إلينا متواترة لا خلاف فيها.

## هل يسمح الإسلام بالعبودية؟

إنه سؤال يتردد على ألسنة غير المسلمين كثيراً فيما رأيت، أو على ألسنة بعض الشباب المثقفين الذين درسوا في الغرب وسمعوا ما سمعوا من دعايات عن الإسلام تشوه صورته ولا تستند إلى نصوص القرآن أو السنة، وليس هذا التردد هو المهم، إنما غرضنا أن نعرف الحقيقة التي جاء بها الإسلام، فلا نغير أو نبدل في شيء أنزله الله على رسوله، فما نزل فإنه حكم الله الحق الذي يحفظ عباده، سواءً أكانوا في حالة الضعف أم في حالة القوة؛ فالله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين.

**ماذا يقول القرآن؟:**

في القران اتجاهان كبيران واضحان، **أولهما:** قطع الجداول التي تصب في بحيرة الاستعباد التي كانت شائعةً في ذلك الزمن قبل السلام **فالجدول الأول:** من الحرب وأثارها في الاسترقاق والاستعباد، فكان الغالب يسيطر على الآلاف ويعرضهم للبيع، وهي من السرقة والاغتصاب أيضاً، وكان الإسلام حريصاً على إغلاق هذين البابين بكل شدة وإحكام –أي بابيْ الاسترقاق بالحرب أو السرقة والنهب–.

**وثانيهما:** أن هذه البحيرة المملوءة بالعبيد يجب تفريغها منهم ولكن على مهل ودراية ليستوعبهم المجتمع في ذلك العصر من دون فوضى أو قلق أو ارتباك.

هذا ما أستطيع أن أجزم أنه حصل، وأن نجاحه كان هائلاً، فقد لفت الإسلام نظرنا إلى أن الحرب كانت نهراً للاستعباد وذلك في حشر الأسرى بين يدي المتاجرين بالإنسان، إن الأسرى عبيد ويقسمون بين قادة الجيوش والجنود، ثم يدخلون أسواق البيع من أوسع أبوابه، وبئست الأسواق أسواق النخاسة.

وأما **الجدول الثاني** في ازدياد أعدد الأسرى فهو سرقة الناس في عصور الظلم

والاستبداد في القرون الوسطى، وفي أوروبا على وجه الحصر، حيث راجت التجارة بالبشر المسروقين الذين تسيطر عليهم العصابات وتحشرهم في البواخر والسفن لتنقلهم إلى أسواق بعيدة حيث يربح اللصوص والمتاجرون بحرية الإنسان ما يشاءون من الغنائم، يبيعون الإنسان الحر ويأكلون ثمنه والعياذ بالله.

قال سبحانه في سورة محمد: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ **[آية: ٤]**.

الآية تصف قتال المسلمين، يجب أن يكون شديداً، يجب أن تنتهي القوة الضاربة للمقاتلين المشركين، وأما من ألقي القبضُ عليهم واستسلموا فعليكم أن تعاملوهم بهاتيْن الطريقتين وهما: المَنّ عليهم أي إطلاقهم بأن تسمحوا لهم بالعودة إلى أهلهم؛ أو أخذ الفداء، بأن تأخذوا من عدوكم أسراكم وتعطوهم أسراهم، أو تأخذوا فدية مالية مقابل الإفراج عنهم، والآية محكمة المعنى، ولكن بعض العلماء قال: يوجد آيات تدل على التعامل بالمثل، قالوا ربما يقتل العدو بعض المسلمين، وفي هذا الحال يحق للإمام أن يأمر بالقتل، أو الاسترقاق إن استرقونا.

٢- وفي سرقة الأفراد فقد حَرّم الإسلام سرقة الشيء الكثير والشيء القليل، ووضع عقوبة قطع اليد على السارق الذي يثبت أنه لم يسرق لحاجة، فكيف يتعامل الإسلام مع من يسرق إنساناً كاملاً أو يسيطر عليه ليبيعه ويأكل ثمنه؟ قال تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ **[المائدة: ٣٨ - ٣٩]**.

وقد أوضح الرسول (ﷺ) من بين هذه السرقات سرقة الإنسان وبيعه، وأوضح أن هذا الأمر من أشد الأمور، قال رسول الله (ﷺ): «قال الله ثلاثة أنا

خصمهم يوم القيامة: رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حراً فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يعط أجره» باب من باع حراً رقم ٢٢٢٧ ـ البخاري.

ولم يذكر التاريخ الإسلامي ولا التاريخ غير الإسلامي أن جيشاً إسلامياً أو فرقة إسلامية أو طائفة إسلامية أخذت حراً جبراً أو رضاً وباعته واسترقَّته وأكلت ثمنه؛ هذا محال مطلقاً.

**حادثة عمر بن الخطاب مع القبطيّ:**

هذه رواية تاريخية تُروى في التاريخ الإسلامي، وهي تدل على العدالة المطلقة التي يتطلبها الإسلام، ويأمر أهل الإسلام بها؛ وقد ذكرت الحادثة كما يلي:

تسابق في مصر على الخيل اثنان، أولهما ابن عمرو بن العاص، وثانيهما شاب قبطي ماهر في ركوب الخيل، فسبق القبطيُ منافسه ابن والي مصر وفاتحها العظيم عمرو بن العاص؛ فغضب ابن عمرو ولطم القبطي، وقال: كيف تسبقني؟ فحز في نفس القبطي ذلك الأذى، وعزم على رفع الأمر لعمر بن الخطاب لأنه يعرف عدله وقسوته في المواقف، فيمّم شطر المدينة المنورة، ونحن نعرف الآن قسوة السفر من المدينة إلى مصر أو من مصر إلى المدينة، وتحمل القبطي مشقة السفر، ودعا عمر ابن عمرو إلى المدينة، وفي راوية إنه دعا الاثنيْن إلى المدينة، قال ابن الخطاب: اكسرى أحق منا بالعدل يا عمرو؟ أيها القبطي اضرب ابن الأكرمين كما ضربك.

ليس المهم أن نتحقق من النتيجة أنه ضربه أو عفا عنه، أنه اعتنق الإسلام عندما رأى العدالة أو لم يعتنق، هذه النتائج لا تهمني كثيراً، وأرجو ألا يتوقف عندها القارىء كثيراً، وإنما يجب أن نعرف إن الذي لا يسمح بلطمة فإنه لن يسمح باسترقاق الإنسان.

هذا هو الوجه الأول وهو أنه هناك طرق لاستعباد والناس، وهـي كمـا ذكـر التاريخ: طريق الحرب والأسر واستعباد الناس وبيعهم، أو سرقة الناس والسـيطرة عليهم وبيعهم. كلاهما محرم، كلاهما مرفوض شرعاً.

**الوجه الثاني:**

بحيرات طافحة بالماء الآسن، ماء الاستعباد، فكيف ينظر الإسلام إلى هـذه البحيرة؟ لقد قرر الإسلام تجفيف هذه البحيرة، وقرر أن يلغي هذا الموضوع بطرق هادئة استيعابية تشغيلية، وقرر الإسلام أن يشرك في ذلـك الأمـة كلـها، فالحكومـة الإسلامية تقوم بواجبها، والأغنياء يقومون بـواجبهم والأفـراد العـاديون يحـاولون على قدر إمكانياتهم.

**كيف نحرر آلاف العبيد في الإسلام؟**

الآيات الكريمة في القرآن الكريم هي الـتي حـررتهم، لقـد تسـرب العبيـد إلى جسم الشـعب العربـي بطـرق متعـددة، حتـى أصـبح في الجزيـرة العربيـة أسـواق للنخاسة قبل الإسلام، ونزل القرآن الكريم على قلب الرسول (ﷺ) وهو في المدينة المنورة لفترة عشر سنين، وكانت هذه الفترة هي التي شهدت أساليب تحريـر العبيـد شيئاً فشيئاً بطريقة استيعابية بـاهرة، وهـذه هـي الأوجـه الرئيسـية في تجفيـف هـذه البحيرة، ونقل ما فيها إلى شـرائح المجتمـع ليصـبح العـاملون تحـت إمـرة أسـيادهم والمستعبدين أجزاء من المجتمع يعملون كإخوة للمـؤمنين، ولا يجـوز لأي مـؤمن أن يذكرهم بأنهم كانوا عبيداً في يوم من الأيام.

**أوجه التحرير:**

١- **آية الزكـاة:** حق الفقراء على الأغنياء، وهي في أنواع المال كله، أي في الذهب والفضة وما كان من العملة الورقية بما يقدر بالذهب والفضة، ومـن الـزروع

بأنواعها المختلفة ومن أنواع الحيوان كلٌ بقدره، وهذه الزكاة لها ثمانية مصارف فهي: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ **[التوبة: ٦٠]**.

إذاً تحرير العبيد باب من هذه الأبواب الواسعة جداً جداً، إن العبيد يستحقون جزءاً من أموال الأمة الإسلامية لتحريرهم.

٢- **أفعال الخير:** إن أفعال الخير عند المؤمنين ركن من أركان الإيمان، ليس فعل الخير مقصوراً على الصلاة فقط، إن البر الحق هو الإيمان الكامل، ثم إيتاء المال للمستحقين، وقد ذكرهم سبحانه كما يلي:

﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ﴾ **[البقرة: ١٧٧]**

إنَّ فاعل الخير من المسلمين يوجه جزءاً من أمواله إلى أقاربه المحتاجين، وإلى اليتامى وإلى المساكين وابن السبيل أي المسافر الذي انقطع فاحتاج المال والسائلين الذين يسالون المعونة بدافع الحاجة، وفي الرقاب، أي إنقاذ الأرقاء من العبودية بافتدائهم بمال يطلبه مالكوهم. إن كل مؤمن لديه مال يفيض عن حاجته عليه إذا أراد التقرب إلى الله أن يدفع المال لهؤلاء، لأنهم احتاجوا المال.

ربما يكون من المنطق اللغوي السليم أن يسال قارئُ القرآن نفسه: لماذا جاء حرف (في) الذي يعني الدخول في الشيء قبل كلمة (**الرقاب**)؟ إنه من باب الاجتهاد أن نقول إن الأموال تتركز على هذه الفئة؛ ويجب إعطاء الأهمية لتحرير

هؤلاء الناس.

٣- **الكفارات، واليك بيان بذلك:**

أ- عن القتل أي قَتْل الخطأ فإنه يتطلب الكفارة، أي تقدم شيئاً ليعفو الله عنك.

قال سبحانه: ﴿وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ **[النساء: ٩٢]**، وقال سبحانه: في نفس الآية ﴿فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾، وقال جل وعلا: ﴿وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾، هذه كفارة عن قتل الخطأ، وهناك كفارات أخرى منها:

ب- عن القسم من اقسم بالله يمينا عزما وليس من قبيل التعجل أو التسرع أو اللغو ثم تراجع عن يمينه فعليه أن يفعل ما يلي: إما أن يطعم عشرة مساكين، أو كسوة عشرة مساكين أو تحرير رقبة مؤمنة أي تحرير عبد مملوك لوجه الله، وقد أجمع العلماء على أن الذي أقسم ثم تراجع عن يمينه فخير بين هذه الثلاثة، قال تعالى:

﴿فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ۚ﴾**[المائدة: ٨٩]**. أما إن كان هذا الحانث فقيراً فعليه أن يصوم ثلاثة أيام كما نصت الآية الكريمة السابقة.

جـ- **يمين الظهار:** من أقسم ألا يطأ امرأته وهي في نظره كأمه، ثم عاد عن يمينه،

وندم على هذا القول، فإنه لا يجوز أن يجامع زوجته إلا بعد أن يدفع الكفارة وهي: أن يعتق رقيقاً فإن لم يجد المال الكافي فعليه أن يصوم شهرين متتابعين أو يطعم ستين مسكيناً. قال تعالى:﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمۡ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مِّن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ ذَٰلِكُمۡ تُوعَظُونَ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾ **[المجادلة: ٣]**.

**٤- المكاتبة:**

أمر سبحانه أهل الخير الذين يملكون الرقاب بالمكاتبة، وهي تعني أن يسمح لمن عنده بدفع مال من لدنه له، وذلك بأن يشتغل ويحتسب له أجراً أو يعمل عند غيره ويأخذ أجراً، كما أمر المستطيعين الذين يحبون الخير أن يساعدوا المكاتبين بشيء من المال، وذلك من أجل إعتاقهم وتحريرهم، قال سبحانه: ﴿**وَٱلَّذِينَ يَبۡتَغُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ فَكَاتِبُوهُمۡ إِنۡ عَلِمۡتُمۡ فِيهِمۡ خَيۡرٗاۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ ءَاتَىٰكُمۡۚ**﴾ **[النور: ٣٣]**.

**٥- التقرب إلى الله تعالى:**

هناك من ينذر بان يعتق عبداً إذا أتاه الله مولوداً، أو إن أنقذ ابنه من المرض، أو...أو...، فإذا تحقق المقصود فعليه الوفاء بالنذر، يجب أن يحرر مسترقاً.

**النتائج:**

أوقف سبحانه وتعالى مصادر الرق، فليس من سبيل إلى استرقاق إنسان، ثم فتح سبحانه مجالات للإعتاق بطرق كثيرة حتى ينخرطوا في المجتمع بسلاسة وسهولة وليس بقرار يقول يا عبيد يا مملوكين اذهبوا، لأنهم لا يستطيعون عندئذ الانخراط في المجتمع ويصبحون عبيداً من نوع جديد، عبيد اللقمة واللباس وتعاظم

الآخرين عليهم، إن الإسلام أنعم على المسترقين والمسترقين وساوى بينهم وجعل تحرير كل أحد عملاً خيراً يطلب به وجه الله؛ لقد أسدى الإسلام إلى الأمم خيراً لا ينسى عند أهل العلم والفكر والمعروف.

## الحديث: أنتَ مني بمنزلة هارون من موسى

هذا الحديث من أشهر الأحاديث الشريفة التي كان لها موضع سياسي وموضع مذهبيّ، وقد استجلب حوارات عديدة بَيْن الإخوة من السنة والشيعة، ولكنه كان على طول العهود والحقب التاريخية حواراً فحسب، لم يترجم إلى القتل والتفجيرات والمذابح والمرافد إلا في العهد الأمريكي أي بعد احتلال أمريكا لأرض العراق ولا سيما في الفترات ما بين ٢٠٠٥م – ٢٠٠٨م ولم تنطفئ نيرانه حتى كتابة هذه السطور في عام ٢٠١٢، إنها الآن أقل ولكنها موجودة وأقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، وعسى أن تزول هذه الانفجارات والسيارات المفخخة وأمثالها من العراق بعد انسحاب الأمريكان في نهاية عام ٢٠١١م.

**مناسبة الحديث الشريف:**

ينطبق على أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب آية القربى قال سبحانه: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾، كما ينطبق عليه في هذه المودة قول رسول الله (ﷺ) له «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبيّ بعدي» لقد روى سعد بن أبي وقاص أن رسول الله (ﷺ) خرج إلى تبوك واستخلف علياً، فقال المرجفون في المدينة خَلّفه في الصبيان والنساء استثقالاً منه، فلما سمعته علي بذلك جهز مطيته وسلاحه ولحق بالنبي (ﷺ)، فسأله رسول الله عن سبب مجيئه، فقال ما سمعه في المدينة، وكان ذلك في مكان يدعى غدير خم، وقد حضر ذلك خلق من جيش

النبي ومن الوفود التي كانت تغادر المدينة إلى بلادها، فقال له النبي «ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا انه لا نبيّ بعدي»، نفى عن عليّ النبوة فبقيت صلة القربى، ومحبة الرسول (ﷺ) له وما لهذه الصلات من أثر، فهارون شد أزر موسى ولذلك سيشد عليّ من أزر رسول الله بل إنه شد من أزره منذ بدء الدعوة.

إن آية القربى تصيب علياً بن أبي طالب، والحديث الشريف خصص له، وأضيف إلى ذلك حديثاً يتعلق بمن كره علياً (رضي الله عنه) قال النبي (ﷺ): «والذي خلق الجنة وبرأ النسمة إنه لعهد النبي الأمي إليّ أنه لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق»، كما أضيف موقف علي في معركة خيبر إلى ما سبق فقد سَلّم الرسول الراية لعلي، والحديث كما رواه سهل بن سعد «قال سمعتُ النبي يوم خيبر يقول لأعطين الراية رجلاً يفتح الله على يديه فقاموا يرجون ذلك فقال النبي (ﷺ) أين عليّ؟ فقالوا يشتكي عينيه فأمر فدعى له فبصق في عينيه فبرأ مكانه حتى كأنه لم يكن به شيء فقال علي نقاتلهم حتى يكونوا مثلنا فقال النبي على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم فوالله لأن يهدى بك رجل واحد خير من حمر النعم» اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ص٣٦٢.

كل هذه الأحاديث تعبر عن محبة آل البيت وعن عليّ خاصة فهو درة هذا البيت، والرسول (ﷺ) يخبره أن مقامه في حياة النبي هو نفس مقامه بعده، فهو أقرب الناس إليه محبة واطمئنانا ولكنه ليس بنبيّ. وهو أقربهم إليه بعد وفاته كما كان هارون في حياة موسى ووفاته إلا أن هناك فرقا أن عليا ليس بنبيّ لكنه ذو علاقة خاصة وقربى خاصة، وقد ذكرت كلمة (استخلفه) أي جعله خليفة لأهل بيته وبناته، ولكن ولاية المسلمين محسومة بقوله تعالى:﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾، ولو كانت كلمة **(استخلفه)** للحكم لما كان لعلي أن يلحق بالرسول إلى تبوك، لأنه

عندئذ يعلم أن هذا حكم الله وأمره ولن يخالفه، والله أعلـم أن خلافـات المسـلمين بين بعضهم بعض ما هي إلا نوع من الـترف والفذلكـة لأن أحكـام الله في أوامـره ونواهية لم تترك لنا ثغرة حتـى نتخاصـم فيهـا أو نتماحـك، إنهـا وواضـحة، وقـد حسمت في آيات الله في القرآن الكريم كما حسمت في الأحاديث الشريفة، إنه دين من رب العالمين أنزله للوحدة والتوحيد، ويعلم تعـالى أنـه سـيدوم لقـرون وقـرون فأنزله تماسكًا وموضحاً وسماه الرسول (ﷺ) المحجة البيضاء. إنّ الخلافة أي الولاية العامة على جميع المسلمين فالحل فيها الشورى وقال سـبحانه لرسـوله ﴿وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ﴾ إنه رسول ولماذا يشاور؟ لأنه يعلمنا كيف نسير مدى الحياة.

## المشيئة الإلهية ومشيئة الإنسان تفصيلاً

إذا نظرت للمعجم المفهرس لألفاظ القرآن وجدت أنّ الفعل (شاء) وما اشتق منه قد ورد في القرآن الكريم حوالي مائتين وثلاثين مرة، وقد جاء بأساليب وصيغ متعددة، أغلبها ورد بهذه الصور: شاء، ويشاء، ونشاء، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذۡكِرَةٞ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾ وقوله تعالى: ﴿لَّيۡسَ عَلَيۡكَ هُدَىٰهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۗ﴾، وقال سبحانه: ﴿وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ﴾.

وقد أسندت بعض هذه الصيغ للإنسان أو للناس قال سبحانه: في سورة المزمل ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾ **[١٩]** وقال سبحانه في **[سورة المدّثر: ٣٧]** ﴿إِنَّهَا لَإِحۡدَى ٱلۡكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرٗا لِّلۡبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَتَقَدَّمَ أَوۡ يَتَأَخَّرَ﴾، لقد أُسندت المشيئة في الآيتين السابقتيْن للإنسان ونجد آيات أخرى أعطت المشيئة لرسول الله (ﷺ)، فقد جاء في سورة الأحزاب قوله تعالى: ﴿تُرۡجِي مَن تَشَآءُ مِنۡهُنَّ وَتُـٔۡوِيٓ إِلَيۡكَ مَن تَشَآءُۖ وَمَنِ ٱبۡتَغَيۡتَ مِمَّنۡ عَزَلۡتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكَۚ﴾ **[آية ٥١]**، وقال سبحانه: ﴿وَٱمۡرَأَةٗ مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةٗ لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ **[الأحزاب: ٥٠]**.

إذاً قد يسند الفعل (شاء) للإنسان، وما قيل عن شاء فإنه يقال عن يشاء ونشاء، قال سبحانه: ﴿يَعۡمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٖ كَٱلۡجَوَابِ وَقُدُورٖ رَّاسِيَٰتٍۚ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ **[سبأ: ١٣]** وقال تعالى في

**[سـورة يوسـف: ٥٦]**: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾.

وجـاء في **[سـورة الأنفـال: ٣١]**: ﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا قَالُواْ قَدۡ سَمِعۡنَا لَوۡ نَشَآءُ لَقُلۡنَا مِثۡلَ هَٰذَآ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾، وفي **[سـورة الزُّمَـر: ٧٤]** ﴿حَيۡثُ نَشَآءُۖ فَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ﴾.

هذه آيات أسندت فيها المشيئة في الغالبية العظمى لله جل وعـلا ولكـن تـرك للإنسان هامش بسيط يسير جداً من المشيئة، إن هذه الصفات التي منحنـا الله تعـالى إياها صفات محدودة جداً إذا أضيفت أو إذا قورنت بصفات الله تعالى المطلقة، فأنـا كإنسان أسمع صوتاً عالياً لمسافة محددة والله جل وعلا يسـمع سمعـاً مطلقـاً، وأنـا أعلم شيئاً محدداً من أسرار الكون والله جل وعلا يعلـم علمـاً مطلقـاً، فـالله بكـل شيء عليم، وأنا أستطيع أن أحمل جـرة غـاز والله تعـالى يطـوي السـموات بيمينـه والأرض جميعاً قبضتُه، لا يوجد مقارنـة في الحقيقـة، ولكـن الله عـز وجـل أراد أن يعطي خلقه شيئاً، ومن ذلك المشيئة؛ فمشيئة الله مطلقة ومشيئة الإنسان محدودة.

إذاً لي مشيئة، محددة والله عز وجل له مشيئته المطلقة، إن مشيئتي مصدرها من خالقي وإذا قورنت على سبيل الافتراض بمشـيئة الخـالق، فهـي أيضـاً مقارنـة بـين المخلوق والخالق، بين الإطلاق التام الشامل وبين المقيد والمؤطر، وتلك هي مشـيئة العبد أمام مشيئة الله عز وجل، فكأنها ذائبة، ولكنهـا موجـودة ليـتم وفقهـا الجـزاء العادل.

قال بعضهم قولاً مفرطاً في تأييد المشيئة الإنسانية وقال آخرون قولاً مفرطاً في هـدم المشـيئة الإنسـانية، وتوسـط آخـرون، وهـذه هـي طبيعـة الفكـر في البيئـات

الاجتماعية، المعتزلة أفرطوا في تأييد المشيئة والإرادة الإنسانية فالإنسان فيما يـرون يريد ويقرر ويفعل، وليس هناك حاجز أمام إرادته وفعلـه، رأت هـذه الطائفـة مـن المسلمين وهي طائفة المعتزلة فيما يقـول الشـيخ عبـد العزيـز الراجحـي أنّ العبـاد أرادوا أفعالهم من الكفر والإيمان والطاعة والمعصية وخلقوهـا اسـتقلالاً مـن عنـد أنفسهم، والله لم يخلق أفعال العباد ولا شاءها، وكـانوا يقصـدون بـأقوالهم هـذه أن يفرّوا من القول بأن الله خلق المعاصي وعذب عليها فلا يكون ظالماً، لأنهـم قـالوا: لو قلنا إن الله خلق المعاصي وعذب عليها كان ظالماً، وقالوا: إن العباد هـم الـذين خلقوا أفعالهم من طاعات ومعاصي.

قال الشريف المرتضى إن أهـل السـنة والجبرية يقولـون إن الأفعـال نوعـان: ضروري واختياري وموجدها كلها هو الله تعالى.

وقـال: إن المعتزلـة و (الاثنـا عشـرية) يـرون أن العبـاد هـم المسـؤولون عـن تصرفاتهم لأنهم هم فاعلوها وإن كل من قال إن الله خلقها وأحدثها فقد أخطأ.

وقال الأستاذ عمر أبو رصاع: إن المعتزلة تعتبر مسؤولية الإنسـان عـن أفعالـه قضية جوهرية، ولذلك قالوا: إذا حدث ظلم مـن السـلطة فـنحن مسـؤولون عـن تقويمها، فالسلطة المغتصبة وجدت بفعـل بشـريّ، والله بـريء منـه، وإسـقاط هـذه السلطة يتم بفعل بشري لأن الإنسان مسؤول عن اختياره وأفعاله.

إنه خلاف في النظر والبحث، وليس أمام المسلمين قيد على البحث هذا يقول وهذا يرد عليه وذاك يـرى رأيـاً والأخـر يـرى رأيـاً مخالفـاً، ولـذلك كانـت الآراء المتخالفة ملازمة للإنسان منذ أن وجد الإنسان.

وأما الجبريون فيرفضـون ذلـك، ويقيـدون الإرادة كمـا يقيـد السـجناء، فـالله سبحانه وتعالى خلق الإنسان وخلـق عملـه أيضـاً، إن كـان عملـه جيـداً كالصـلاة والزكاة فالله تعالى وضع فيه الميل لذلك ثم أقدره على فعل ذلك، وإن كـان الفعـل

سَيِّئاً فالله تعالى أيضاً هو الذي وضع فيه ذلك، ويستشهدون بآيات عديدة ويفسرونها وفقاً لهذا المفهوم، قال سبحانه: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ وقال سبحانه: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾، وقال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ ولم يقف المعتزلة حائرين أمام استشهادات الجبريين، بل فسروا آيات وفقاً لرأيهم تؤيد إفراطهم في تأييد المشيئة الإنسانية، قالوا إن الأفعال تدل على أن الإرادة ملك للإنسان كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِۦمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ﴾ يرفع إبراهيم بإرادته لأنه يريد الطاعة، وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِۦمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ لا يوجد ما يدل على إجباره على الرغبة، وقال سبحانه: ﴿فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ﴾ فرعون هو الفاعل.

وقال هذا الطاغية كما في الآية الكريمة: ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾، الفعل صدر عن الطاغية وليس عن الإله، وقال إبراهيم يدعو الله عز وجل ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾ ثم ثبت لإبراهيم أو والده عدو الله: قال سبحانه: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ كل هذا يظهر لنا انه من فعل الإنسان.

وأما المتوسطون فقالوا: إننا نجد أعمالا نسبت إلى مشيئة الله مباشرةً، وقد قضى الله تعالى فيها ما يريد، قال سبحانه: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾، وقال سبحانه: ﴿يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ وقال سبحانه: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا

﴿وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ﴾، وقال سبحانه: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡۚ﴾؛ قال المتوسطون: الآيات تدل على قضاء الله وقدره. وقالوا: هناك آيات نُحِسُّ أنها تعطي الإنسان مشيئة للعمل، قال سبحانه: ﴿فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ﴾، وقال سبحانه: ﴿فَذَكِّرۡ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكۡرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخۡشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلۡأَشۡقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِي يَصۡلَى ٱلنَّارَ ٱلۡكُبۡرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ ﴿١٣﴾ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾، وقال سبحانه: ﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا﴾، كان للمتوسطين رأي معتدل، هناك أعمال قضاها الله تعالى وهي أساس الوجود كخلق الإنسان وموت الإنسان وصورة الإنسان ورزقه وما يقع عليه؛ وهناك أفعال يقوم بها الإنسان ويجازى عليها.

هناك نقاط خلافية في هذا الموضوع، المهم أن نتمسّك بحسن النية ولا نقول شيئاً من أجل الفتنة، نقول لنفهم ونؤمن إيماناً حقاً، لا نؤول لكي نشوش على المؤمنين صفاءهم بل نصدق القول ونشرح الأمر شرحاً صحيحاً سليماً ونبتغي من وراء ذلك وجه الله تعالى؛ ولله الفضل والمنة؛ إن الله تعالى لم يحرم الاجتهاد بل حث عليه، ويؤجر من يتكلم أو يكتب إن كان صادق النية ويجازي الكفور الذي يقصد الفرقة والفتن ما ظهر منها وما بطن.

### الحل في مشكلات المشيئة

الحل الصواب كما غلب على فكري وظني هو دراسة الآيات التي استشهد بها كلا الفريقين أو استشهد بها كل الفرقاء وزعموا أنها دلت على الجبر أو دلت على الاختيار أو شملت نوعاً من هذا ونوعاً من ذاك؛ وسيكون الحل مجملاً جداً ومحدداً جداً بحيث يستطيع الدارس أن يحيط به في لحظات علينا أن نجمع الآيات

المتعلقة بالموضوع في مكان الآية أو في آيات أخرى، إني أؤمن إن المحجة البيضاء، وهي الإسلام كانت واضحة في زمن رسول الله وزمن صحبه والتابعين قبل أن يخوض الخائضون في القضايا من أهل الفكر والرأي أو المذهبيون أو قادة الفرق الإسلامية؛ إن جمع الآيات ذات الموضوع الواحد سيحل الإشكال. وما أسهل أن يحل إذا لم يكن الهدف ابتغاء الفتنة والتأويل.

**أولاً:** قالوا إن الله خلقنا وخلق أعمالنا، فكل أفعال العباد مخلوقة كما خلقت أجسامهم، وذلك من فهمهم لأية ﴿ **وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ** ﴾ **[الصافات: ٩٦]**، أن الآية لا تتدخل هنا في أفعال العباد بل تتدخل في عبادتهم للأصنام، فبين لهم سبحانه أن الأصنام حجارة وقد خلق الله هذه الحجارة كما خلقكم.

**ثانياً: تثبيط بعض الناس عن الحرب**، وهذا يدل على خلق الأفعال وان الله يسيرنا كما يسيّر باقي المخلوقات، ليس الأمر كذلك، وإنما ثبطهم تعالى بعد أن عزم هؤلاء الظلمة على تخذيل المسلمين وإثارة الرعب في المسلمين المقاتلين لينهزموا، فثبطهم الله تعالى ورد كيدهم عن المقاتلين، ولفت سبحانه أنظار المسلمين إلى شيء من متعلقات الحرب، ألا ترونهم لم يجهزوا أنفسهم للحرب قال سبحانه: ﴿ ۞ وَلَوْ أَرَادُواْ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةً ﴾ إنهم لم يعدوا بل يريدون الاندساس ونشر الأكاذيب، فحال الله جل وعلا بينهم وبين ما يدبرون، والآية واضحة المعنى إذ قال سبحانه: ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴾، إن الله تعالى يحب الجهاد والمجاهدين فكيف يمنع المجاهدين القتال؟ إنهم ليسوا مجاهدين بل هم هنا مجرمون حاقدون.

**ثالثاً:** الآية: ﴿وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ﴾:- يفسرونها بقولهم إن هذه الفئة في الجنة لأن الله تعالى رحمها، وهذه الفئة في النار لأن الله تعالى لم يرحمها!

ليس الأمر كذلك، إن سياق الآية يدفع هذا الفهم ولا يقبله، الآية تشير إلى حسد المشركين وحسد أهل الكتاب برسول الله (ﷺ)، لا يريدون أن ينزل عليهم مثل تلك الرحمة الخاصة بالنبوة، أو بالمغفرة والرحمة فقال سبحانه يرد عليهم: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ خَيۡرٖ مِّن رَّبِّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ لا يودون للمسلمين الخير ولا سيما اليهود لأنهم هم الذين كانوا معاصرين للنبي (ﷺ) ولكن الله تعالى يكرم رسوله ويكرم المؤمنين معه، قال سبحانه: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدۡخِلُهُمۡ رَبُّهُمۡ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ﴾ **[الجاثية: ٣٠]**.

## من أسرار القدر

﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣]

استنتج بعض العلماء من هذه الآية أن أسرار القدر لا يدركها الناس ولا الصفوة منهم، ورأى الإمام الغزالي أنّ الله تعالى خلق أفعال الناس فقال وهو يناقش نفسه في الآية «إن العدالة الإلهية موجودة برغم تفضيله سبحانه ناساً على ناس بإلهامهم للإيمان وإحباطه لناس بإلهامهم الكفر والفجر وإدخال الأولين الجنة وإدخال الآخرين النار»(١).

وأقول: إن سياق الآية بين ما سبقها وما لحق بها لا يؤيد الغزالي ولا من سار على دربه، فإنه تعالى كما ورد في الآيات السابقة خالق السماء والأرض، والملائكة ومن عنده سبحانه يسبحون ليلاً ونهاراً بلا فتور، هل للكافرين آلهة يعتمدون عليها في إحياء الموتى وفي السيطرة على الأرض، ليس لهم شيء وسيسالون عن أعمالهم سؤال المحاسبة، وهم: أعجز من أن يسالوا الله عن سبب تعذيبهم، ليس للآية علاقة بأن الله يخلق أفعالهم مطلقاً بل هم يصفون الله بأوصاف غير لائقة فسوف يسألهم عنها، وهم كعبيد مخلوقين لن يستطيعوا الاعتراض على شيء فكيف يسألون الله جل وعلا: لِمَ فعلتَ هذا؟ من الذي يقدر على محاسبة الله إنه يحاسبهم ولا يقدرون على رد هذه المحاسبة.

ماذا قال المسيح عليه الصلاة والسلام عندما سأله ربه جل وعلا عن أقواله لأنصاره؟ الآية التالية تبين ذلك: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾،

---

(١) إحياء علوم الدين جـ ٤/ ص٨٦ ط١ بيروت.

إذا كان المسيح لا يتجرأ أن يقول إلا ما علمه الله فكيف يحاسب الجحدةُ ربهم وهم في أمس الحاجة أن يرفع عنهم شيئاً من العذاب، سبحانه إنه لا يسأل ولكن النـاس تسأل.

هذا هو سياق الآية، وهذا ما يقودنا إلى المعنى، وعلينا أن نحفظ الـنص بدقـة ونحن نشرح الفكرة فلا نتجاوز لفظة وما يؤدي إليه؛ إن الآيـة لم تتطـرق إلى مشـيئة الإنسان في الأفعال، وما هي إلا لإظهار القدرة الإلهية، وإظهار عبودية البشر لله عز وجل.

كما استند الجبريون والقـدريون وغـير الجـبريين والقـدريين ممـن كـانوا علـى طريقتهم إلى آيات أخرى لتدل على الجبر وخلق الأفعال وانعـدام مشـيئة الإنسـان قالوا:

إن قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ فالله تعالى هدانا، ونرجوه تعالى ألا يزيغ قلوبنا، أي ألا يضلنا، فالهداية منه والإزاغة منه، ليس لنا مشيئة في ذلك.

وقد رأيت رشداً في قـول **سـيد قطـب** في كتابـه في (ظـلال القـرآن)، إذ قـال «اقتضت مشيئة الله أن يجري قدر الله بهداية من يجاهد للهدى، وإن يجري قـدر الله كذلك باضلال من لا يستخدم ما أودعه الله فيه من عقل ومـا أعطـاه مـن أجهـزة السمع والرؤية في إدراك الآيات المبثوثة في صـفحات الكـون»، كمـا وجـدت مثـل ذلك في قول **الشيخ الدكتور محمد حامد حواري** إذ قال «فمعني وما تشاؤون إلا أن يشاء الله» إنكم أيها البشر لا تستطيعون أن تعقدوا أي مشيئة وتنفـذوها إلا إذا أَذنَ الله تعالى بها... إن كماله المطلق سبحانه وتعالى يوجب ألا يقع شيء في ملكه إلا ما شاء له أن يقع، ويعلم ويأذن به، ولأن العقل يوجب أنه إذا وقع شـيء مـن ذلـك دون علمه ومشيئته وإذنه سقط الكمال المطلق» [كتاب: القرآن الكريم ـ مـاذا يقـول ـ ص٧].

إن مشيئة الله سابقة، لأنه تعالى أمر القلم بأن يكتب في اللوح المحفوظ ما سيكون في هذا الكون إلى يوم القيامة، ثم يأتي الإنسان تحت سقف هذا العنوان: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾، إنه تعالى يعين من عقد النية على طاعة الله، إنّ من اقترب إلى الله ذراعاً اقترب منه باعاً.

ولعل القارئ في كتاب الله لا يغيب عنه هذا المدح للمتجهن إلى كتاب الله والراغبين فيه والمصدقين بما جاء به الرسول الأمين، قال سبحانه: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾ فأما الذين ساروا بعكس تيار الإيمان فقال لهم سبحانه: ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ .

إذاً جاءت الهداية بعد جهد الساعين للذكر الراغبين فيه وجاء الإعراض عمن بخل بما أعطاه الله من مال، وعمن كذب بيوم البعث، وأدى إعراض الله جل وعلا عنه إلى تيسير أموره إلى النار، ونعوذ بالله من النار.

## هل الله خلق أفعالنا؟

قولـه تعـالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾.

فسّر الجبريون والقدريون هذه الآية كما فسروا عدة مواقـف في الجـبر وخلـق الله لأفعال الإنسان كما خلق الإنسان نفسه، قالوا: قد تكون تلك المصـائب أفعـال الظالمين، فالله تعالى هـو الـذي خلـق الميـل والقـدرة في نفـوس الظـالمين، فحرقـوا المزروعات أو قتلوا أو عذبوا أو ظلموا أو نهبوا بما أودع الله فيهم من صفات الحقد والقتل والتعذيب والعدوان، إنّهم بالإجمال يقولون: خلق الله أفعال الظـالمين، وقـد أوردوا عدة آراء لعلماء أخذوا بالجبر والقدر، قال ابن حزم «إن كل ما فعله الله من تكليف ما لا يطاق وتعذيبه عليها وخلقـه الكفـر والظلـم في الكـافر ثـم تعـذيبهما عليها، كل ذلك من الله عدل وحكمة وحـق ولكنـه ممـن دونـه تعـالى سـفه وظلـم وباطِلٌ» ، هذا رأيهم. ولستُ أتفق معهم في ذلك.

كلمة ﴿نَّبۡرَأَهَآۚ﴾ تعني نخلقها، هل نخلق الأرض أم نخلق المصيبة، لقد ظنـوا في شروحهم أنها تعنى المصيبة، أي قبل أن نخلق المصـيبة، وهـذا الظـن لم يقـتربْ مـن الحقيقة في شيء، إن كلمة ﴿قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ﴾ إذا كانت للمصيبة، فالمعنى عندئـذ أن الكتابة حدثت قبل إيجاد المصيبة، ربما قبل أن توجه المصيبة بساعة أو يـوم أو شـهر أو أكثر من ذلك أو أقل، وهذا يخالف الحديث الشريف «كتب الله مقـادير الخلائـق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سـنة، وكـان عرشـه علـى المـاء» إذاً وقت الكتابة محدد وهو قبل خلق السماء والأرض بمدة طويلـة، إذاً نبرأهـا لا تعـني نبرأ المصيبة بل تعني قبل أن نبرأ الأرض.

ومن جهة أخرى فان كلمة (نبرأ) تتعلق بالأشياء المادية كخلق السماء والأرض والنبات والحيوان والإنسان، هكذا تقول معاجم لسان العرب والمخصص وغير لسان للعرب والمخصص إذاً قبل أن نبرأ الأرض كتبنا أعمال الناس وأفعالهم وأقوالهم وخيرهم وشرهم.

من الذي دفعهم لأعمالهم؟ هم أنفسهم، فمن أعطى واتقى وصدق بالحسنى فان الله تعالى يعينه أكثر ويلهمه أكثر للجنة، ومن كذب وبخل واستغنى عن الله فإن الله تعالى ييسر له طريق رغباته ويختم على قلبه.

## ملاحظات في لحظة النزاع

هناك مواقف وآراء تنفي أن يكون الإنسان معرضاً قبل موته لسؤال أو جواب أو أن الملائكة تحضر وفاته وتنذره أو تبشره، فالملائكة ليس لها شان في ها كله، وهناك آراء تنفي وجود سؤال في القبر أو وجود عذاب في القبر أو نعيم فيه، إنما هو التحلل والفناء، ولا يجدون آيات تنبه إلى ذلك، ويفسرون الآيات المتعلقة بالبرزخ وفقاً لمبدأهم العام أنه لا سؤال ولا عذاب ولا نعيم في البرزخ؛ هذه الآراء لمسلمين بل لمفكرين مسلمين.

إني اعترض على ذلك، وأفهم من الآيات المتعلقة بالنزع أو البرزخ أنها تشير إلى امتحان ومكاشفة، وتشير إلى نعيم أو عذاب ولكنها مكاشفة ذات لون خاص ونعيم ذو لون خاص وعذاب ذو لون خاص، ولكن هذه الأمور كلها موجودة في البرزخ، وهي تتبع القدرة الإلهية مباشرة، وثمة آيات تدل على علاقة الملائكة بالنزع وتدل على النعيم والعذاب؛ إن الأوراق التالية ستوضح هذه الحقائق.

إنَّ فيها البشرى للمؤمنين الذين اتبعوا رسالة محمد (ﷺ)، وإن فيها الإنذار لمن يجحد الرسالة الإسلامية، إن الذي يطلع على هذه الأمور عليه أن يحسم أمره، إن الالتهاء عن ذلك لن ينفع أحداً، نعم يوجد آراء مختلفة ولكن على المرء أن يختار ويحسن الاختيار، فالأمر حاسم جداً، لقد استندتُ في حسم الأمر على آيات في كتاب الله، وثمة أحاديث كثيرة في هذا الموضوع.

**أ- آيات في لحظات المفارقة.**

لقد تناولتْ آيات عديدة لحظات النزع، وقد حسمت تلك الآيات المصير القادم للإنسان، ورأيت أن هناك سبع آيات تعلقت بهذه المناسبة أشد التعلق، وكان منها ستُ آيات ضاغطة جداً أعلى كلِ من قَصرَّ أو أعرض أو جحد، وثمة آية

واحدة بَشّرتْ وحيّتْ وسلمت، فما دلالة ذلك لكل من يقرأ القرآن ويتدبره؟ الإجابة عن هذا واضحة ومقلقة، إن أكثر الناس ليسوا على حق، وإن أقلهم هم المؤمنون المطيعون المحبون لله ورسله، وهذا الفهم لهذه الآيات ليس شراً كله، وليس تشاؤماً كله، بل هو لمعرفة موقع الإيمان من نفسك ولتحاسب نفسك قبل أن تحاسب؛ وإليك الآيات مع شيء مما تدل عليه لتعرف كيف تعالج موقفك، ولتعرف كيف تنجو، فالإنسان مقبل على حياة سرمدية، ولا ينفع فيها الالتهاء والنكتة والانشغال بأمور منتهية بسرعة وما أسرع ما تنتهي:-

**آيات للإنذار: -**

١ - قال جل وعلا: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ **[الأنعام: ٩٣]**.

الخطاب لرسول الله (ﷺ) ولكنه شامل بعد رسول الله ﷺ لجميع المكلفين، أي الذين بلغوا الخامسة عشرة في أعم تقدير للبلوغ، وقد عرفنا أنها للبالغين المكلفين من قوله جل وعلا:

﴿بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾، ﴿وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾، ماذا تقول لهم الملائكة؟ تقول: هاتوا أرواحكم، اليوم تجزون عذاب الهون، أي عذاب الخزي وعذاب المذلة، يبدأ عذابهم من أول يوم في قبورهم، وقد وردت كلمة (الهون) في الشعر العربي بمعنى الخزي والمذل، قال ذو الأصبع العدواني:

اذهَبْ إليكَ فما أمي براعية ترعى المخاض ولا أُغضي على الهونِ

إن هذا الشاعر لا يذل، وأمه لا تذل، وقال الشاعر معد يكرب: ولستُ

بوقافٍ على الهونِ أي أنه يرفض الصبر على المذلة.

لقد بدأت المذلة والهون على المستكبر والجاحد، وعلى من يكذّب آيات الله وعلى من أودع القبر، وهذا الإيداع مقرون بالامتحان بعد ذلك، ولا نريد التعجل لنصل إلى الامتحان، وإنما نريد الآيات الخمس الأخرى، فهي التي تؤكد ما يصيب الإنسان منذ ووري التراب.

٢- وقال سبحانه في سورة النساء:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا ۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ **[النساء: ٩٧]**.

تركوا دينهم خوفا من المشركين ولم يهاجروا لإقامة دينهم، الملائكة توبخهم على ضعفهم عن الهجرة، ونسألهم فيم كنتم؟ أي كيف تجاملون المشركين ولا تهاجرون مع رسول الله (ﷺ) إن هذه الفئة تلاقي عنفاً أقل من الفئة السابقة لأنها كفرت بضعف وعن ضعف.

٣- وفي سورة الأنفال تأتي كلمات الضرب على الوجوه والأدبار إذ يقول جل وعلا: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ **[الأنفال: ٥٠]**.

إن الحرف (لو) يفيد الامتناع، إذاً لم يشاهد رسول الله الضرب، ولو شاهده لرأى شيئاً مفزعاً جداً، فنزع الروح مقترن بالشدة والأذى، إنها مواقف رهيبة على كل جاحد.

٤- وفي سورة الأعراف تبدأ الملائكة بالمساءلة قالوا: أين ما كنتم تدعون من دون الله؟ قال سبحانه:﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يَنَالُهُمۡ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوۡنَهُمۡ قَالُوٓاْ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ﴾ **[الأعراف: ٣٧]**.

كتب التفسير تذكر ما يلي: أنهم كذّبوا، وسوف يصيبهم ما قدر عليهم بسبب جحودهم، وأول ما يشهدونه هو مساءلتهم أين آلهتكم من دون الله؟ قالوا: غابوا عنا أي كنا متورطين في عبادات كاذبة، وهذا أولُ موقفٍ مذل لهم.

٥- وفي سورة محمد تأتي آيات النزع مطابقة لموقف الجاحدين في حبك المؤامرة، كانوا منافقين ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمۡ فِي بَعۡضِ ٱلۡأَمۡرِۖ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِسۡرَارَهُمۡ ﴾ لقد آمن هؤلاء المنافقون أول الأمر ثم سَوّل شياطين الإنس والجن وأملوا عليهم الكفر والجحود، فلما جاءت ساعة التوفيه، وعلمت الملائكة بما فعلوا من الكفر بعد الإيمان جاءوهم بما يناسب أسلوبهم من المراوغة والنفاق، قال سبحانه: ﴿ فَكَيۡفَ إِذَا تَوَفَّتۡهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَضۡرِبُونَ وُجُوهَهُمۡ وَأَدۡبَٰرَهُمۡ ﴾ **[محمد: ٢٧]**، بدأ الضرب عند النزع مباشرة، وقال سبحانه فيهم قولاً بليغاً مؤثراً ﴿ أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخۡرِجَ ٱللَّهُ أَضۡغَٰنَهُمۡ ﴿٢٩﴾ وَلَوۡ نَشَآءُ لَأَرَيۡنَٰكَهُمۡ فَلَعَرَفۡتَهُم بِسِيمَٰهُمۡۚ وَلَتَعۡرِفَنَّهُمۡ فِي لَحۡنِ ٱلۡقَوۡلِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ أَعۡمَٰلَكُمۡ ﴾ **[محمد: ٢٩ - ٣٠]**.

**آية البُشرى:** -

وهي الوحيدة التي نزلت للبشرى في ساعة الوفاة، إنَّ هذه الآية وردت في سورة **النحل**، قال سبحانه: ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمُ

ﭐدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ **[النحل: ٣٢]**.

من هم الطيبون؟ هم الذين تَطَّهَّروا من الشّرك، هم الذين زكت أعمالهم، هم الذين حسنت أقوالهم، ماذا يستحق هؤلاء؟

ألقت الملائكة عليهم السلام في لحظات الوفاة، والسلام أمان، والسلام محبة، والسلام بشرى لهذه الأمة التي صلح أثرها بالإيمان والعمل الصالح والأقوال الحسنة الصادقة.

هذه الآية سبقت بآيات تدل على أن اللحظة هي حالة الوفاة، قال جَلّ وعلا: ﴿ ۞ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡۚ قَالُواْ خَيۡرٗاۗ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۚ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞۚ وَلَنِعۡمَ دَارُ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾أشار إلى حياتنا الدنيا باسم الإشارة (هذه) وجاء بعدها آية تخاطب المشركين في الدنيا أيضاً قال سبحانه: ﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ أَمۡرُ رَبِّكَۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ ﴾ **[النحل: ٣٣]**.

إذاً البشرى في ساعة الوفاة وهي تفضل ما لا يمكن تصوره، إن النهاية سعيدة سعيدة سعيدة.

**ب- آيات في نعيم القبر أو عذاب القبر.**

## أولاً- آيات صريحة في عذاب القبر

**عذاب آل فرعون:-**

يوجد إشارة واضحة لا تلتبس على قارىء القرآن مطلقاً، أن موسى (عليه السلام) تخوف من فرعون وهو ذاهب إليه ليدعوه، لقد قتل موسى رجلاً من قوم فرعون، فخاف موسى أن يقتله فرعون به، فوعده الله عز وجل بأن يحفظه ويحفظ أخاه

هارون، ولما أَذن فرعون بمقابلة موسى وأخيه، دعاه موسى إلى الأيمان فرفض الدعوة، ومكر ضد موسى ليتخلص منه، فأنقذه الله تعالى من مكره، فغرق فرعون وجنده، ونزلت في القرآن الكريم الآيات التالية تصف هذه الواقعة، قال سبحانه: ﴿ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ٤٥ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴾ **[غافر: ٤٥ - ٤٦]**.

العذابُ الأول الذي أصاب فرعون وآل فرعون هو الغرق، فقد أطبق البحر على كل من كان مع فرعون، وقتلوا جميعاً، وتركوا وراءهم حقولهم وبساتينهم ومياههم وقصورهم، وجابهوا بدل ذلك النعيم عذاب القبر، أو ما نطلق عليه عذاب البرزخ، وهذا العذاب مستمر ما استمرت هذه البرزخية والعذاب هو: عرضهم على النار غدوا وعشياً، كيف يكون شعور من يعرض على النار، ويُقال له هذا مصيرك، ألستَ ترى أن هذا عذاب أو رُعب دائم.

## عذاب الأمم الأخرى

وما جرى على فرعون وآل فرعون فإنه سيجري على كل مَنْ فَعَلَ أفعال فرعون من تكذيب للرسل أو ادعاء العبادة له دون خالقه، أو صاحب الكبرياء والغطرسة المستمرة ما استمرت الحياة؛ قال سبحانه: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ ٣٠ مِثۡلَ دَأۡبِ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ﴾ **[غافر: ٣٠ - ٣١]**.

وقال سبحانه: ﴿كَدَأۡبِ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيّٞ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ **[الأنفال: ٥٢]** وقال جل وعلا: ﴿كَدَأۡبِ ءَالِ

فِرۡعَوۡنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾ **[آل عمران: ١١]**.

## آيات تلمحّ إلى عذاب القبر

قال تعالى في سورة إبراهيم (٢٧): ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾، أي هناك حالتان في القبور.

التثبيت في الدنيا واضح، إنه على مستوى الفرد العادي معروف وعلى مستوى الجماعة معروف، ولكن ما التثبيت في الآخرة؟ إن المؤمنين والمشركين جميعاً يوم القيامة يقولون هذا ما وعد الله ورسوله وصدق المرسلون، ويجب أن نقول هناك الحق ولا سبيل غير الحق ومن يكذب تشهد عليه أعضاؤه فالأيدي والأرجل تشهد عليه، وأما المؤمنون فتأتيهم كتبهم بأيمانهم وهذا دليل النجاح، ليس هناك مجال لتثبيت مؤمن أو لتثبيت كافر، إذاً التثبيت يكون عند السؤال في القبور، المؤمن لا يرتبك ولكن الكافر يرتبك، المؤمنون تسلم عليها الملائكة فتثبتهم على كلمة الحق عند السؤال، ولكن الظالمين يضلون في ردهم ويرون مقاعدهم في النار.

**المعيشة الضنك:** -

قال سبحانه: ﴿ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴾ **[طه: ١٢٤]**.

هل كل من أعرض عن ذكر الله سواء أكانوا ملحدين أو يعبدون غير الله أو قالوا في الله صفات غير التي سماها لذاته في آخر معجزة دائمة أبدية أي في القرآن الكريم قال المسيح هو الله أو كمن قال المسيح ابن الله أو العزيز بن الله أو كل من رفض شيئاً من القرآن كمن يرفض جلد الزاني والزانية ويرى ذلك خروجاً عن الحضارة مثلاً، هل كل واحد من هؤلاء يعيش الآن معيشة ضنكاً؟ أبداً، إن كثيراً منهم منعمون لهم ديارهم وأبناؤهم، فليست معيشتهم ضنكاً لكن الآية تبين أَنَّ كل من أعرض فإن معيشته ضنك، فالمعيشة الضنك إذاً في القبور، وهي معيشة لا نعرف كيف تقع، ولكنها حاصلة وهي ضنك، وهي قبل يوم القيامة لأن القيامة دار للجنة أو النار، دار الجنة نعيم وسعادة، ودار جهنم ـ أعاذنا الله منها ـ دار لا يموت فيها مَنْ دخلها ولا يحيى، ثُمَّ إنّ الآية تقول: ونحشره يوم القيامة أعمى، أي إن القيامة بعد لم تقم وفقاً لمنطوق الآية الكريمة، فأين المعيشة الضنك إذاً ؟ إنها البرزخ.

## يوم النحس المستمر. ويوم العذاب المستقر.

قال جل وعلا في **[سورة القمر]**: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ﴾ **[القمر: ١٩]**. وقال جل وعلا: ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ﴾ **[القمر: ٣٨]**.

قد يكون المستمر هو اليوم وقد يكون النحس، والاستمرار يعني عدم الانقطاع مطلقاً، وفي العبارة عذاب مستقر دلالة واضحة محددة أنّ العذاب منذ البكرة مستمر مطلقاً، نستنتج من الآيتين إن قوم عاد عذبوا لكفرهم وتكذيبهم واستمر عذابهم إلى يوم القيامة، وإن قوم لوط عذبوا بسبب كفرهم وإتيانهم الرجال من دون النساء حتى ضيوفه راودوه عنهم، فجاء العذاب صباحاً ولم

يفارقهم إلى يوم القيامة، لا تسأل أيها المؤمن كيف يكون العذاب، فإن الله تعالى يُنعم بما لا يخطر ببال بًشَر ويعذب بما لم يخطر ببال بَشَر.

## سنعذبهم مرتيْن: -

قال سبحانه في **[سورة التوبة]**: ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾ **[التوبة: ١٠١]**.

هنا طائفتان منافقتان، طائفة من الأعراب، وطائفة من أهل المدينة المنورة حيث يقيم الرسول (ﷺ) شرع الإسلام، وقد كان لهم باع طويل في النفاق فخفي أمرهم على الرسول (ﷺ)، وقد قضى جل وعلا بتعذيبهم مرتين، الأولى في الدنيا وذلك بالمصائب في أبدانهم وأولادهم وأموالهم، والثانية بعذاب القبر، لأن الآية التي بعدها تقول: ثم يردون إلى عذاب عظيم، والعذاب العظيم كائن في يوم الدين يوم لا ينفع مال ولا بنون، فإن للمنافقين موقعاً لا يخطر ببالهم ولا يخطر ببال بشر، إنه الدرك الأسفل من النار! إن الله اعلم بذلك.

## ثانيا – آيات صريحة في نعيم القبر

لقد كانت آية الاستشهاد أي القتل في سبيل الله أبرز الآيات التي تدل دلالة صريحة على نعيم البرزخ، لقد استعملت عدة كلمات في الآية تشير إلى أن الذين قتلوا في سبيل الله لهم كرامة ولهم حياة ولهم رزق ولهم بشرياتهم لغيرهم ولهم اطمئنانهم ومسراتهم، إن عطاءهم يفوق ما نفكر به، قال سبحانه وتعالى في سورة **[آل عمران في الآيات من ١٦٩- ١٧١]** قال: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

ربما أكون متحمساً لفكرتي هذه أن حياة البرزخ للمؤمنين جيدة وهي للشهداء أجود كثيراً، ولذلك أضع تفسيرات لعلمائنا من الذين اهتموا بالشرح والتفسير ولن أطيل لأنّ الغرض إيضاح هذا الموقف الحق.

**قال ابن كثير** في تفسير هذه الآية «قال عبد الرحمن بن اسلم: هذه الآية جمعت المؤمنين كلهم سواء الشهداء أو غيرهم وما ذكر الله فضلاً ذكر به الأنبياء وثواباً أعطاهم الله إياه إلا ذكر الله ما أعطى المؤمنين من بعدهم».

**وقال الشوكاني** في تفسيره قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ يستبشرون بهذه الحالة التي ستحصل لمن يقتل منهم في سبيل الله أو يموت على الإيمان لإخوانهم من أنه لا خوف عليهم ولا حزن، وهذه الآية تطمئني وتطمئنك وهي ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

الآية تشمل المؤمنين جميعاً، ولكن فُضل الشهداء بأشياء كثيرة فهم أحياء عند الله ولو أننا نشاهد قبورهم وعظامهم، لأن حياة البرزخ شيء من الغيب لا يحيط به إلا الله تعالى، وهم يرزقون في طعامهم وشرابهم، وهم فرحون بذلك التكريم الذي نالوه، وهم يستبشرون بالمؤمنين بعدهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

## الأحاديث المتعلقة بالبرزخ

أحاديث كثيرة، وأذكرها الآن من دون شرح أو تعليق، فإنها فيما أجد تشرح ذاتها بذاتها، قال رسول الله (ﷺ):-

١- قال النبي (ﷺ): «العبد إذا وضع في قبره وتولى وذهب أصحابه حتى انه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فأقعداه فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل محمد (ﷺ)! فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقال انظر إلى مقعدك من النار أبدلك الله به مقعداً من الجنة، قال النبيّ (ﷺ) فيراهما جميعاً وأما الكافر أو المنافق فيقول لا ادري كنتُ أقول ما يقول الناس، فيقال: لا دريْت ولا تليْت، ثم يُضرب بمطرقة من حديد بين أذنيه، فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقليْن»[1]. أي الجن والأنس، إن سؤال الملكين وارد في جميع الكتب الصحاح من السنة.

٢- قال النبي (ﷺ) «اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ومن عذاب النار ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال»[2].

٣- قال النبي (ﷺ) «إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشيّ إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، فيقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة»[3] هذه الأحاديث وعشرات غيرها في كتاب مختصر صحيح البخاري.

٤- قال النبي(ﷺ) عندما مر بقبرين «إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير بلى، إنه

---

(١) مختصر صحيح البخاري ص ١٥٠- ص ١٦٤.

(٢) المرجع نفسه.

(٣) مختصر صحيح البخاري ص ١٥٠ – ص ١٦٤.

كبير. أما احدهما فكان يمشي بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستتر مـن بولـه، وقد اتفق الشيخان البخاري ومسلم علـى روايتـه، مـاذا فعـل الرسـول (ﷺ) ليخفف عنهما؟ قطع رسول الله جريـداً مـن النخـل وقسـم الجريـد قسـمين ووضع على كل قبر واحدة فقال الصحابة يا رسـول الله : لم صـنعت هـذا؟. فقال: لعل الله أن يخفف عنهما ما لم ييبسا»

**أظن أن الأحاديث لا تحتاج إلى شرح فان لغتها محكمة.**

# من أخبار السيوطي عن فتنة القبر

اهتم السيوطي كثيراً بهذا الموضوع، ولذلك رأيتُ ذكر ما وجده عن النبي (ﷺ) في مسالة البرزخ.

١- روى السيوطي نقلاً عن البخاري أنّ النبي (ﷺ) قال «أوحي إلي إنكم تفتنون في القبور، فيقال ما علمك بهذا الرجل؟ فأما المؤمن هو محمد رسول الله» جاءنا بالبينات والهدى فاجبنا واتبعنا فيقال له:نُمْ صالحاً، قد علمنا إن كنت مؤمنا وأما المنافق والمرتاب فيقول: ما أدري ما سمعت يقولون شيئاً فعلته كتاب الحاوي للفتاوي ص ١٩٣. عن الإمام أحمد والبهيقي قول النبي (ﷺ): «أما فتنة القبر فبي تفتنون وعني تسألون، فإذا كان الرجل الصالح أُجلس في قبره ثم يقال له فيم كنت؟ كتاب الحاوي للفتاوي جـ ٢ ص ١٨٦.

٢- وروى أيضاً عن الحاكم قول النبي(ﷺ) «أتقو البول فإنه أول ما يحاسب به العبد في القبر. وعن البهيقي: في كتابه عذاب القبر أن النبي (ﷺ) قال: «إن عذاب القبر من ثلاثة الغيبة والنميمة والبول فإياكم وذلك» الحاوي للفتاوي جـ ٢/ ١٩٣.

٣- وقال السيوطي عن الطبراني وأبي أيوب والبهيقي: لما مات بشر بن البراء بن معرور وَجَدَتْ عليه أمه وَجْداً شديداً، فقالت للنبي (ﷺ): «إنه لا يزال الهالك يهلك من بني سلمه، فهل تتعارف الموتى فَأُرسل إلى بشرٍ بالسلام؟ فقال نعم والذي نفسي بيده كما تتعارف الطير في رؤوس الشجر وكان لا يهلك الهالك من بني سلمة إلا جاءته أم بشر فقالت اقرأ على بشر السلام» الحاوي للفتاوي جـ٢ ص١٧٣ للسيوطي.

٤- وقال السيوطي: أخرج البزار بسند صحيح عن أبي هريرة «أن المؤمن ينزل به الموت وَيُعاين ما يُعاين، يَودُ لو خرجت نفسه، والله يُحب لقاء المؤمن،

وأنّ المؤمن تصعد روحه إلى السماء، فتأتيه أرواح المـؤمنين فيسـتخبرونه عـن معارفه من أهل الأرض، فإذا قال تركتُ فلاناً أعجبهم ذلك، وإذا قال: فلان قد مات قالوا: ما جيء به إلينا» الحاوي للفتاوي جـ٢ ص ١٧٤ للسيوطي.

٥- وقال السيوطي: روى ابن مالك في الموطأ أن كعب بن مالك كان يحـدث أنّ رسول الله (ﷺ) قال: «إن نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله إلى جسـده يـوم يبعثـه» ووصـف السـيوطي هـذا الحـديث بأنـه حـديث صحيح، وقد رواه أحمد بن حنبل في مسنده عن الشافعي عن مالك والنسائي ـ الحاوي جـ٢ ص١٧١.

٦- وقال السيوطي: اخرج الإمام أحمد وأبو داود والحاكم وغيرهم بسند صحيح عن ابن عباس أن النبي (ﷺ) قـال: «لمـا أصـيب أصـحابكم بأحـد جعـل الله أرواحهم في أجواف طير خضر، ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارهـا/ وتـأوي إلى قناديل من ذهب في ظل العرش».

وروى عن مسلم وعن غير مسلم من حديث عبد الله بن مسـعود أن رسـول الله(ﷺ) قال: «أرواح الشهداء عند الله في حواصل طير تسرح في أنهار الجنـة حيث تشاء ثم تأوي إلى قناديل تحت العرش» الحاوي جـ٢، ص ١٧١-١٧٢.

**ملاحظـة:** الفـرق الملاحـظ بـين أرواح المـؤمنين وأرواح الشـهداء أن أرواح الشهداء تسرح حيث تشاء، أي لها حرية التنقل في أنهار الجنة، ثم تأوي إلى قناديـل من ذهب تحت العرش، وهذا تميـز للشـهداء؛ وأمـا أرواح المـؤمنين فهـي في الجنـة وتأكل من ثمرها ولكن لم يذكر عن تنقلها أو مبيتها، إنه يوجد تميز خاص للشهداء.

٧- قال الشيخ سيد سابق عن عرض الأعمال أي أعمالنا على أقاربنا في حياتهم البرزخية قال: روى أحمد والترمذي عن انـس أن رسـول الله (ﷺ) قـال: «إن أعمالكم تعرض على أقـاربكم وعشـائركم مـن الأمـوات، فـإن كـان خـيراً

استبشروا به، وإن كان غير ذلك قالوا: اللهم لا تمتهم حتى تهديهم كما هديْتنا» كتاب فقه السنة للسيد سابق جـ ١ ص ٥٠٦.

٨- قال الشيخ المفسر ابن كثير: كان الرسول (ﷺ) يعلم أُمته أنهم إذا زاروا القبور أو مروا بالقبور أن يقولوا ما يأتي:-

«سلام عليكم أهل الديار من المؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، يرحم الله المستقدمين منك والمستأخرين، نسال الله لنا ولكم العافية».

قال ابن كثير معقباً: فهذا السلام والخطاب والنداء لموجود يسمع ويخاطب ويعقل ويرد وإن لم يسمع المسلّم.

## الحديث" لن ينجي أحداً منكم عمله!

روى هذا الحديث صحابيان شهدا رسول الله (ﷺ) وصحباه واستمعا منه وتطابقت الفكرة بينهما هنا وهناك، وإن كان اللفظ في هذا الحديث الأول جاء مرتباً على صورة ولكنة في الحديث الآخر جاء على صورة أخرى، قالت السيدة عائشة أم المؤمنين «سددوا وقاربوا وأبشروا فإنه لا يُدخل أحداً الجنة عمله قالوا ولا أنتَ يا رسول الله! قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني اللهُ بمغفرة ورحمة»، وقال أبو هريرة (ﷺ) قال رسول الله (ﷺ): «لن ينجي أحداً منكم عمله، قالوا ولا أنتَ يا رسول الله ! قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بمغفرة ورحمة سددوا».

لقد علمنا النص الدقيق للحديثين وقد رواهما المحدثان البارعان المهتمان بالأسانيد البخاري ومسلم، وكانت معرفتنا العاجلة المباشرة لكلا الحديثين أن العمل وحده ليس كافياً ليدخل الإنسان الجنة، وتساءلت النفس وماذا نقول في الآية التي جعلت العمل يدخل الجنة، قال سبحانه: ﴿ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، وهذه آية عامة ترد كثيراً في القرآن لتربط بين العمل ودخول الجنة، ومن ذلك قوله تعالى في **[سورة النحل: ٣٢]** ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، وقال سبحانه في **[سورة الأعراف]** ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ **[الأعراف: ٤٣]** .

إذاً نلمس اشتباهاً بين الآيات والأحاديث، الآيات تذكر العمل بكل وضوح وتجعل العمل سبب الدخول في الجنة، ولكن الأحاديث تقرن بين شيئين هما العمل والمغفرة أو قل العمل والتغمد، وفسر التغمد في الحديث بأنه مغفرة أولاً ثم تتلوها الرحمة.

هل هذا يجعلنا نفكر في أمر التغمد ثم نقول لا بد من طريق للحصول عليه حتى نستطيع النجاح فنحن لسنا في ملعب كرة القدم أو جولف، نحن أمام مصير دائم جنة أو نار، أمام موقف نريد أن نفوز فيه، نحن أمام كلام حق سينفذ حرفياً.

لقد استقر في ذهني منذ فترة طويلة أَن الأحاديث يكمل بعضها بعضاً وان الآيات يكمل بعضها بعضاً، وأن كلا المصدرين القرآن والسنة يكمل بعضهما بعضاً، لقد ركز الحديث الذي روته عائشة (﵂) على الكلمات «سددوا وقاربوا وأبشروا» لماذا؟ لأن فيها الحل وفيها البشرى وفيها الأمل، إننا نسدد أي نوجه النية إلى الله ونحتسب عملنا لله، هذا هو التسديد وأما المقاربة فلأن الإنسان مهما ارتقى في الفهم والعلم لا يستطيع أن يصل إلى الدقة المطلوب والعمل المطلوب مئه بالمئة، فما عليه إذاً إلا أن يقارب، أي يقترب من المطلوب، أنا أقارب في الصلاة لأَحصر ذهني في العبادة ونطق العبارات المطلوبة بدقة ولأعرف أني أكملت الركعات وأكملت مقالة الركوع والسجود والجلوس، كل هذا مقاربة، والحج مقاربة والصوم مقاربة، والبحث عن المحتاجين للزكاة مقاربة، العمل لله، والوسيلة هي الأسلوب أو الطريقة لنضع العمل في محله، لقد سددنا وقاربنا فجاءت البشرى، والبشرى هنا هي القبول، لقد رضي الله عنا وقبلنا، فالبشرى هي رضا الله تعالى عنا والبشرى الأمل بدخول الجنة.

فالحديث هو نفسه يفسر ما يخطر ببالنا، إن العمل وحده لا يدخل الجنة، ولكن العمل والتغّمد بالمغفرة والرحمة كلها جميعاً تدخل الجنة، وسبيلنا إلى ذلك هو العمل ثم التسديد ثم المقاربة ثم تأتي البشرى، إنها حلقة متكاملة من صور العمل والرضا.

إن الآيات التي ذكرت الرحمة كثيرة وكثيرة جداً ومن يدرس تلك الآيات يجد أن الله تعالى حدد لها اتجاهاتها لتصب في النهاية في إنقاذ المؤمنين قال سبحانه في

[سورة الأعراف: ١٥٦]: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾.

هذا طريق للرحمة، أن تتقي وذلك بالابتعاد عن المحرمات، وتؤتي الزكاة، وتؤمن بأن هذه الآيات الكريمة التي نزلت في كتاب الله تستحق الإيمان والاعتقاد، وهو اثر يقتضيه واقع الحال عند كل مسلم.

هَبْ أَنّكَ التزمتَ بالتسديد وقاربت ما أمكن لك المقاربة فما الدلائل على البشرى في حياتنا؟ إنها دلائل كثيرة وردت في القرآن ووردت في الأحاديث الشريفة، لقد تناولت الرحمة والمغفرة، ونستطيع أن نحيط بها ثم نعمل بها أو نلتزم بها، ثم نستبشر بنتائجها، أليس من الرحمة أنك إذا هممت بالسوء ثم تركت فإن لك حسنة، وإن هممت ولم تفعل لم يكتب عليك سيئة وهذا يشمل كل إنسان في الحياة كلها، ثم إن فعلت الشيء فأقل أجره وعطائه عشرة أمثال فعلك وقد يمتد الأجر ليصبح مئات من ما فعلت، ولا شك أن هذا واضح في آيات عديدة؛ ألا تستبشر بمثل هذه العلاقة؟

وأعمال يقوم بها الإنسان وضعها سبحانه لتمسح كل ما فعلته من السيئات: الجهاد يمحو، والحج يمحو، والتوبة الصادقة تمحو.

اترك الفخر والزهو بنفسك بأنك صنعتَ كذا وكذا، فإن أعمالنا جميعاً لا تعدل عضواً واحداً في جسمك، إن كان ذلك في الرجلين واليدين والسمع والبصر والإحساس والتذوق والفهم والتذكر و...و...، إن هذه الأمور لا تحصى، فليكن الزهد والاحاطة بأوامر الله ومعرفتها وصدق النية وتلاوة القرآن ليكن هذا كله وأكثر منه سبيلاً لك ولامتك الإسلامية للتغمد بالرحمة.

إني أفرح كثيراً عندما اكتب مقالة في اللغة العربية وأتناول فيها الفرق بين

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ﴾ وبين قولنا إذا قلنا أو أردنا أن نقول (الذين هم في صلاتهم ساهون)، وأشعر بالسعادة إذ يمكنني الله جل وعلا من وضع كتاب اسمه «حوار بين الحق والباطل»، أو وضع كتاب في كيفية رسم المصحف، أميز فيها بين كتاباتنا العادية في دفاترنا ومجلاتنا وصحفنا وكتبنا وبين كتابة المصحف الشريف، نكتب السموات بألف صغيرة فوق الميم، هذا في كتابة المصحف الشريف، ونكتب السماوات بألف ممدودة في كتاباتنا الصحفية وغير الصحفية، ونكتب لأذبحنه في كتاباتنا العادية من دون زيادة ألف بعد الهمزة ولكنا نزيد ألاف في كتابة المصحف الشريف هكذا ﴿لَأَاْذۡبَحَنَّهُۥٓ﴾، ونكتب كلمة (شجرة الزقوم) بالتاء المربوطة ولكننا في المصحف الشريف نجدها هكذا ﴿شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ﴾ كل هذا أفرح به وأشعر بنيل الرضا من رب العالمين لأنه مكنني من هذا العمل، فتمكين الله تعالى للأمة وللفرد هو من مظاهر رحمته، فأنا مسلم، وعلاقتي بالقرآن متصلة لا تنقطع، أنا لستُ مبهوراً بمدينة سويسرا أو النمسا، إني ملتصق بآيات كتاب الله، فإن ما يصيبنا هو من رحمات الله، إن كان ذلك تمكيناً في تأليف أو تمكيناً في تجارة أو تمكيناً في إقامة دولة إسلامية، أو في إصلاح ذات البين، أو حتى تمكينا في صبرك على البلوى، يسأل الله تعالى الملائكة وهو أعلم بما سأل، هل قبضتم جماع فؤاده؟ قالوا نعم، قال سبحانه فماذا قال عبدي؟ قالوا لقد استرجع وحمد الله، قال سبحانه برأفته ورحمتة ابنوا له بيت الحمد في الجنة؛ نحن لا نتكلم عن الجنة كأنها صورة ذهنية جاءتنا من الأساطير كما هي في حضارات الغرب، وإنما هي كيان عظيم ودار عظيمة ماثلة أمامنا، نراها من خلال كتاب الله كما نرى بيتنا وحديقتنا ومتجرنا وسوقنا وغير ذلك مما حولنا.

التغمد بالمغفرة والرحمة والعمل الذي يؤديه المؤمن وجهان لعملة واحدة، هذه

أمور متشابكة لا ينفصل بعضها عن بعض، وكلها وردت في آيات من كتاب الله جل وعلا، ووردت في الأحاديث الشريفة. وقد جرت في خط واحد هو العمل، التسديد والمقاربة، البشرى بالمغفرة والرحمة.

قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ **[يس: ١١]** وقال سبحانه: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ **[الأعراف: ١٥٦]**. وقال سبحانه: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ **[النحل: ٣٢]**. وقال سبحانه: ﴿وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ **[الأعراف: ٤٣]**.

إن القران يؤخذ كاملاً، لا يجوز أن تأخذ بعضاً منه وتترك البعض الأخر، كتاب أحكمت آياته ثم فصلت، إن نظرت إليه بهذا الشمول تجد فيه إجابة فيه إجابة لكل ما يخطر ببال عن هذه الحياة وطرائقها.

## ابن عباس يُزيل شكوكهم

ما أكثر ما سأل الصحابة ابن عباس عن تفاسير الآيات التي اشتبهت عليهم، وما أكثر من سأله من الرجال عن معاني ألفاظ القرآن وآياته، وكان أشهر من تعرض له بالأسئلة نافع الأزرق من زعماء الخوارج، سأله ما الحنان، وما معنى أجاءها وما معنى عزين و ... و... حوالي مئة مسالة؛ وكانت هذه الأسئلة طبيعية لمن عاصر ابن عباس، يظنون أو يشكون فيغسل قلوبهم، إنَّ هذه التساؤلات طبيعية لكل من أحب كتاب الله وصار يدرسه، وطبيعية كل من يفكر ويتدبر، القرآن الكريم بحر واسع من الفكر والتدبر.

**مع السائل عن الكتمان يوم القيامة.**

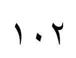
أ- تقول عدة كتب في شروح القرآن الكريم أن سائلاً لقي ابن عباس فسأله عن الكتمان أي عن قوله تعالى: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾ وعن قوله تعالى الذي يبدوا أنه يحمل معن مخالفاً ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ ولكنهم كانوا في الحقيقة مشركين نقول إننا لم نكن مشركين، فختم الله على أفواههم فتنطق جوارحهم أرجلهم وأيديهم، فعند ذلك عرفوا أنَّ الله لا يكتم حديثاً، وعند ذلك يود الكافرون لو كانو مسلمين. وسوف يفصل القول في هذا عن تعرضنا للمشتبهات اللغوية.

ب- وقال السائل: يا ابن عباس: يقول الله جل جلاله: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ وقال سبحانه وتعالى في ذات المعنى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ ما هذا الاختلاف؟ يتساءلون ولا يساءلون!

قال ابن عباس: أما في النفخة الأولى ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ إذ يأتي الصعق، قال سبحانه: ﴿فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ عن ذلك لا انساب بينهم ولا يتساءلون ولكن في النفخة الآخرة أقبل بعضهم على بعضٍ يتساءلون.

ودعا ابنُ عباس سائله أن يطمئن، فكل هذه المواقف وهذه المشاهد من مواقف ومشاهد القيامة، كل ذلك من عند الله، ودعاه أن يعلم أن هذا القران العزيز من الله فلا اختلاف فيه.

**ملاحظة:** سيأتي في صفحات قادمة مناقشة لموضوع مشابه وهو هل يسأل الله تعالى الناس عن أعمالهم أو لا يسألهم، يوجد آيات متعارضة فيما يظن البعض.



# في المشتبهات اللغوية

توطئه

أنت مؤمن أو مسلم؟

مؤمن ومسلم في اللغة

هل النبيّ هو الرسول

همت به وهم بها.

أهل القرية الذين لا يرجعون.

المنفع والمنفعة.

التساؤل.

كتمان الحديث.

ما معنى نَسَخَ وأنسي؟.

# توطئة

**ما المقر وما المستودع؟**

**ما المؤمن وما المسلم؟**

**ما النبيّ وما الرسول؟**

**ما الفرق بين استيسر وتيسّر؟**

**وماذا نعني بالزيادة في قوله تعالى:** ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ﴾؟

**وما الذي سينبأ الإنسان، به في قوله تعالى:** ﴿يُنَبَّؤُاْ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذِۢ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾؟

**ما الذي أخره، ماذا تعني عبارة أيام الله إذا قال سبحانه:** ﴿وَذَكِّرۡهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِۚ﴾، ومن الرجلان اللذان ضُرب بهما المثل ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا رَّجُلَيۡنِ أَحَدُهُمَآ أَبۡكَمُ﴾ وأما الأخر فهو الذي ﴿يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾، نقول: إن الله خالقنا ونقول إنه سبحانه في السماء إله وفي الأرض إله، فماذا نعني بالاسمين الجليلين: الله، الإله، ونقول هو الرحمن الرحيم، فما الرحمن؟ وما الرحيم؟ وقد ركزت كتب تفسير القران الكريم على الجانب اللغوي في تفسير كل آية في المصحف الشريف مثلاً: يستبشرون معناها يفرحون وأصلها من البَشَرة لأن الإنسان إذا فرح ظهر أثر السرور في وجهه، القَرح بمعنى الجرح، حسبنا الله أي الله كافينا، الحظ: النصيب وهو يستعمل في الخير والشر، يجتبي يختار، سيطوقون من الطوق وهو القلادة لأنها تلازم العنق.

كل هذه الأمور تدخل فيها اللغة، ويدخل فيها الاجتهاد اللغوي، وقد أحسن اللغويون المؤمنون إذا بحثوا هذه النقاط جميعها وتركوا لنا الباب مفتوحاً لكي نقرأ ما كتبوا أو تقرأ ما يكتبه المعاصرون المهتمون باللغة والدين عنهم وعن تيسيراتهم

لنا، كان أمر اللغة في زمن الرسول ومن بعده ميسوراً بالفطرة إلى عشرات السنين، ثم تيسر ما بعد ذلك بالبحث والتنقيب والإحاطة بالمعاني إلى زمننا هذا، والله أعلم أنه سيمتد إلى مئات السنين كذلك.

إنّ أي سورة في كتاب الله تشمل ما نقول، ففيها مواقف لغوية يبحثها الدارسون المسلمون وغير المسلمين، وهي تتسع لدراسات متعمقة تستند إلى الفكر واللغة ولا يشترط في الباحث إلا شيء واحد، هو صدق نيته، وحبه لمعرفة الحقيقة، الأخذ بها علناً أو سراً، يعلن إن استطاع ويسر بها إن وجد إن قوماً سيؤذونه إن علموا بقوله.

تلوت قبل قليل عدة آيات من سورة مريم، ووجدت فيها مواقف لغوية تستحق البحث والحوار، قال جل وعلا وهو يوحي إلى زكريا ﴿قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ **[مريم: ١٠]**، ماذا تعني عبارة ثلاث ليال سوياً قال بعض المفسرين: أي أن تكون صحيحاً سوياً من غير مرض ولا عله.

وقال بعضهم الأخر: كان زكريا (عليه السلام) يقرأ ويسبح ولا يستطيع أن يتكلم مع قومه إلا بالإشارة.

وقالوا: ثلاث ليال سوياً، أي متتابعات.

إنها جميعا آراء مقبولة ولا حرج فيها.

وتجد مثل هذه الاجتهادات في أية ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾، أي في معاني أوحى إليهم، كيف تم ذلك؟ وتجد مثلها في ﴿يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾ وتجد مثلها في مواقف عديدة، ولن يعترض على فهمك أحد ما كنت تعتمد اللغة وفهمها وصفاء النية وصدقها.

وفي معرفة الفرق بين كلمتي النبيّ والرسول نجد أَنّ إن الآيات هي التي تقودنا إلى معرفة سبب خطاب النبي (ﷺ) بأنه الرسول مرة وأنه النبي مرة أخرى، قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ﴾، وقال سبحانه: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾، وهناك آيات تخاطبنا كمؤمنين وأخرى تخاطبنا كمسلمين، قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ﴾، وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ﴾؟ وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾؟ وقال سبحانه: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾ وهكذا .

وقالوا إن الآيات الكريمة هي التي تقودنا إلى معرفة الفرق بين رَوْح وروح، قال سبحانه: ﴿وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ﴾ وقال سبحانه: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٨٨) فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾ وقال سبحانه: ﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ وقال سبحانه: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾، ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾، وهي التي تقودنا إلى معرفة أسباب إهلاك القُرى قال سبحانه: ﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ ومن الآيات نعلم الاستثناء في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ

وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾.

فهل ينتهي عذاب الأشقياء؟ إن قلنا نعم لأن الاستثناء يقول: إلا ما شاء ربك، فيجب علينا معاملة السعداء معاملة مماثلة، أي يجب أن نقول أن نعيم السعداء سينتهي! كيف ذلك وليس في الآخرة إلا الجنة أو النار، لقد حسم رسول الله (ﷺ) الأمر فأنبأنا أنه ليس بعد هذه الدار إلا الجنة أو النار، إنَّ الباحثين الكرام يجمعون الآيات ذات الموضوع الواحد ويوازنون بينها ثم يستنبطون الحقيقة.

إن بحث المشتبهات اللغوية من أجمل البحوث في هذا القران العظيم، إنه نشاط فكري كبير، وإنه سير في طريق مضى يوصلنا لفهم دقائق كتاب الله، لا يظللنا في هذا الطريق إلا لغتنا العربية أي لغة القرآن الكريم، وما في هذه اللغة من إعجازات فكرية معنوية بالإضافة إلى إعجازات النَظْم اللغوي واللفظ الذي يحمل أدق المعاني ولن يغني عنه لفظ آخر سواه في جملته وآيته وعبارته؛ إنه الإطار في المصحف الشريف أي البناء اللغوي معجز وإنَّ الفكر معجز أيضاً.

توقفْ طويلاً عند البحوث القرآنية التالية، فإن العلماء الأفاضل أرادوها أن تكون طمأنينة للنفس، لأنها تزيل الوحشة عن بعض المواقف التي نتساءل عنها، كيف هذه وكيف تلك؟ وإني أظنك أنك ستقول بعد قراءتها، إن الله أحكم كتابه، إن بعض المواقف سهلة واضحة يعرفها من يقرؤها من أول نظرة، وبعضها يَحتَاج إلى أعمال فكر فنفهما بشيء من البذل والعطاء.

## من المؤمن ومن المسلم؟

### الدين الإسلامي:

آخر الأديان وهو دين البشرية جمعاء، اسمه (الإسلام) ، فيكون أفراد هذا الدين مسلمين، وكل واحد منهم اسمه مسلم، هذا واقع حال خطاب الله للبشر جميعاً، قال سبحانه: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ **[آل عمران: ٨٥]**، والآيات في سورة آل عمران وردت كما يلي:

﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ **[آل عمران: ٨٣ - ٨٥]**.

إن الآيات تشير إلى أن ما أُنزل من الله على جميع الرسل السابقين هو حق وليس لأحد من المسلمين أن ينكره، كما تشير إلى أَن هذا القران في سوره وآياته شامل لما في الصحف والكتب السابقة في جوهرها، وتشير إلى أن ما أُنزل على الرسول في أخر الأمر هو المستقر والمأمن، فقد حوى جميع ما فات في جواهره، ثم فُصل علينا لنطبق ونحتكم إليه في كل أمورنا؛ وهذا ما تتضمنه عبارة ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ﴾.

ومن هنا تجد الآيات تحث العالمين على اتّباع هذا الدين لأنه شامل لكل ما

نزل على الرسل أو أوتي الرسل، قال سبحانه: ﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ **[المائدة: ٣]**، وقال سبحانه: ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ **[الأنعام: ١٢٥]**، وقال جل وعلا: ﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ **[الزُّمَر: ٢٢]**، وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الْإِسْلَامِ﴾ **[الصف: ٧]**.

تسلسل الأفكار في الآيات السابقة أمر مؤكد برغم التباعد في مواضع الآيات، فالله جل وعلا قد رَضِيَ أن يكون الإسلام نهاية المطاف فقد اكتمل هذا الدين وتمت به النعمة، وهذا يدل أن الله تعالى كان يهيئ الأمم لهذه الخاتمة يهيئها في العقائد والأحكام والعظة والعبرة والاستيقان من لقاء الله، ومن أحسّ من البشر أن صدره منشرح في دراسة هذا الدين والأخذ بعطاياه فقد جاءته الهداية، وأما الدين اعرضوا فأولئك قساة القلوب، واحسرتاه عليهم وعلى أمثالهم، لقد توجهوا إلى الويل، وباءت أعمالهم بالفشل لأنه ينتظرهم عذاب خالد لا تَمَهُّلَ فيه ولا خروج منه، ومن حَسّن موقفه بصناعة الأكاذيب عن الإسلام لأنه يريد إبعاد الآخرين عن الدين كما ابتعد هو، ولم يكتف بانجرافه هو، فإنه أشد بؤساً من زمرته التي هلكت بفعل يديها؛ لأنه يحمل وزره وأوزار من أَضَلَّهم .

إنّ **كلمة مسلم** وهي المشتقة من الإسلام، فقد تكرر هذا اللفظ الذي أصبح مصطلحاً بعد الدعوة الإسلامية كثيراً لأنه صار يدل على صفات محددة في الإنسان الذي يعتنق هذا المذهب، لقد تكرر ثمانياً وثلاثين مرة، وازداد تكرره بلفظ مسلمات ومسلمة وأمة مسلمة وغيرها، وماذا يعني تكرار هذا اللفظ هذا التكرار ذا المعاني المتعددة وفقاً للمواضع المتعددة؟ ما الأهمية لهذا اللفظ إنه يعبر عن العظمة

والأهمية لهذا الإنسان المعتنق لهذا المذهب الإسلامي، النتيجة الرائعة لهذا لا الإنسان نجاحه في دار الخلود، لقد تنوعت هذه المعاني في القرآن وكل معنى في موضعه، يقول سبحانه: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا ﴾ فهو أمر للخلق بأن يكونوا كإبراهيم، ويقول سبحانه: في **[سورة البقرة: ١٢٨]** ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ﴾ وهو دعاء إبراهيم بأن يكون هو وولده إسماعيل مسلمْين لا يخالطهما الشرك أو ما يقرب من الشرك، كان أهمية الشخصية الإسلامية لا يقاربها أهمية أخرى، فالأنبياء وصفوا في كتاب الله بالمسلمين ووصف سبحانه المؤمنين الذي اكتمل إيمانهم بالمسلمين، ولكنه سبحانه يصف في آيات كثيرة الذين يخطئون أو الذين يوجههم سبحانه لعمل طيب حتى يعملوه بأنهم مؤمنون، ربما تجد في سورة الذاريات ما يجعلك تتمسك بكلمة مسلم قال سبحانه: ﴿ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ **[الذاريات: ٣٥ - ٣٦]**، كان الخطاب عن رسول الله لوط عليه الصلاة والسلام وهو ابن أخي إبراهيم (عليه السلام) أخرجت الملائكة المؤمنين من قرى لوط، ولم تجد الملائكة إلا بيتاً واحداً يستحق الوصف (المسلمين) وهو بيت الرسول لوط (عليه السلام).

وهذه أمثلة على ورود كلمة (مسلم) ضمن الآيات المتنوعة وضمن السور المتنوعة، قال سبحانه: في سورة يوسف ﴿أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ إن يوسف (عليه السلام) لما رأى ما أتم الله عليه من الملك وتأويل الأحاديث وجمعه بأبويه وإخوته وإقرار عينيه بهم جميعاً دعا ربه جل وعلا بأن يتوفاه مسلماً ، فهذه تكون الخاتمة العظيمة، قال يوسف: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾.

وقال سبحانه في سورة البقرة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ **[البقرة: ١٣٢]**، وهذه هي توصية إبراهيم وحفيده يعقوب عليهما الصلاة والسلام بأن يلتزم أبناؤهم بالدين وينصبغوا بأخلاقه طوال حياتهم، الاستمرار على ذلك حتى تأتي ساعة اليقين.

وقال سبحانه يصف فرعون وهو في أشد حالات الخوف والفزع إذ رأى جبال المياه تطبق عليه وعلى آل فرعون وهامان وجنودهما: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ **[سورة يونس: آية ٩٠]**، كلها معاني تؤكد أن كلمة المسلم هي المناسبة لمقام الإنسان الذي آمن وانقاد لأمر الله وسلم نفسه لربه كما يسهم الأسير للقائد المنتصر، فلا حركة ولا كلمة إلا بإذن ربه، فهل هناك أعظم من علاقة يحسُ فيها المسلم أنه صلى لأن الله أمر بالصلاة، وصدق في حديثه لأن الله أمر بالصدق وعامل أرحامه بالحسنى لأن الله سيسأله عن الأرحام، وحمل سلاحه وحارب لينقذ البشرية من عبادة الأوثان والكواكب والجبال والأصنام والبشر والدينار والدرهم والدولار والين والروبل والمارك والفرنك... الخ.

وفوق ذلك كله أنه سبحانه سمانا المسلمين وان إبراهيم (عليه السلام) كان أول من التصق الاسم به، فقد سماه القران (حنيفاً مسلماً)، وقد ورد في سورة الحج آيات تدل على هذا الالتصاق.

قال سبحانه: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ **[الحج: ٧٨]**، لقد تكررت كلمة (هو) ثلاث مرات، وكلها ضمائر بدل اسم (الله) عز وجل، إذا سمانا الله تعالى بهذا الاسم

(**مسلمون**)، فهل نقبل بكلمة سني أو شيعي أو خارجي أو معتزلي أو بهائي أو مرجئي أو غير ذلك من الأسماء التي ابتدعناها ولا نقبل باسم أطلقه الله تعالى علينا؟

**كلمة مسلم في القران والأحاديث:**

هذا حديث لسعد بن أبي وقاص(ﷺ) قال سعد «قسم رسول الله قسماً فقلت يا رسول الله أعط فلاناً فإنه مؤمن فقال النبي (ﷺ) أو مسلم أقولها ثلاثاً ويرددها عليّ ثلاثاً»، ثم قال: «إني لأعطي الرجل وغيره أحب إليّ منه مخافة أن يكبه الله في النار» مختصر صحيح مسلم ١/ ١٣٩ الألباني. واضح أن الرسول يمدح الرجل على دينه وتقواه فقال أو مسلم، أي إنه موكول لدينه الصحيح، وهو إنسان مستقيم.

وأما في القران فقد ورد شيء كثير، أمر الرسول بان يكون مسلما ﴿إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلۡبَلۡدَةِ ٱلَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَيۡءٖۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ **[النمل: ٩١]**. وللتفصيل في هذه النقطة حتى تقطع الشك باليقين نذكر الآيات الكريمة التي توضح اعتبار المسلم ثم اعتبار المؤمن، وكيف نجزم القول في كليهما استناداً لنصوص متواترة، وهي نصوص تصف المؤمنين وتصف المسلمين، وقد وردت في النبع الصافي أي في كتاب الإعجاز الأبدي القرآن الكريم.

**مُسلم**

أ- قال سبحانه في سورة يوسف (١٠١) يصف دعاء يوسف ﴿أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

ب- وقال سبحانه يصف دعاء إبراهيم لنفسه وولده إسماعيل ﴿رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا

مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ١٢٨].

جـ - وقال سبحانه في خطابه للمؤمنين جميعاً ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

د- وقال سبحانه يصف وحيه للحواريين واستجابة الحواريين لما دعاهم إليه ﴿ وَإِذۡ أَوۡحَيۡتُ إِلَى ٱلۡحَوَارِيِّـۧنَ أَنۡ ءَامِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّنَا مُسۡلِمُونَ ﴾ [المائدة: ١١١].

هـ- قال سبحانه في سورة الأنعام ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣].

إن رسل الله وصفوا بكلمة المسلمين وإن رسل الله دعوا الله تعالى أن يميتهم مسلمين، وخاطب الله ألا يموتوا إلا وهم مسلمون، ماذا نفهم من ذلك؟ أما فقد استقر الفهم لدي أن المسلم بلغت قناعتُه الذروة، وأن عمله خالص لوجه الله وأن ما يقع منه إنما هو أخطاء وعد الله جل وعلا بمغفرتها له، فإن كلمة مسلم تدل على آخر سُلَّم الارتقاء في أعلى الدرجات؛ هذا هو الاسم الذي اختاره الله لنا.

**مؤمن:**

يخاطب المؤمنون في القرآن كله بأحد خطابين: (أ) صدر منهم خطأ فعليهم إصلاحه. (ب) هناك توجيه لعمل يريده تعالى لهم ليتمسكوا به وهذه أمثلة من كتاب الله جل وعلا:-

قال سبحانه في توجيه المؤمنين للإصلاح: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ **[الحُجُرات: ١٠]**، وقال سبحانه: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ﴾ **[آل عمران: ٢٨]**، وقال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ﴾ **[التوبة: ١٢٢]**. وقال سبحانه: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ **[المجادلة: ١٠]**، وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ **[آل عمران: ١٣٩]**، وهكذا، إن المؤمن في طريقه إلى الله، وإن المسلم وصل إلى القمة.

## هل النبي هو الرسول؟ هل هناك نبي ولم يكن رسولاً؟

اشتهر بين صحبي الذين أجالسهم وأستمع لأحاديثهم راضياً مرة وساخطاً مرةً أُخرى، اشتهر قولهم: كل رسول نبي ، وليس كل نبيّ رسولاً، لكني لم ألاحظ أنّ لديهم شيئاً ما يستندون إليه ويسوغون لأنفسهم به قول ذلك، إنما هي عبارة صيغت صياغة جميلة، كما صاغوا في العصر الحاضر عبارة سياسية تجعلك تفكر وتعيد التفكير لتصل إلى هدف واضح ولكنك لا تصل، قالوا: « أوباما هو الرجل الأبيض في البيت الأسود» ولم يسعفني الحظ لأدرك الغرض من ذلك ما هي إلا عبارات منمقة، ولكن وازعها وثمرتها ضعيفة.

دَعْ ذا، ، وانظر إلى لفظ (النبيّ) ولفظ (الرسول)، لقد جرى في مجالسنا الحديثُ عن ذلك الإنسان العظيم الذي يختاره الله عز وجل من بين الملايين من البشر، ويودع فيه فكراً راقياً رائعاً ينقله إلى قومه أو إلى خارج قومه، هل نسميه النبي؟ هل نسميه الرسول؟

هذا أمر لغوي ويحتاج إلى أمثلة تطبيقية، وليس إلى قاموس يذكر معاني كثيرة يتوه فيها الباحث، نريد أمثلة لغوية أدبيه راقية ترد فيها كلمة (نبي) أو كلمة رسول، ثم نوازن بين المعاني لنعرف اتجاه التسمية، نريد قراءة الأمثلة الأدبية التي حوت لفظ الرسول أو لفظ النبيّ؛

الآيات التالية تشتمل على أحد اللفظين أو كليهما، وسنعلم شيئين هما: ما الفرق لغةً بين لفظ النبي ولفظ الرسول؟ ومتى ترد كلمة النبي ومتى ترد كلمة الرسول، وذلك من خلال هذه الأمثلة القرآنية الأدبية الراقية.

١- وقال سبحانه في **[سورة طه ٤٧]**: ﴿ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ ﴾ .

٢- وقال جل وعلا في **[سورة آل عمران ١٨٣]**: ﴿قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾.

٣- وقال جل وعلا في **[سورة يونس أية ٧٤]**: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾.

ألا ترى من هذه الآيات الثلاث ومما يقرب من ٤٠٠ آية وردت فيها كلمة الرسول أو الكلمات المشتقة من أرسل ورسل ألا ترى أنها تدل على أمر حمله من اصطفاه الله جل وعلا إلى البشر أو إلى البشر والجن فيما يقول بعض المفسرين، فهذا هو اتجاه كلمة (رسول)، إنسان مختار وجهه رب العالمين إلى آخرين لنقل كلماته وأوامره ونواهيه وحِكمه وعظاته وما تعلق بذلك.

**أما كلمة النبيّ فقد وردت فيما يلي:** -

١- في سورة الأنفال أية ٦٤، ٦٥، ٦٧، قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ﴾ وقال سبحانه: ﴿مَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾.

٢- وفي سورة **[آل عمران ١٦١]**: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

٣- وقال سبحانه في **[سورة التوبة أية ٦١]**، ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ﴾.

٤- وقال جل وعلا : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ﴾ **[سورة التحريم: ١]**.

وترى في هذه الآيات الواردة في السور الأربع أن كلمة (**النبيّ**) تتعلق مباشرةً بأخبار ذلك الإنسان المصطفى، وأخبار شخصية، إنها توجهه وتأمره وتخفف من آلامه، فآية ﴿حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ تخفف من اللأواء والمضايقات التي لاقاها من قومه، فتقول له:- ألا يكفيك يا محمد أن الله معك؟ ألا يكفيك يا محمد أنك ترى المؤمنين يتبعونك ويبتغون رضاك؟ وترى الآية الخامسة والستين من سورة الأنفال تأمره بالعمل، وهو عمل خطير جدير بشخصية عظيمة، إنك أيها النبي مقاتل ومن مهامك أن تحضّ على القتال، لذلك حرض المؤمنين في المعركة ليقاتلوا، ثم سيكون لهذا القتال أسرى وهو وعد مباشر له بالنصر، فلا تبحث عن الأسرى لتفتدي أو تغتني، لأن الأصل أن تهابك جزيرة العرب فاقتل في المعركة تلك الشخصيات الفاجرة التي جاءت لهدم الدعوة والإفساد في الأرض وظلم العباد، اقض عليهم لأنهم حاجز مادي قوي يعارض نشر الإسلام، ويمنع الناس من عبادة ربهم، هذا شأن أبي جهل فرعون هذه الأمة وشأن من عمل مثله.

وبَيّن في سورة آل عمران أن الأنبياء لن ينالوا شيئا من الغنيمة، فلا يجوز أن تنظر عيناك إلى الغنيمة فإنه محرمة إلا بإذن الله ومعرفة المقاتلين معك، إن هذا توجيه خاص لرسوله (ﷺ) وبينت آية التوبة اتهام بعض المنافقين للنبي بأنه سمّاع لمن ينقل إليه الأحاديث، فدافع سبحانه عنه انه سماع للخير وليس كما تظنون، وأما سورة التحريم فكانت أيضاً في أشياء خاصة للنبي مع زوجاته إذ قلن له شيئا أفسد عليه بعضاً من معيشته الخاصة.

كلمة رسول تأتي وفقاً للاستقراء والاستنتاج لوصف عمل الرسول في الدعوة وعلاقته بالناس الذين يخاطبهم بالإسلام ليؤمنوا كما تأتي لمجالسه معهم وهو يقول نزل عليّ كذا في الربا ونزل علي كذا في البيع والشراء، وأما كلمة (**نبي**) فهي في

أشياء توجهه مباشرة إلى أشياء تتعلق ببيته ونسائه وسلوكه الخاص وقد بينت الآيات الأربع السابقة ذلك.

**الكلمتان أَنْبا وأرسل:** -

إن كلمة النبي مأخوذة من كلمة **(نبأ)** أي خبر مهم؟ والعرب استعملت كلمة الأنباء للأخبار المهمة، وقد جاءت هذه اللفظة **(نبأ)** أو ما اشتق منها حوالي ٤٨ مرة بمعنى الخبر، والمسالة ليست مسالة عدد بل هي تركز على النبأ هو الخبر المهم، وانظر إلى طريقة استعمال هذه الكلمة لتستدل على أن الأخبار والمادة الإخبارية الهائلة تدور حول النبأ والأنباء، قال سبحانه: ﴿فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ﴾، الواضح لنا كقراء لكتاب الله إن زوج النبي أخبرت غيرها بحادثة ما، والله تعالى أخبره أن زوجه فعلت كذا وكذا، ذلك مثل وخذ مثلاً أخر: قال سبحانه في سورة يوسف: ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ﴾ **[يوسف: ٣٦]**؛ ماذا طلب صاحب الرؤيا من يوسف عليه الصلاة والسلام؟ طلب إليه أن يخبره عن تأويل هذه الرؤيا، فكلمة نبئنا لم تتجاوز الأخبار والمواد الإخبارية، وننهي هذه الأمثلة الثمانية والأربعين بشرح قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ **[البقرة: ٣١]**،

لم تستطع الملائكة إخبار أي شيء:- ولا قالت كلمة واحدة عن طبيعة هذه المخلوقات في الأرض، لقد كانت الملائكة تظن أنها تعلم مالا يستطيع أن يعلمه غيرها، فجاء درس التربية والتعليم لهذه الطائفة من مخلوقات الله، قال سبحانه يخاطب آدم بعد أن علمه تعليم إحاطة عن هذه الكرة الأرضية وما عليها

وماذا يمكنه أن يتصرف بها وقال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنباهم بأسمائهم قال ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ **[البقرة: ٣٣]**.

أما كلمة **(النبيّ)** فقد جاءت مع ألفاظ أنبأ وينبىء ونبئوني وانبأهم وتنبئون والنبأ، فهي إذن من محيطها، ووضعت كلمة النبيّ بعد هذه الأفعال السابقة، كما تقول أن كلمة الجالسين أخذت من كلمة جَلَس، وإن المدرسين أخذت من كلمة درّس، وهكذا، فهي إذن من محيط الأخبار ومن بيئة الأخبار وكلمة النبي أصلها النّبيء، فهي صيغة مبالغة، كما تقول علم فهو عليم وسمع فهو سميع أي علم كثيراً وسمع كثيراً، والنبي جاءته أنباء كثيرة بل خطيرة الشأن فسمّي النبيء، ثم حولت الهمزة إلى ياء للتخفيف فصارت (النبيّ) لأن الياءين يغنى عنهما الياء المشددة أو كما يسمونها حالة التضعيف.

إذا كان الموضع مخاطبة مباشرة للنبي (ﷺ) مخاطبة عن أزواجه أو عن عبادته أو عن سلوكه في القتال أو صبره على الأذى فإن الكلمة تأتي النبي، وأما إذا كان الموضع ذهابه إلى قومه ومحاورته لطائفة من المسلمين، أو بيان قيمة موضوعه الذي ينقله إلى الناس فإن كلمة (الرسول) هي التي تذكر.

كل منهما له موضعه، موضع الرسالة بكل شؤونها الفكرية والوعظية والقصصية والحكمية يقتضي استعمال كلمة **(الرسول)** وأما ما يتعلق بالرسول من أخبار عنه وعن بيئته الخاصة فإن كلمة **(النبي)** هي التي تستعمل.

فالنبي هو الرسول، والرسول هو النبي، ولكن هذا الإنسان الكريم يخاطب بهذه مرة لمقتضاها ويخاطب بتلك مرة لمقتضاها وما علمنا ذلك إلا بفضل الله، فقد أمر سبحانه بالتفكر في كل شيء، واستعمال العقل والفهم في كل شيء، وما التوفيق إلا بيده، فإنه تعالى يهدي من يطلب منه الهداية ويعين من يطلب منه

العون، وتجد الله تجاهك كلما اتجهت إليه، وقد نصح رسول الله ابـن عبـاس بكـل هذه الأمور.

## هَمَّتْ به وَهَمَّ بها

هذه النقطة أخذت موضعاً قويـاً في تعليلـها وتفسـيرها، أو فهمهـا وتأويلـها، يقولون: هل الرسول يميل إلى فعل الفاحشة بسبب طبيعته البشرية؟ أو هو معصـوم عن الفواحش كلها؟ ما المعاني التي حملتها عبارة همت به وهَمّ بها، هل هنـاك هـم بالمعاشرة أم هو هَمّ غير ذلك؟

لقد ورد في[ **سورة يوسف في الآية الرابعة والعشرين**] قوله تعـالى:-﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ ﴾ بماذا هَمّ، وبماذا هَمّت به؟. أجاب ابنُ كثير عن هذه التسـاؤلات، ولكـني لم أر إجاباتـه تسـتند إلى نصـوص مـن الكتـاب الكريم أو من أحاديث الرسول، إنها أراء ظنية، فأورد أنه أراد الجمـاع، وأورد أنـه خطر بباله ولم يعزم، وفكر أنه يضربها أو يؤذيها عندما لمس بملاحظاته أنـه تريـد أن تضربه أو أن تؤذيه، وأورد أنه تمنّى لو كانت امرأة العزيز زوجاً له، إنها جميعاً لم تقم على برهان واضح، بل قامت على الظن، والظن لا يغني من الحق شيئاً، أن تمسكنا بلفظ الآية وعباراتها ومعانيها يقربنا كثيراً من معرفة حقيقية ما جـرى، إن الله جـل وعلا أنقذ رسوله، قال سبحانه:-﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ لقد صرف الله تعالى عن الرسول شيئين وليس شيئاً واحـداً، لقد صرف عنه السوء والفحشاء فما السوء وما الفحشاء؟

السوء في لغتنا العربية هو الأذى بكل أنواعـه، فالشـتم أذى، والضـرب أذى،

وجرحك لغيرك أذى، لقد همت امرأة العزيز أن تؤذيه بعد أن نال من كرامتها ما نال، وبعد أن ذكرّها بأن زوجها رجل عزيز كريم أحاطه بالرعاية في بيته وأكرمه ولطف به ولذلك لن يفعل الفاحشة، فاستشاطت غضباً فما الموقف الآن بعد أن بلغ ذروة الغضب، أرادت أن تؤذيه وأراد أن يؤذيها فحجبة برهان ربه، إنَّ تتبع عبارات الآية الكريمة وفهمها ضمن نسقها الصحيح الذي جاءت فيه كفيل بأن نجزم بمعنى واضح محدد يتلاءم ونزاهة الأنبياء، فلا نكلف أنفسنا بابتداع عبارات تخفف من وطأة (وَهَمَّ بها) ، نريد أن نحترم موقف يوسف (عليه السلام) وننزهه عن الفاحشة ثم نجد عبارة (وَهَمَّ بها) ، فتخترع عبارات مثل: هذه الطبيعة البشرية، وهذه الغريزة التي في كل إنسان، هذه ميول بشرية أن يميل الرجل للمرأة، وما إلى ذلك من تخريجات للهمّ الذي فعله يوسف (عليه السلام)، إن كل هذه التخريجات والتعليلات لا ضرورة لها، لأن الآيات الكريمة وصفت النبي يوسف بأنه مُخلَص وأنه صِديق وأن لديه الحكم السليم في حل قضايا الناس وأنّ لديه علماً، فإذا كان المولى سبحانه جعله بهذا السَّمت الجميل ومنحه هذه العطايا العظيمة، فلماذا الشك يجب علينا أن نتفهم الآيات قبل أن نتعب أنفسنا في إيجاد الأعذار، قال سبحانه في سورة يوسف:-

﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلۡبَابِۚ قَالَتۡ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا ﴾ .

الفعل الذي قامت به يقع في ثلاث مراحل، المراودة، وتغليق الأبواب، وتهيؤها له. أما الفعل الذي قام به فيقع أيضاً في ثلاث مراحل: التعوذ بالله من هذا، ذكر زوجها الذي رباه أحسن تربية وأكرمه أحسن إكرام، خيانة يوسف لزوجها ظلم ولن يقع منه الظلم.

انتهى الموقف برفض الزنا، فهل تقبل امرأة العزيز بهذا الموقف المهين، فأرادت أن تنتقم، لأنّ المراودة والطلب إليه إن يتحرك تجاهها وأخذ الحيطة بغلق الأبواب التهيؤ لباساً وزينة قد قامت بها ولم تفلح في غوايته، إنها الآن في حالة كراهية وعنف تريد أن تقتله أو تضربه أو تؤذيه على أي وجه كان الأذى، وأدرك يوسف ذلك وأراد أن يؤذيها، والإيذاء ليس من طبيعة الأنبياء، فوضح له شيء رباني أو رأى شيئاً من أمر الله بأن لا يفعل، ولذلك أسرع إلى الباب ليفتحه ويهرب، فلحقت به وقدت قميصه من الخلف، فانظر إلى الحالة العصبية التي انتابتها لتشد القميص وتقده، والآية نصف القد بأنه شامل ﴿وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ﴾ كان هربه هو الطريق الأسلم لإنهاء الموقف.

لقد صرف الله تعالى عنه أمرين: اولهما السوء وهو الأذى، وقد ذكر صرف السوء أولاً لأن الأمر فيه جاء من رب العالمين، ولو أنه وقع لكان له جَلْجَلةٌ وجعجعة في المدينة، وكانت عواقبه وخيمة وعنيفة، ثم ذكرت الآية الفحشاء بعد السوء، لأن يوسف عليه الصلاة والسلام بطبيعته النبوية استنكف عن الفحشاء، فهي عمل نبوي، ولو تمت الفاحشة لتحدث ضمن حدود الغرفة من دون جلجلة أو جعجعة، فلم يشعر بها أحد، ولكن يوسف (عليه السلام) كان حازماً في موقفه فتخلص من الزنا وكان مخلصاً عند ربه فنجاه من الأذى، قال سبحانه:- ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾، ونعمت

الآية الكريمة ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا﴾.

ليس ثمة حاجة لخلق عبارات تسوغ لنا التعامل مع موقف رسول الله يوسف (عليه السلام)، فإن موقف النبوة يعلو جميع المواقف.

## مَنْ أهل القرية الذين لا يرجعون؟

الآية التالية أشارت إلى قرية لم ترجع، فما شأن هذه القرية؟ قال سبحانه في سورة الأنبياء ﴿ وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾.

يتساءل القارىء لكتاب الله: إلى أين، من هم الذين لا يرجعون ومن هم الذين لا يرجعون، لقد وجدت في تفسير هذه الآية ارتباكاً، وهأنذ أنقل بعض التفاسير ليجد القارئ كما وجدت إن المسالة مرتبكة، من هؤلاء الذين لا يرجعون، لقد هلكت القرية، إذا لا يرجعون إلى قريتهم التي هلكت:-

هذا ابن كثير يقول رأيين: **أولهم:** قد قُدر أن أهل كل قرية اهلكوا إنهم لا يرجعون إلى الدنيا قبل يوم القيامة، **ثانيهما:** إنهم لا يرجعون أي لا يتوبون، وقال ابن كثير: والقول الأول اظهر.

وقال الشيخ حسنين محمد مخلوف في كتابه (**صفوة البيان لمعاني القرآن**)

قال: وحرام على قرية أي ممتنع على أهل القررية، أهلكناها لفرط طغيانهم وتمردهم إنهم لا يرجعون في الآخرة للجزاء.

كل هذه التفاسير مرتبك، نقول لشيخنا ابن كثير: إن القرى التي أهلكت بفعل الزلازل أو البراكين أو الفيضانات وهلك أهلها معها لن ترجع إلى الدنيا أيضاً، إنها في برزخها إلى يوم القيامة، فالذين هلكوا لجحودهم أو هلكوا بسبب الكوارث الطبيعية إنهم لن يرجعوا مطلقاً إلا يوم القيامة.

ونقول لشيخنا حسنين محمد مخلوف: كيف لا يرجعون في الآخرة؟ إنهم كسائر البشر سيرجعون للجزاء في الآخرة. والقرآن الكريم يكرر ويعيد أَنّ جميع الخلق سيخرجون من المستودع إلى درجة الأرض فيتساءل الإنسان ما لها؟ هناك

يصدر الناس أشتاتاً ليروا أعمالهم.

تفاسير مرتبكة، وقد غلب على الظن أن الشبهة النحوية في هذه الآية جاءت من الجملة المعترضة (أهلكناها)، ومن معنى كلمة حرام، إنّ الفعل (حرم) له عدة معان ـ ولكننا نصرفه بالعادة والتقليد إلى معنى (المنع)، حرم عليك أي منع عليك وهذا شيء محرم أي شيء ممنوع.

هذا الفعل له معانٍ كثيرةٌ، واني أرى أنَّ أهم معانيه هو (عَظُمَ) فالحرام شيء معظم، والمسجد الحرام هو المسجد المعظم، وتكبيرة الإحرام أي البدء بالصلاة هي التكبيرة الدالة على تعظيم الصلاة.

وباستعمال هاتين النقطتين: الجملة المعترضة، والإحرام أي التعظيم يصبح المعنى كما يلي:-

ما أعظم ألا ترجع قرية إلى التوبة، القرى التي هلكت لم تتب فكان ذلك سبب هلاكها لأنها فرّطت وتمردت ثم لم تتب.

إن الذين ابتدعوا النحو كانوا من عظماء الأمة، لأنهم ييسرون لي ولك طريقة فهم القرآن بدقةٍ متناهية.

أوضح الأمر بهذه الطريقة النحوية، قال تعالى:﴿ وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ كلمة أهلكناها جملة فعلية تامة، وهي جملة معترضة، ولو حذفت يظل المعنى صحيحاً ومستقيماً ، فالمعنى هو: ما أعظم هذا الإثم أن يحدث، وما أعظم هذه الحالة سوءاً، أن قرية جحدت أو أثمت أو انصرفت عن أمر الله لم تعد إلى صوابها فتطيع وتسعى وراء الأجر وتقبل على أمر الله، ما هذه القرية التي أثمت ولم ترجع إلى الله فتتوب؟ إنها القرية التي أهلكت.

## ما منعك أن تسجد أو ( أن لا تسجد )؟

**المنعة والمَنْـع**: نبدأ من هذه النقطة في المشتبهات اللغوية، وذلك لوجـود آيـتين في المنع والـمَنَعَة متشابهتين تماما إلا في حرف واحد هو حـرف النفـي فقـد وردت بهذه الصيغة (ما منعك أن لا تسـجد) ووردت بهـذه الصـيغة أيضـاً مـا منعـك أن تسجد (إنه شيء يلفت النظر ويضطر قارىء القـرآن أن يبحـث، المـرة الأولى أن لا تسجد والمرة الثانية أن تسجد.

وقد كان أول البحث أن ننظر في معاني كلمة (منع) كما جاءت في كتاب الله، لأن الاستعمال هو الذي يحسم الأمر بين الصواب والخطأ، ولذلك كان الخليل بـن أحمد حريصاً جداً في كتابه العين علـى ضـرب الأمثلـة الكـثيرة لكـي يحـدد معـاني الكلمات.

جـــاء في **[ســورة الأنبيــاء آيــة: ٤٣]** ﴿أَمۡ لَهُمۡ ءَالِهَةٞ تَمۡنَعُهُم مِّن دُونِنَاۚ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَ أَنفُسِهِمۡ وَلَا هُم مِّنَّا يُصۡحَبُونَ﴾ كلمة ﴿تَمۡنَعُهُم﴾ هنـا تعـني تحميهم، إن هذه الآلهة لا تستطيع حماية نفسها من قـدرة الله فكيـف لهـا أن تحمـي هؤلاء الكفرة، إن فاقد الشيء لا يعيطه،

وقـال سـبحانه في **[سـورة النسـاء الآيـة: ١٤١]**:- ﴿قَالُوٓاْ أَلَمۡ نَسۡتَحۡوِذۡ عَلَيۡكُمۡ وَنَمۡنَعۡكُم مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ﴾، يخاطب المنافقون في هذه الآية المشركين كأنهم يذكرونهم بفضلهم، ويفضحهم كتاب الله ويبين للرسول ماذا يفعلون من وراء حجاب، إنهـم يتصنعون لديهم بأنهم حموهم من المؤمنين، لأننا فيما يزعمون ـ زهَّدنا المسـلمين في القتال فتراخوا عنكم، وأقنعنا قبائل عربية كانت تريد دعم المسـلمين بـترك الـدّعْم وأوهمناهم أن المسلمين سيخسرون.

إنَّ هذه الفئة المنافقة تمن على المشركين أنهم حموهم ولهم عليهم فضل كبير، وبالفعل كان هؤلاء المنافقون يتربصون بالمؤمنين وينتظرون نتائج المعارك والمواقف الساخنة فان كان للمؤمنين الفتح والغلبة قالوا للمؤمنين: ﴿أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾؟ وإن كان للكافرين نصيب من رد الاعتبار لهم ومن شيء من بياض الوجه وليس الفتح مطلقاً ولا الغلبة مطلقاً، إن كان لأولئك نصيب من ذلك قالوا للكافرين: ﴿أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ﴾؟ أي ألم نصرف عنكم المؤمنين بالمداورة والتوجيه الخفي ليبتعدوا عنكم، وقالوا: ألم نمنعكم من المؤمنين أي إنهم حموا المشركين من بطش المؤمنين، فكفوا تسليط السيوف عليهم، وذلك كله بالمداورة والمخادعة وتوجيه الأمور على غير وجهتها، إن المنافقين يزهون الآن بأنفسهم بأنهم حُماة للكافرين، فكلمة (ونمنعكم) لا تعني ونحجز بينكم وبين المؤمنين:- بل هي مصروفة للحماية والدفاع والإنقاذ، ومثل ذلك ما جاء في **[سورة الأعراف: ١٢]** يقول سبحانه: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾.

أما الآيات التالية فهي لا تحمل معنى الحماية والإنقاذ

١) قال سبحانه: في سورة (ص): ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾؟ **[سورة ص: ٧٥]**، هنا تعني الحجز، أي ما يحول بينك وبين الشيء أن تفعله وللتمثيل أقول أريد أن أرجع إلى قريتي كفر سابا في فلسطين، ولكن إسرائيل تمنعني من العودة إليها، تمنعني بظلمها وعجرفتها، وتستفيد من أرضي وبيتي وتمنعني من الاستفادة منها أو حتى رؤيتها، فالمنع في هذا المثل هو الحجز.

٢) وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا﴾ **[البقرة: ١١٤]**.

٣) وقال سبحانه: ﴿قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ﴾ **[طه: ٩٢]**.

٤) وقـــال ســـبحانه: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ﴾ **[الإسراء: ٥٩]**.

وانظر لاستعمال هذه الكلمة في حياتنا العادية أو فيما يقال في قضاء الحـوائج المتداولة، قال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ ٦ وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ﴾ **[الماعون: ٧]**، وقـال سـبحانه:﴿فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمۡ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلۡكَيۡلُ﴾ **[يوسف: ٦٣]**، وقـــال ســـبحانه:﴿وَفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ ٣٢ لَّا مَقۡطُوعَةٖ وَلَا مَمۡنُوعَةٖ ٣٣﴾ **[الواقعـة: ٣٣]**.

إذاً منع لها معنيان نستعملها في موضعين مختلفين وفاقـاً لحاجاتنـا وأغراضـنا، نمنع بمعنى نحمي، ونمنع بمعنى نحجز، وقد ورد المعنيان في جميع الآيات السابقة، كـل في موضعه.

لقد أصبح واضحاً الآن كيف نميز بين **(منع)** في الآية ٧٥ من سـورة (ص) و **(منع)** في الآية ١٢ من سورة الأعراف، انه في سـورة (ص) أخـذت معنـى الحجـز ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ﴾؟ أي ما الذي وقف حائلاً بينـك وبـين السـجود، مـن الـذي أجبرك على ترك السجود، أو ما هذا الذي أبعدك عن السجود ودفعك عنه.

وهي في سورة الأعراف ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ﴾ من أعطاك الحماية من الله؟ الله يأمر وأنت ترفض، ما هي قدرتك أو قدرات غـيرك الـتي اعتمـدت عليهـا فرايتهـا تحميك من غضب الله.

كلا المعنيين يؤدي المطلوب منه في موضعه المناسب له، فإن إبليس وقـع تحـت التساؤل فإما أن يكون اختار الرفض من ذاته وركن إلى من يحميه أو أنه كـان يريـد السجود فجاء شيء ووقف بينه وبين آدم حتى لا يسجد، ربما يكون الحـاجز نفسـياً أو الحامي المفترض نفسياً، ويبدو من مجمل الآيات أَنّ الرفض كان للسببين كليهما،

وهو ما جعله مطرودا من الرحمة الأبدية.

## هل يسألنا الله عن أعمالنا أم لا؟

آيات التساؤل عديدة، وليس هناك بد من كتابتها ثم الاحتكام إلى لغتها وصياغتها حتى نفهم معانيها، ولكن إذا أخذنا الأمر بالإيجاز والاقتضاب فسوف نجد صعوبة في فهمها، قال سبحانه: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ **[الحِجر: ٩٢]**، وقال سبحانه:﴿ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ ۗ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ ﴾ **[النحل: ٥٦]**، وقال سبحانه:﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ۚ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ **[النحل: ٩٣]** وقال سبحانه: ﴿ وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴾ **[المعارج: ١٠]**، وقال سبحانه:﴿ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا ۚ أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴾ **[الزُّخرُف: ١٩]**، وقال سبحانه:﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴾ **[الزُّخرُف: ٤٤]**، وقال سبحانه: ﴿ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ ﴾ **[القصص: ٦٦]** وقال سبحانه: ﴿ وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴾ **[القصص: ٧٨]**، وقال سبحانه: ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ ﴾ **[الرحمن: ٣٩]**، وقال سبحانه: ﴿ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ ۖ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ **[العنكبوت: ١٣]**. وقال سبحانه: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴾ **[المؤمنون: ١٠١]**، وقال سبحانه: ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ **[الصافات: ٢٧]**.

**آيتان من آيات التساؤل**

فلنذكر آيتَيْن يبدوان لأول مرة في القراءة العاجلة أنهما متناقضتان، إن آية الحجر هي: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ **[الحِجر: ٩٢]**، تعني مع الآية **[٩٣]** التي تتلوها مباشرة ﴿عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ إن الله تعالى سيقول له ماذا فعلتَ بلا إله إلا الله، ماذا عبدت، ماذا أجبت المرسلين، ماذا غرك مني بي، وقال معاذ بن جبل إنَّ رسول الله (ﷺ) قال: يا معاذ إنّ المرء يسأل يوم القيامة عن جميع سعيه حتى كحل عينيه فلا أُلفينّك يوم القيامة وغيرك أسعد بما أتاك اللهُ منه.

كل هذه الأسئلة توبيخية، كلها تلتقي في بؤرة واحدة، لِمَ عملتم هذه المنكرات؟

ونذكر الآية التي تبدو غير متفقة مع معنى الآية السابقة، قال تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴾ **[الرحمن: ٣٩]**، هنا لا يسألون عن ذنوبهم فكيف كان ذلك؟ الآية التي تتلوها تأتي بالجواب،﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ﴾ **[الرحمن: ٤١]** لونه والملامح الظاهرة عليه تدل على أنه من أهل جهنم فلا يسأل إلا تبكيتاً ولوماً وليس هل عملت، بل لماذا فعلت ذلك؟ أين الرسُل؟ ماذا قلت لهم ...الخ.

وأما التساؤل فهو الذي يقع بين الناس أنفسهم، فعند مشاهدة أهوال القيامة تصيب الناس الرهبة فلا يسال قريب قريباً لأنه مرتعد ومرتهب ومرتجف.

وقوله تعالى: ﴿ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ﴾، فإن هؤلاء هم أهل النار لقد خفيت عليهم الحجج ولم يبق لديهم أدلة يدافعون بها عن أنفسهم، إن النداء عليهم

يرعبهم ﴿مَاذَآ أَجَبۡتُمُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾؟ ولكن الآية ذات المعنى الأخر فهي عن أهل الجنة فقد أقبل بعضهم على بعض يتساءلون عن أهلهم وأقاربهم وأصحابهم، إنهم في نشوة الآن فهم على الحوض يشربون ويسالون عن الماضي والحاضر.

هذا مجمل التساؤل، كله يكمل بعضه بعضاً، ولو كان من عند الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيرا.

# كتمان الحديث عن الله

قال بعض الجلساء إن المشركين يكذبون على الله يوم يرون العذاب، وقال آخرون أنى لهم أن يكذبوا وهم يعلمون أن الله تعالى جمعهم في يوم الدين وبعثهم من قبورهم، فماذا يقولون في مثل هذا المشهد الذي تشخص فيه الأبصار، إن هذا الخلاف يظل خلافاً عابراً أن لم يستند للقرآن الكريم أو الحديث الشريف فيما يتعلق بهذا الموقف.

قال سبحانه يصف موقف من رأى العذاب وظن أنه مواقعه لا محالة قال:

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢١﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ **[الأنعام: ٢١ - ٢٤]**.

الآية صريحة أنهم كذبوا، لقد عاينوا النار، وسئلوا أين شركاؤكم أين آلهتكم أين من يدفع عنكم العذاب، تلك كانت فتنتهم، إنه سؤال عن ماضيهم المغرور، فكذبوا على الله وكتموا ما كان في نفوسهم من احترام لآلهتهم وشركائهم، فقالوا: والله ما كنا مشركين، اقسموا بالله جل وعلا، لأنهم يريدون إظهار إيمانهم؛ يريدون الخلاص من ورود جهنم، فتشهد عليهم أيديهم وأرجلهم.

فماذا نقول في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾ وهو وارد في **[سورة النساء في الآية: ٤١ - ٤٢]**، إذ يقول سبحانه: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ

﴿تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضُ وَلَا يَكۡتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثٗا﴾ يريدون أن يكذبوا ولكنهم يعلمون الآن أن كذبهم سَيُفْضح، فيودون لو انشقت الأرض وبلعتهم حتى لا يقفوا هذا الموقف الكاذب.

هنا موقفان: موقف أمل للنجاة، موقف مراجعة النفس بعد أن رأوا الشهادات تتجمع فوق رءوسهم، وهناك أيدي وأرجل تقول لهم كذبتم.

## الناسخ والمنسوخ

### هل يقول سبحانه قولاً ثم يغيّره؟

ما أكثر ما تحاورنا في هذه النقطة، وما أشد ما قلنا فيها، وما أكثر الناس الذين قالوا في هذه النقطة ما قالوا! بعضنا يقول: إن الله تعالى يأمر بالحكم الصحيح تماماً، فلماذا يغيره؟ وبعضنا يقول: لا يجوز أن نسأل لماذا فعل الله جل جلاله ذلك لأنه سبحانه يسأل الناس عن أقوالهم وأعمالهم ولكن ليس من حق أحد أن يسأله لماذا فعلتَ ذلك، وآخرون يقولون إن كل شيء يقوله سبحانه أو يأمر به إنما هو لحكمه ونحن لا ندرك هذه الحكمة ولا حكمة التغيير، فينا من يرفض كلمة النسخ ولا يطيق أن يبحث فيها، وفينا من يستشهد بالقرآن انه فيه آيات تنسخ آيات فلماذا التعصُّب؟ الآراء في هذا الموضوع متأثرة بما يقوله بعض المسلمين وكثير من غير المسلمين، فما الرأي؟

إنّ الله جل وعلا انزل علينا الإسلام ويعلم إننا سنتحاور فيه، فنتعرض لكل أية من آياته الكريمة ولْيَكن أيَّ منا على قناعة أنّ ما اختلفنا فيه علم الله سبحانه بأنه سيقع، وقد وضع في كتابه الآيات الكريمة التي تحل الإشكالات التي تقع بيننا قال سبحانه: ﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ **[النحل: ٦٤]**، وقال سبحانه: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ **[النحل: ٨٩]**، إذاً كل شيء اختلفنا فيه فسيأتي في الآيات الكريمة ثم في الأحاديث الشريفة ما يبين لنا الحكم الصواب فيه، فليس الحوار في آيات الله عيباً أو منكراً، ابحث وتوكل على الله فسوف تصل.

أما الآيات التي وقع فيها النسخ وأدت إلى المحاورات والمجادلات فهي قوله تعالى: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾ ۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ **[البقرة: ١٠٥ - ١٠٦]**.

**المؤلفات الحديثة في النسخ:**

ما الذي دعا لكثرة النقاش في الناسخ والمنسوخ في مجالسنا أو مجالس غيرنا؟

إنّ الإجابة ميسورة، هناك من أَلَّف في العصر الحديث موضوعات أو كتباً وقد تعلقت بهذه الأفكار الإسلامية التي ظنوها مشتبهات، وكان منها موضوع الناسخ والمنسوخ بل كان أبرزها، إذ يقولون إن الله تعالى عليم بكل شيء ومحيط بكل شيء، فكيف يأمر هذا العام برأي ثم يأمر العام القادم برأي يخالفه؟ هذا يخالف القدرة الإلهية، إن الناس يغيرون آراءهم لأنهم لا يعلمون شيئاً عن المستقبل على سبيل اليقين، بل يقولون شيئاً بالظن، فيظهر الحوار في أرائهم عن المستقبل.

**الآراء المستقبلية ظنية:**

كان أستاذ اللغة الإنجليزية السيد شيربختون يتحدث عن رأي الاقتصادي البريطاني مالثيوس، لقد رأى مالثيوس أن الناس ستقع في مجاعات بعد مئة عام بسبب تكاثر السكان وبقاء رقعة الأرض كما هي، كان شيرنجتون يتحدث في عام ١٩٦٥ وقد مَرَّ على نبؤات الاقتصادي البريطاني مئة عام تقريباً، لأنه أصدر رأيه عام ١٨٧٠، ويعلق الإنجليزي على الإنجليزي. «إن شيئاً من هذا لم يحدث» إن الله عز وجل أمره محكم وقوله الحق، إنك الآن وأنت تقرأ آيات الطعام: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَـٰنُ

﴿إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ﴾ وما بعدها، تظن أن الآية أنزلت هذا العام، لأن علماءنا اخترعوا الطائرات والصواريخ والأقمار الصناعية وأجهزة الكمبيوتر المتنوعة والموبايلات المتنوعة، ولكن صحن الملوخية أو الملفوف أو الأرز أو الباذنجان ما يزال سرا غامضاً ومستحيل فَكُّهُ، هذا هو علم الله، الإعجاز في كل طعام في الأرض، سواء أنتج هذا الطعام من الحيوان كحليب الغنم وسمن البقر أو نتج من النبات كالعنب والبرتقال والتفاح، معجز إلى يوم القيامة. هذا علم الله، فلماذا النسخ؟

**مشكلات الحياة والنسخ:**

النسخ له علاقة بمشكلات تتعلق بمعايش الإنسان، وعباداته، وعلاقاته مع ربه وعلاقاته مع أهله وذويه، وهذه المشكلات تحتاج إلى تدريب وخبرات، هذه ليست كخلق النبات والحيوان، فالله تعالى خلق الإنسان وجعل له مراحل وجعل لعلمه مراحل ولعلاقاته مراحل، الإنسان يكون في البدء ضعيفاً ثم يقوى ويشتد ثم يضعف وعلمه كذلك، وعلاقاته كذلك، والقرآن الكريم راعى تنشئة ذلك المجتمع وأنزل بعض الآيات لتناسب طبيعة الحياة التي قامت على القبلية والعشيرية والوثنية والمجوسية وما ما ماثلها، لقد كان الناس في زياراتهم لقبور أهلهم وذويهم وشيوخهم وزعمائهم يعملون ما لا يطيقه العقل الإسلامي، أراد الإسلام أن يزيل من نفوس المؤمنين هذا التقليد، فأمرهم رسول الله (ﷺ) ألا يزوروا القبور، ولما تمكن الإسلام في النفوس وعرف المؤمنون حق الموت، وأن الأمانات رجعت لصاحبها، وخفت حدة التقليد قال لهم الرسول (ﷺ): «كنتُ قد نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها فإنها تذكّر بالموت»، نسخت فكرة عدم الزيارة، ورأى الإسلام الحق أن النساء بحكم عاطفتهن يفعلن الأعاجيب في انفعالهن، ولطم خدودهن وشق ثيابهن، ويصرخن كثيراً ويولولن كثيراً فأمر ألا يزرن المقابر، ولكنه لم يعزم عليهن، فالمنع عند النساء ليس قاطعاً وإباحة الزيارة ليست قاطعة، وتتصرف النساء إن زرن تحت

ظلال هذا المعنى العام، أليس ذلك جزءاً من التربية الإسلامية؟ إنّ أول مراحل التعليم كانت لرسول الله (ﷺ) يقول سبحانه: في أول نزول القرآن ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ ويقول سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ﴾ ويقول جل وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ ويقول ﴿وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ﴾ ويقول عز من قائل ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ﴾ ولذلك قال رسول الله (ﷺ) «أدبني ربي فأحسن تأديبي»، وجرى الرسل في خلقه على سؤال عظيم حتى استحق قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ﴾.

**كيف ندرس مسالة النسخ؟**

لا يجوز أن ندرس مسالة النسخ بعيداً عن هذا الهدف وهو (تربية الرعيل الأول من المسلمين)، إنه أمر مهم في الإسلام وتاريخ الإسلام، إن الفئة المؤمنة الأولى في مكة والفئة المؤمنة الأولى في المدينة اعتنقت الإسلام بعد أن مارست الكفر وتقاليد الكفر طوال حياتها، ولم تسمع عن الماضيين إلا عادات الشرك وتقاليد الشرك، ولذلك ترى آيات الإيمان حاسمة قاطعة لا تقبل التأني والتراخي، ولكن الأحكام الشرعية كان لها بعض ظروف الملاينة، لم يقبل الرسول (ﷺ) من أهل ثقيف أن يظل صنمهم اللات بعد إيمانهم يوماً واحداً، يجب إلغاؤه، إنهم يطلبون منه ألا يهدم الآن بل بعد سنة، رفض النبيّ (ﷺ) وهدم صنمهم، إن الله تعالى لا يرضى بأن تتعلق القلوب بإله غير الله، إذاً ماذا نقول في آية سورة الغاشية ﴿فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ۝٢١ لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ﴾ إنه سبحانه وتعالى يبين له ما يفعل، عليه التذكير وليس له السيطرة، ولذلك لا تغضب إذا رفضوا تذكيرك، ولا تهلك نفسك أسىً عليهم، قال سبحانه: ﴿فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ﴾ إن رسول الله

(ﷺ) في مكة له حدود، ولكن في المدينة المنورة وضع أخر، قال سبحانه: ﴿وَقَـٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَـٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً﴾ وقال جل وعلا:

﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾ إنَّ لكل مقام في تقدير الله مقالا يصلح به المجتمع الإسلامي منذ البدء حتى النهاية. ولكن انظر إلى الصلاة، فقد جاء الأمر للرعيل الأول شاقا في العبادة، قال سبحانه (يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلا، نصفه أو انقص منه قليلا أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا)، ثم لان أمر الصلاة فصارت خمس صلوات في اليوم والليلة فهي (١٧) سبع عشرة ركعة، ولا تستغرق الساعة الواحدة، والصلاة أهم عبادة في الإسلام، وقرأ الصحابة آيات الزكاة في مكة المكرمة وفي المدينة المنورة، ولم تكن الزكاة المفروضة التي حددت شروطها وكمياتها وسبل إنفاقها ونصابها وأنواعها ثقيلة على المؤمنين إن من يقرأ كتاب الله على مهل وعلى تدبر يصل إلى هذه النتائج بسهولة ، ليس في الأمر عقد ولا تعقيد، وصدق كتاب الله تعالى إذ تتلوا فيه:﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ **[النحل: ٨٩]**.

ولم تمض السنوات العشر في المدينة إلا وقد عرف المسلمون كيف يصلون ويزكون ويحجون ويتعاملون مع قضايا الكسب والإنفاق وقضايا الزواج والنفقة والطلاق وقضايا الحرب والسلم والمعاهدات والجوار، وقضايا الطعام والشراب واللباس وما أحل الله تعالى في ذلك وما حَرّم، وكل ذلك كان هدى ورحمة لقوم يؤمنون.

**آيات منسوخة وآيات ناسخة:**

**لم يذكر أحد النسخ إلا وذكر الآيَتْين التاليتين:**

قال جل وعلا: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ خَيۡرٖ مِّن رَّبِّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ١٠٥ ۞ مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآۗ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾.

الآية الأولى تبيّن الحسد، فلا الكافرون ولا المشركون يودون أن ينزل عليكم شيء من الخير، لأنهم حاسدون وباغضون، ولكن الله عز وجل لا يأبه بهم ولا بحسدهم ولا ببغضهم، فقد اختص برحمته محمداً (ﷺ) وأمة الإسلام بهذا القرآن الكريم، إن نسخ الآيات السابقات أو إنساءها وكأنها لم تكن هو أمر من أمورِ الله وشان من شؤونه، وكل أمر من هذه الأمور يكون أفضل مما سبق أو هو مثله على أقل تقدير، إنّ الله عز وجل قادر على كل شيء.

إن الذين رفضوا وجود آية منسوخة فسروا الموقف على أنه يتعلق بالآيات السابقة، فرسل الله كان لهم من المعجزات التي نعرفها: العصا، واليد، والنار التي لم تحرق والناقة والريح التي تسير رخاء وليونة الحديد، وإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الجماد وإحياء الميت، وأما رسول الله محمد (ﷺ) فكانت معجزته القرآن، فإما أن يكون القرآن أقوى من المعجزات السّابقة كلها أو مثلِها على أقل تقدير.

ولكن أكثر المفسرين يقولون: ما نبدل من حكم آية فنغيرهُ بآخر أو ننسها يا محمد.

أي نمحها من قلبك، نأت بخير لكم منها أيها المؤمنون بما هو أنفع لكم في العاجل والآجل إما برفع المشقة أو بزيادة الأجر والثواب.

لا يوجد في الإسلام حَجْرٌ على العقول أن تفكر وتفسر وتشرح ضمن النصوص القرآنية أو نصوص الحديث الشريف، وإني أرى أن الجمع بين المعنيَيْن

مرض ومقبول، ولكن لا بد من اعتبار أَن الرأي الأول سليم، وأن الأمر يتعلق بالمعجزات السابقة، فإذاً لا يوجد ناسخ ومنسوخ في القرآن!

لا، ليس هذا صحيحاً، فما أكثر المواقف التي يفسر القرآن بها بالقرآن، هناك آيات تدل على أحكام شرعية معينة، وقد عمل بها المسلمون ثم تركوا العمل بها بنصوص أخرى، أي هناك أحكام شرعية توقف العمل بها وحل محلها أحكام شرعية أخرى.

**والآيات والأحكام هي:**

١- **قال سبحانه:** ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ **[النحل: ١٠١]**.

تشير هذه الآية إلى أن التغيير بيد الله، والله تعالى أعلم بحاجات خلقه فينزل بقدر، ولكن الجاحدين يتعجلون الحديث بالاتهام دون علم أو إحاطة، فالتبديل قائم، وهذا يقتضي ترك الحكم السابق والأخذ بالحكم اللاحق، إن الآية واضحة التوجه، فهي للمسلمين وأمة الإسلام، والذي يعزز ذلك الآياتُ السابقة للآية المذكورة (١٠١) والآيات اللاحقة أي آية (١٠٢).

قال سبحانه: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴾ **[النحل: ٩٨ - ١٠٠]**.

وأما الآية (١٠٢) فهي: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ يقول المفسرون قولاً واحدا متطابقا وهو: إذا رأوا تغير الأحكام ناسخها بمنسوخها أي إذا نزل من الله عز وجل

حكم في موضوع معين أو عمل معين برفع السابق ويثبت اللاحق قالوا لرسول الله (ﷺ): إنما أنتَ تفتري على الله، لم يستطيعوا أن يفهموا الحكمة من ذلك أو أنهم مرضى القلوب ويسارعون إلى التكذيب.

### ٢- الاتجاه إلى المسجد الأقصى في الصلاة:

أُمر المسلمون بالاتجاه إلى المسجد الأقصى، ثم أُمروا بالاتجاه إلى الكعبة بل بالأحرى إلى المسجد الحرام، قال سبحانه: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ﴾ **[البقرة: ١٤٣]**، إذاً كانوا يتجهون إلى القبلة لأن الله تعالى أراد أن يظهر صدقهم لأنفسهم وللمؤمنين، فإن أطاعوا الأمر نجحوا وأصبحوا من المؤمنين، وإن خالفوا الأمر رسبوا في الامتحان، وقد أطاعوا وافلحوا.

أما القبلة الجديدة فهي المسجد الحرام، وفيه الكعبة المشرفة، وقد أُمروا بعد أن اتجهوا إلى المسجد الأقصى ستة عشر شهراً بالاتجاه إلى المسجد الحرام، وذلك لتكون الكعبة وجهتهم، قال تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ﴾ **[البقرة: ١٤٤]**.

كان امتحان الفئة الأولى من المسلمين شديداً، إنه سبحانه يريد أن يخلصهم من الوثنية التي كانوا فيها وتقاليد القبيلة والمعتقدات السابقة، وقد مدح سبحانه تلك الفئة من السابقين مدحاً عظيماً، لقد وعدهم الله تعالى مغفرةً وأجراً عظيماً، لقد أفلحوا وتحولت الجزيرة منذ عهد رسول الله إلى مجتمع إسلامي متكامل يحكمه نظام حكم إسلامي فريد متميز، إنّ كل حكم شرعي فيه هو من الله تعالى.

### ٣- الرَّفَثُ إلى النساء:

وفي هذا الرفث وقع الناسخ والمنسوخ، لقد حَرّم الله تعالى على المسلمين الرفث إلى النساء طوال شهر رمضان المبارك، روى البخاري عن البراء (ﷺ) قال لما نزل صوم رمضان كانوا لا يقربون النساء رمضان كله، وكان رجال يخونون أنفسهم، فأنزل الله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْۖ فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْۚ﴾ **[البقرة: ١٨٧]**.

لماذا تاب عليهم، لماذا عفا عنهم إن الرفث كان منهياً عنه، والآن أحل، اقترفوا إثماً بغشيان النساء، ثم غفر جل وعلا؛ لقد أصبح الحكمُ الآن إباحة الجماع في ليلة الصيام، فقد تغيّر الحكم، واني أظن ظناً حسناً، بأن هذا الشيء كان جزءاً من امتحان المسلمين وترتيبهم على منهج الله.

### ٤- الوصية للأزواج:

هذه الوصية في حالة الوفاة، فما تفعل الزوجة؟

الجواب تبقى في سكن زوجها مدة سنة وذلك كما تشير الآية التالية: قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍۚ﴾ **[البقرة: ٢٤٠]**، وهذه الوصية من الله تعالى جاءت في قوله تعالى بتحديد مدة أربعة أشهرٍ وعشر، قال سبحانه:﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًاۖ﴾ الصيغة هي هي، واللفظ هو هو، ولكن تغيرت المدة من سنة إلى أربعة اشهر، قال الشيخ الصابوني مبيناً الحكم في الآيتيْن: الذين يموتون من رجالكم ويتركون زوجاتهم على هؤلاء أن يوصوا بأن

تمتع زوجاتهم بعدهم حولاً كاملاً ينفق عليهن من تركته ولا يخرجن من مساكنهن، كان ذلك في أول الإسلام ثم نسخت المدة إلى أربعة اشهر وعشرة أيام.

**٥- التخفيف من عشرة إلى اثنين:**

ورد هذا التخفيف في سورة الأنفال، قال المفسر أبو السعود: (هذا وعد كريم منه تعالى أنه إن يوجد منكم يا معشر المؤمنين عشرون صابرون على شدائد الحرب يغلبوا مئتينْ)، قال ابن عباس كان ثبات الواحد للعشرة فرضاً، وقد شق ذلك عليهم، وعلم الله أنه فيهم ضعف، فخفف عنهم، إنّ هذا فيما أظن نوع من التربية الشديدة، يريد سبحانه أن يستخلص هذه الطلائع لمهمات ثقيلة جداً في المستقبل، ثم خفف عنهم ليكون هذا التخفيف مُنْطبقاً على سائر المسلمين في العالم.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ **[الأنفال: ٦٥ - ٦٦]**.

**ملاحظة:** اختلف المفسرون في عدد الآيات الناسخة والمنسوخة، ولكنهم لم يختلفوا في كونها موجودة، هناك أحكام كانت لمرحلة معينة، ثم تحولت إلى أحكام عامة تنطبق على المسلمين إلى آلاف السنين، لتلك الأحكام مقاصد، وكان بناء الكتلة الأولى من الصحابة أي المهاجرين والأنصار وتأهيلها لتواجه العالم وتمحيصها لظروف قادمة كان ذلك مهماً لنشر الإسلام.

# في المشتبهات النحوية

**كان، هل، هي للماضي؟**

قال أحدهم لابن عباس (ﷺ) ما تقول في هـذه الآيـة ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾، فكأنه كان ثم مضى؟

إذا كان السؤال في هذه اللحظة عن الآية ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ إلا انه يشمل كل أية اشتملت على هذا الفعل كان، فقوله تعالى في سورة النساء في الآيات ٥٦، ٥٨، ٧٦، ٨٥، ٨٦، ٩٢، ٩٤، ٩٩، ١٠٤، وهي ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [٥٦]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ [٥٨]، و﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ [٧٦]، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا ﴾ [٨٥]، وغير ذلك كثير جدا، فقوله يفسر على نمط واحد.

قال ابن عباس (ﷺ): «لقد سمّى نفسه ذلك، أي لم يزل ولا يزال كذلك، فلا يختلف عليك القرآن فإن كلاً من عند الله» وقد وضع أهل النحو واللغة قاعدة نحوية للفعل **(كان)**، قالوا إن هذا الفعل يقع على رأس عدة أفعال ترفع المبتدأ وتنصب الخبر، وهي: **صار وليس وما زال وما دام،** لقد عدوها فكانت ثلاثة عشر فعلاً، وسموها: **كان وأخواتها** واشتهر هذا الاسم كثيراً، لكن لماذا خصصت بهذا اللقب، فلم يسموها صار وأخواتها أو ما دام وأخواتها، كان ذلك لأهمية هذا الفعل **(كان)** وخصائصه ومميزاته، فهو من ناحية الزمن يستعمل للأزمنة الثلاثة الماضي والحاضر والمستقبل؛ فإذا قلت: كان الجمل صبوراً، دلت **(كان)** في هذه الجملة على أن الجمل صبور دائماً، ولهذا الفعل **(كان)** خصائص أخرى، ولذلك

تميز عن سائر الأفعال التي ينطبق عليها رفع المبتدأ ونصب الخبر.

لم يكن فهم ابن عباس بعيداً عن فهم النحاة ولكنه لم يشتغل في وضع القواعد النحوية، إن لكل زمان دولة ورجالاً لقد أدرك النحاة أثر كان في الزمن من فهم هذا العالم الحبر ومن غيره من العلماء؛ فعملوا ووضعوا قواعدهم.

إذاً إنّ قوله تعالى: ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ تعنى أن كيده هو الضعيف والسخيف كان ضعيفاً سخيفاً ولا يزال ضعيفاً وسخيفاً.

## ( ورُوح منه )

ورد في كتاب الله عبارة ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ قال جل وعلا في سورة النساء في الآية الحادية والسبعين بعد المئة ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ﴾ وقال سبحانه في سورة المجادلة في الآية الثانية والعشرين: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾.

كما جاء في آيات عديدة في كتاب الله العبارات التالية: ﴿مِن رُّوحِى﴾ و﴿مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ﴾ و﴿مِن رُّوحِنَا﴾ لقد تكرر ذلك كثيراً، وهذه الآيات شاهدة بذلك، قال سبحانه في سورة مريم في الآية السابعة عشر ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ السوي هو الإنسان الكامل في أعضائه ومنطقه، وقال سبحانه ﴿وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾ سورة الأنبياء ـ الآية الحادية والتسعون، وقال جل وعلا في سورة التحريم عن مريم عليها الصلاة والسلام

﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ الآية الثانية عشرة، وقال سبحانه في سورة السجدة في الآية التاسعة عن آدم ﴿ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾.

وقال سبحانه في سورة الحجر في الآية التاسعة والعشرين قال ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾.

وجاءت كلمة (رَوْح) وهي بنفس حروف كلمة (روح) مع اختلاف الشكل لتدل على خير الله وعونه وقوته، قال سبحانه: ﴿وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ سورة يوسف الآية السابعة والثمانون، وقال سبحانه: في الآية التاسعة والثمانين من سورة الواقعة: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾.

إن التفاسير والتاويلات التي اخذ بها بعض الناس في العبارة القرآنية من ﴿مِن رُّوحِنَا﴾ وهي قولهم أن المسيح (عليه السلام) هو جزء من الله تعالى أي أن حرف ﴿مِن﴾ يعتبر حرف جر يفيد التبعيض، إنها قيلت دون جمع الآيات المثيرة التي تعلقت بعبارة ﴿مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ﴾، ﴿مِن رُّوحِنَا﴾، ﴿مِن رُّوحِى﴾، ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ﴾، قالوا أن المسيح جزء من الله عز وجل، كما الأبناء جزء من آبائهم، وقد قمتُ بجمع الآيات الكريمة التي تبيّن منزلة هذه العبارة، إن هذه العبارات جميعها لا تتعلق بالتبعيض ولا بالجزئية، وإنما تعني من قوة الله، فالنفخ من قوة الله، وقوله تعالى: ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ﴾ أي بقوة منه، ولما كانت هذه القوة تتعلق بتحويل المادة

إلى مادة حية، أو إلى شيء يعيش أو ينمـو، أو يتكـاثر ، فقـد جـاءت كلمـة (روح) كأجمل كلمة تشمل هذه المعاني كلها، وانظر إلى سورة المجادلـة إذا وصـف الله جـل جلاله نشاط المؤمنين وحركتهم وتأثيرهم بما أعطـاهم مـن قـوة بكلمـة روح، قـال سبحانه ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾الآية ٢٢، وشرحها واضح لمن قرأ الآيـة الثانيـة والعشرين كاملة، فقد أثنى سبحانه وتعـالى علـى المـؤمنين الـذي يحبـون الله تعـالى ويحادون من حادّ الله ولو كانوا أهلـهم، قـال تعـالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ فما هذا التأييد بروح منه؟ فإن كثيراً مـن شـارحي القرآن عن وعي وبصيرة:- قواهم بنصرٍ منه على عدوهم في الدنيا، وسمّى نصـره روحاً لأنه به يحيا أمرهم، ولذلك نعد من قال إنها تفيد الجزئيـة، نعـده تراخـى ولم يكلف نفسه ببحث أمر مهم، وإنما ركن إلى شيء من التخيل أَنَّ لله روحـاً ونزلـت هذه الروح أو بعض منها إلى آدم عليه السلام أو إلى عيسى عليه السلام أو لغير آدم وغير عيسى، إن الله تعالى ليس كمثله شيء، فكيف نتخيل روحاً منه تنـزل هنـا أو هناك، إنه سبحانه يدرك الأبصار ولا تدركه الإبصار، يجب أن نفسـر كلمـة الـروح بما يتلاءم مع القدرة الإلهية المطلقة، القدرة التي لا نستطيع أن نتصور فيها أي شيء جزئي آو كلي.

إن كلمة (منه) لها دلالة عظيمة في القرآن الكريم فهي ليست للتبعـيض فقـط، وإنما معانيها كثيرة وتظهر هذه المعاني من خلال السياق، فهي لبيان الجـنس ولبـدء المكان والزمان وللتبعيض والسببية وغير ذلك كثير ومـن الخطـأ حصـرها في شـيء واحد والعرب وضعوها لأشياء عديدة فيجب فهمها من خلال الجمل الـتي وردت فيها. ومن المضحك أن تجد بعضهم يسأل عن كلمة (يصلي) فيشـتبه عليـه الأمـر، كيف يصلي الله على إنسان ولو كان هذا الإنسان هو الرسول (محمد)، إن السـائل

يظن أن الله تعالى يقف كما نقف ويضع يديه على وسطه كما نضع ويقرأ الفتحة ويركع ويسجد! إنه سبحانه يصلي علينا أيضاً، قال سبحانه:﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيۡكُمۡ وَمَلَـٰٓئِكَتُهُۥ ﴾، إن الصلاة لها معان عديدة، ولا تدرك إلا بالاستعمالات العديدة، نقول: يصلي المسلم خمس صلوات في اليوم، ونصلي على رسول الله كلما ذكر اسمه، ويصلي الله علينا، لكلٍ معناها، وكذلك الحرف (من) له معان بأنواع استعمال في الجمل.

قال سبحانه في سورة الجاثية في الآية الثالثة عشرة ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعًا مِّنۡهُ ﴾، فهل السموات والأرض جزء من الذات الإلهية؟ إن للحرف (مِن) معاني كثيرة وواسعة، فلا يجوز لنا أن نحصرها في معنى ضيق محدد يتبع هوانا كما يتبع عدم جمعنا لآيات عدة ورد فيها.

إنّ الجمل القرآنية بمواضعها المختلفة هي التي حددت معاني هذا الحرف (من) كما حددت معاني كلمة (روح) الجهة التي نأخذ بها في إدراك معانيها، قال سبحانه في سورة مريم في الآية السابعة عشرة ﴿وَٱذۡكُرۡ فِى ٱلۡكِتَـٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانًا شَرۡقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابًا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾، أرسلنا لها جبريل، فهو هنا يمثل قوة إلهية، وسمي روحاً لأنه سينتج إنساناً عظيماً وهدى عظيماً ومعجزة مقنعة لكل منصف في الأرض، إن الحركة والحياة والتجديد ستنشأ ألان بمجيء جبريل بأمر الله؛ والله تعالى لا يعجزه شيء.

وقال سبحانه: ﴿فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾ أي كانت النفخة من جبريل لإشعار مريم (عليها السلام) بان هذه الريح التي دخلت فيها من روح القدس الذي تتكلم معه كما تتكلم مع بشر سوي كامل الاستواء، إن هذه النفخة ستولد روحاً نبوية

إعجازية لبني إسرائيل، فشعرت مريم بالحمل، وحملت البتول المطهرة العذراء بـأمر الله جل وعلا، وولدت المسـيح (عليه السلام)، كـان حملـها عجبـاً وكـان ميلادهـا عجبـاً، وكانت مخاطبة الوليد في مهده لبني إسرائيل عجباً كل ذلك بأمر الله، والله على كل شيء قدير.

ألا ترى أن الكلمتين (رَوْح ) و (روح) متقاربتان جداً في معانيهما الرَوْح هـو الخير بكل أنواعه، فالرَوْح: الحيـاة الطيبـة، والسـعادة والسـرور، والطعـام الطيـب والروائح الطيبة والشراب الطيب، إنّ الرَوْح شيء من قـوة الله وشـيء مـن جمـال صنعه، وشيء من جمال صبغته وفضله وإننا بهذا نستطيع أن نقول : لـدينا عبارتـان متقاربتان جداً، وهما: روح الله ـ ورَوْح الله وقد حلت العبارة في عدة مواضع محل العبارة الأخرى.

والحمد لله على هدايته وتوفيقه.

## الآيات الثلاث

١- ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ... وَٱلصَّٰبِـُٔونَ ﴾!

٢- ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ... وَٱلصَّٰبِـِٔينَ ﴾!

٣- ﴿ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ ...وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾!

هذه العبارات القرآنية وردت في الآيات التالية وهي مشتبهات بالنسبة لما اشتهر من قواعد النحو عند بعض المثقفين.

**فالآية الأولى هي:**

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ **[المائدة: ٦٩]**.

يتبادر إلى الذهن أن كلمة ﴿وَٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾ محلها النصب أي الصابئين، فلماذا جاءت في الآية مرفوعة، إنها معطوفة بالواو على أسماء منصوبة.

**والآية الثانية هي:**

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ **[البقرة: ٦٢]**.

لقد جرت على القاعدة، وهذا يجعل المثقفين يتساءلون أكثر، فقد ورد الاسم المعطوف معاكساً للقاعدة في سورة المائدة ولكنه هنا جاء وفقاً للقاعدة منصوباً في سورة البقرة، لما هذا الاختلاف هل تقع شبهة هنا؟ أو أنَّ لكل مقام مقالاً؟

**والآية الثالثة هي:**

﴿ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أُو۟لَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ **[النساء: ١٦٢]**

لم تجر كلمة ﴿وَٱلْمُقِيمِينَ﴾ على القاعدة فنصبت والذي يتوقعه القارىء هو الرفع، لأن الواو حرف عطف والأسماء هنا مرفوعة.

لقد أعطى أمام القرن العاشر الهجري رأياً نحوياً في هذه الحالات وأمثالها، قال: (إنه يجوز في الثواني مالا يجوز في الأوائل)، ولا بد من شرح ما أراده السيوطي، وهذا يعني أن المعطوف على خبر إنَّ يجوز فيه الرفع والنَّصب وإن الخبر الثاني نستطيع أن نتصرف به بالصورة التي لا تقدر عليها في الأول، إن الأمثلة في ذلك قليلة ولكنها حاضرة، نجدها في الشعر الجاهلي والإسلامي كما نجدها في القرآن الكريم، ولكنها قليلة على أي حال، وإليك الأمثلة، قال الشاعر يمدح قومه:-

قومي الذي هُمم سُم العداة وآفة الجزر

النازلين لك معترك (والطيبين والطيبون) معاقد الأزر

لقد عطف على الخبر (سمُ العداة) باسم مرفوع كالمعتاد، وعطف عليه باسم منصوب وهو من باب يجوز في الثواني ما لا يجوز في الأوائل، فالخبر يجب رفعه ولكن ما عطف على الخبر يجوز فيه الرفع والنصب لغرض معنوي، فقد قُرئ البيت (والطيبون، والطيبين)، كما قرىء الخبر الثاني (النازلين) بكل معترك بالنصب، إذاً هناك نقاط معنوية يقصد إليها العرب في جعلهم الخبر الثاني أو

الصفة الثانية أو المعطوف يأخذ حركتين الرفع والنصب لأغراض معنوية.

لقد جاز في الخبر الثاني (النازلين) ما لم يجز في الخبر الأول انه من باب الجواز لا من باب الواجب، ولكن لكل ذلك أثره وتأويله والآية الأولى فيها ﴿وَٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾ ولكن التوقع هو ﴿وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾ لأنها معطوفة على أسماء منصوبة، فما الذي تبدل ولماذا؟ إنّ الآية الثانية جرت على القاعدة أي نصبت في موضع النصب، ولم تماثل الآية الأولى، فما الذي جعل هذا يختلف عن ذاك؟ لا بد أن هناك شيئا ما يتعلق بالمعاني وهو من باب الجواز وليس من باب الواجب.

وأما الثالثة ﴿وَٱلۡمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَۚ﴾ فقد وقع في الذهن أن تكون مرفوعة ولكنها جاءت منصوبة، والذين نتساءل أليس العطف بالواو يوحّد الحكم؟ نعم يوحده، ولكن في الثواني حكم أخر هو جواز التغيير، مع ما يطلبه المعنى من تجدد وبيان وتوضيح وتركيز؛ وسيظهر هذا في الأسطر الآتية عن الكلمتين. ﴿وَٱلۡمُقِيمِينَ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾.

كلمة الصابئون شملت مذاهب وطوائف، ولكن النصارى طائفة واحدة، واليهود طائفة واحدة، أي دين واحد، ﴿وَٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾ لم يكونوا أهل مذهب واحد أو دين واحد، فقال النبي فيهم وفي أمثالهم (سنوا بهم سنة أهل الكتاب) مهما كانت معطياتهم، فقد ألحقهم بأهل الكتاب فهل تعامل الآية تلك الطوائف والمذاهب التي انضوت تحت الاسم (الصابئون) بذات المعاملة التي انضوى تحتها مذهب واحد أو طائفة واحدة أو اتجاه واحد؟

فجاءت كلمة﴿وَٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾ مخالفة للموضع الذي ذكرت فيه الطائفتان الأخريان ليعرف القارىء أن هنا غرضاً جديداً في هذه المخالفة النحوية، فما يخرج

عن القاعدة يكون ذا هدف معنوي جديد وهذه القاعدة الجديدة سماها السيوطي (إنه يجوز في الثواني ما لا يجوز في الأوائل).

وأما ﴿وَٱلۡمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَۚ﴾ فللصلاة في الإسلام اعتبار كبير فهي فريضة يومية خماسية، نصلي الصبح والظهر والعصر والمغرب والعشاء، ولكننا نصوم اقل من ذلك ونحجُّ اقل من ذلك، ونزكي أقل من ذلك، إن أبرز شيء في حياة المسلمين هو الصلاة، فهي التي تميز المسلم من غير المسلم، وهي عمود الذين وهي الصلة الدائمة للعبد بربه، وهي التي تعلمها الرسول (ﷺ) وأمر بها في رحلة الإسراء والمعراج، فمن يقم الصلاة فانه يعمل عملا ذا أهمية كبيرة ولذلك خرجت الكلمة ﴿وَٱلۡمُقِيمِينَ﴾ عن المألوف النحوي لتشير إلى معنى ذي أهمية وهي أن يخص الله تعالى هؤلاء المقيمين للصلاة بالفضل والأجر والرضا.

إنَّ أحداً لم يُسِرّ إليّ بهذا القول، ولكن تدبر لغة القرآن يجعلني أعي بعض معانيه السامية؛ وإن رأي السيوطي كان له ما يسوّغه.

# رأى من آيات ربه الكبرى. ما الكبرى؟

ظن كثير ممن يتحدثون في شؤون القران الكـريم اللغويـة والنحويـة ظنـوا أن محمداً رسول الله كان له منزلة لم تحصل لأحد، وقد سموهـا الآيـة الكـبرى، وهـي رؤيـة الله عـز وجـل، واستشـهدوا بقولـه تعـالى: ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾ **[النجم: ١٨]** فالآية الكبرى هي رؤية الله تعـالى، ورأى آخـرون أن أحـداً لم يـر الله جل جلاله ولن يراه أحد قبل يوم القيامة، وهذه الرؤيا مقصـورة علـى المـؤمنين في ذلك اليوم، وقد رفضت زوج النبي سـؤال مـن قـال هـل رأى الرسـول ربـه ليلـة الإسراء؟ رفضت ذلك بشدة.

لقد بنوْا رأيهم على إعراب خاطئ للآيات، قالوا: إن سـورة الـنجم تتحـدث عن ليلة الإسراء والمعراج، وتصف مواقف للنبي (ﷺ) في السموات العلا، فقد رأى السموات السبع سماءً سماءً، ثم رأى عدداً من النبيين، ورأى سـدرة المنتهـى ومـا يغشى هذه السدرة ورأى الجنة ورأى النار ورأى العذاب و...و...الخ.

ورأى جبريل على صورته الحقـة، وهـذه الآيـات الكريمـة ذات معـان محـددة ومحكمة وتبين ما تفضل الله جل وعلا على رسوله، وقـد اختصـت سـورة الـنجم بـأكثر هـذه المواقـف، قـال سـبحانه ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾ **[النجم: ١٣ - ١٨]**.

قال بعض المفسرين أن الآية الكبرى هي رؤية الله ويقول غيرهم قولاً مناقضاً لذلك التفسير في هذه الآيات قالوا (لقد رأى تلك الليلة من آيات ربه العظام ما لا يحيط به وصف)، وقد جعلوا كلمة.

﴿ٱلۡكُبۡرَىٰٓ﴾ وصفا لكلمة ﴿ءَايَٰتِ﴾، وهـذا واضـح مـن قـولهم (العظـام)، فتكون الكبرى صفة للآيات، وهي آيات عظيمة بلا ريب، فقد رأى الجنـة والنـار، ورأى أصناف الخير الذي ينتظـر المـؤمنين وأصـناف العـذاب والشـر الـذي ينتظـر المشركين، لقد رأى أشياء هائلة ووردت في الأحاديـث الشـريفة، ولكـن لـيس مـن بينها رؤية الله تعالى، لا يجوز إعراب كلمة (الكبرى) على أنها مفعول به.

إنّ مذهب هؤلاء المفسرين يتفق مع ما جاء في سورة طه، إذ نزلت عدة آيات تصف شدة فرعون ضد موسى (عليه السلام) وتصف عنجهية فرعون وادعاءاته، وتصف موقف موسى (عليه السلام) الثابت القوي، قال سبحانه: ﴿وَمَا تِلۡكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ١٧ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيۡهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخۡرَىٰ ١٨ قَالَ أَلۡقِهَا يَٰمُوسَىٰ ١٩ فَأَلۡقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٞ تَسۡعَىٰ ٢٠ قَالَ خُذۡهَا وَلَا تَخَفۡۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلۡأُولَىٰ ٢١ وَٱضۡمُمۡ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخۡرَىٰ ٢٢ لِنُرِيَكَ مِنۡ ءَايَٰتِنَا ٱلۡكُبۡرَى ٢٣ ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ **[طه: ١٧ - ٢٤]**.

إذاً خاطب الله جل وعلا رسـوله موسـى (عليه السلام) وقـال لـه ﴿لِنُرِيَكَ مِنۡ ءَايَٰتِنَا ٱلۡكُبۡرَى﴾، وذلك بعد أن أراه المعجزتيْن السابقتين، معجزة العصا، ومعجـزة اليـد، وهما ستعرضان على فرعون لعله يذكر أو يخشى؛ ليس لذلك علاقـة برؤيـة الله لا من قريب ولا من بعيد، وسياق الآيات والمعاني يبيّن ذلك.

وأما أية ﴿فَأَرَىٰهُ ٱلۡأٓيَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰ﴾ **[النازعات: ٢٠]**، فالمقصـود بالضـمير الهـاء في كلمة أراه فرعون، أي أن رسول الله موسى (عليه السلام) أرى فرعون العصا فارتعب من منظرها الهائل في قصره، وكان ذلك أول خط دفاعي قوي من الله عز وجل لموسى، فقد دخل في رُوعِه عظمة هذا الموقف، وهـذا مـا دعـاه لعمـل مـؤتمر لملئـه ودعـوة

سحره مصر العارفين جيداً بالسحر لقاء وبذل الجهد لإبطال دعوة موسى (عليه السلام)، قال سبحانه: ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ ٱلْـَٔايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ﴾ **[النازعات: ١٧ - ٢١]**.

وضحتْ مناسبات الآيات، ودل السياق أن الآيات هي أدلة وبراهين للرسل ليبلغوا بها أقوامهم وأنصارهم ويبلغ الرسول (محمد) (صلى الله عليه وسلم) جميع البشر.

إن الذين خالفوا ذلك قالوا أشياء من علم الأعراب لا يؤيدها الواقع لقد قالوا: (إن كلمة الكبرى في آية ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ إنها المفعول به) وهذا أمر غريب منهم، لأن سورة طه تقول لموسى (عليه السلام) ﴿لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى﴾ وهي الآيات التي حملها موسى (عليه السلام) إلى فرعون، فهل يجوز لنا أن نقول أن كلمة الكبرى مفعول به؟ فيكون موسى قد رأى الله، ونحن نعلم أن موسى طلب الرؤية فقال له سبحانه انك ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ ولا يؤيدهم الواقع أيضاً في سورة النازعات، تقول أية النازعات: ﴿فَأَرَىٰهُ ٱلْـَٔايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ﴾ ومعناها ظاهر أو قل إنه غاية في الظهور، فإن موسى (عليه السلام) هو الذي أرى فرعون الآية الكبرى أي العصا.

إن رسول الله محمد (صلى الله عليه وسلم) رأى آيات كبرى كثيرة، ذكرها القرآن وذكرتها الأحاديث الشريفة وقد عجبت زوج رسول الله عائشة ممن قال متسائلاً (هل رأى الرسول ربه ليلة الإسراء)؟ فقالت: سبحان الله لقد قَفّ شعري لما تقول، ألم تقرأ قوله جل وعلا: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ **[الأنعام: ١٠٣]** وأخيراً نعيذ أنفسنا من التقول على كتاب الله ما لم يقل، وعسى الله أن يهدينا إلى المعرفة الحقة.

## هل كلمة ( منهم ) للتبعيض أو للجميع؟

تثير كلمة (منهم) التساؤل والاهتمام في المكان الذي وضعت فيه، لا نستطيع أن نقرأ الآية التي وردت فيها كلمة (منهم) دون أن نتوقف ونسأل: هل بعض الصحابة مؤمنون وبعضهم غير مؤمنين، أستغفر الله من هذا القول فإن الصحابة الكرام زرع قوي مستغلظ على سوقه يعجب الزراع الذين يتأملون زرعهم وهم يغيظون الكفار غيظاً شديداً، إنهم أشداء ورحماء، إنهم في الجنة.

الأَوْلى أن نذكر الآية كاملة ثم نتوقف على العبارة القرآنية: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم﴾ قال جل وعلا: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾ **[الفتح: ٢٩]**.

هذه الأوصاف العظيمة الهائلة لم تذكر عبثاً في القرآن الكريم، بل ذكرت لتثير شهية كل من يؤمن ليكون مثلهم، فلم ينزل القرآن لتقرأه فئة من الناس ثم يطوى لأبد أبد، إنها تذكر ليقول المؤمن هل أنا شديد على الكفار الذين يعادون الإسلام هل أنا رحيم بالمؤمنين، هل مكنتُ نفسي بالصلاة، هل أنا الزرع الأخضر بديني وإيماني، إن هذه الآيات للصحابة ولمن يقرأ كتاب الله، ولمن بلغه الإسلام ولو كان في جزر الملكة البريطانية اليزابث أو في ألاسكا أو المحيط المتجمد، إذاً تعني العبارة الواردة في الآية التاسعة والعشرين ما يلي: وعد الله الذين آمنوا من هذا النوع من المؤمنين مغفرة وأجراً عظيماً.

الحرف (**مِن**) في لغة العرب له معانٍ عديدة، فهو للمكان مثل: خرجتُ من عمان إلى القاهرة، وهو للزمان: صُمْتُ من الساعة الخامسة صباحاً حتى السابعة مساءً وهو للسبب أيضاً: ممّا خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا ناراً وهو للتبعيض أي الجزئية: ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير، ومثل ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ﴾ وهو للبيان وما أكثر ما ورد في القرآن بهذا المعنى، ففي سورة الناس يقول جل وعلا: ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ سورة الناس، ما هذا الذي يوسوس؟ وأين يوسوس، الذي يوسوس نوعان، الجن النوع الأول والناس النوع الثاني، فاستعمل الحرف (**من**) لبيان النوعين، ولذلك يتضح معنى **(من)** بأنها للبيان، لأنها بينت أنواع الوسواس.

وترد **(مِن)** البيان كثيراً، وقد تكررت كلمة منكم ومنهم مرات ومرات، وقال المفسرون إنه رسول من جنسهم يعرفونه ويعرفون نسبه، والحرف (**من**) في هذه الآية لا يقبل أن يكون بمعنى بعض، لأن الآية عامة في وصف مَن صحب الرسول (ﷺ) أي (الذين معه) كلُ أصحابه الكرام، إنها كتلة متميزة عن سائر البشر، وتفسير المفسرين جيد ومطمئن إذ قالوا: من جنسهم ومن محيطهم ومن لغتهم، فكل جنس مثل ذلك الجنس، وكل محيط من ذلك مثل ذلك المحيط الاجتماعي، سيكون جنساً مرضياَ عنه، وسيكون محيطاَ اجتماعياَ مفلحاَ، إنّ الآية بشرى لنا لأننا نتمسك بقول الرسول (ﷺ) وفعله، وندرس سيرته، وندرس أفعال أصحابه العظيمة، ولا نذكرهم إلا بالرضا والأخذ عنهم، فنحن بإذن الله جلّ وعلا من هذه الأجناس المباركة، أن قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ لم يستثنِ من أصحابه أحداً، إنهم يصاحبون الرسول (ﷺ) ولذلك تمتعوا بهذه الصفات الممتازة التي حصلوا عليها

بتقليد الرسول والتأسي به، ولو قلنا فرضاً إن (**من**) ربما تفيد التبعيض في الآية لكان قولنا هذا مضاداً ومعاكساً لكلمة (والذين معه)، لا تحتمل (**من**) في الآية إلا وجهاً واحداً هو البيان. إن هذه اللغة الشريفة استوعبت بدقائقها الهائلة أدق المعاني التي في كتاب الله، ونِعْمَ اللسان العربيّ.

## (لعلَّ)

هل تظن أن كلمة (لعلَّ) في القرآن الكريم أخذت حقها من الشرح لقد وضع لها النحاة على عجل معنى واحداً هو إفادة الرجاء، قالوا: لعل الفرج قريب، لعل هذا اليوم ماطر، لعل الله تعالى يحفظ هذا الشجاع من كيد الأعداء، لعل السوق هذا اليوم رائجٌ، وهكذا وهكذا، كلها تشير إلى معنى واحد هو الرجاء، أو الرجاء على سبيل المثال التوقع وليس الجزم.

إن الآيات الكريمة شملت كلمة (لعلَّ) في عدة مواضع، وربما يتساءل القراء هل هذه في هذه الآيات كلها للرجاء؟ المعنى لا ينطبق على الرجاء وحده، والآيات التالية تبين معانيها المتنوعة إلى حد ما:-

إن قوله تعالى: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ **[الكهف: ٦]**، وإن قوله تعالى: ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعۡضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدۡرُكَ ﴾ **[هود: ١٢]**، وإن قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ **[البقرة: ١٨٣]**، وإن قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾ **[يوسف: ٢]**، وإن قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلۡنَا فِيهَا فِجَاجٗا سُبُلٗا لَّعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴾ **[الأنبياء: ٣١]**، وإن قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ فَأۡتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعۡيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡهَدُونَ ﴾ **[الأنبياء: ٦١]**، وإن قوله تعالى: ﴿ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴾ **[الأحزاب: ٦٣]**، تبيّن هذه الآيات أنّ هناك كمّاً كبيراً من المعاني لكلمة **(لعلّ)**، إنها الرجاء وغير الرجاء.

آيات كثيرة منها تدل على أن معنى **(لعلّ)** فيها الرجاء والتوقع، ومنها مالا

يقبل أن يأتي للرجاء والتوقع فآية ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعۡضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدۡرُكَ ﴾، لا تقبل الرجاء، وإنما هي حض للرسول (ﷺ) بأن يحرص على ما يوحى إليه، فالأسلوب تحذيري بمعنى احذر أن تترك شيئاً من أوامري من اجل إرضائهم، إنك على الحق وهم على الباطل فلا تتبع أهواءهم، ومثل ذلك التحذير والحث على الحرص على كتاب الله ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ أي لا تفعل ذلك لأن حديثك هو الصحيح وهم على خطأ.

وربما تأتي **(لعل)** بمعنى السببية والتعليل وحتى فقوله سبحانه: ﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ﴾ تعني حتى نتبع السحرة إذا انتصروا، فلا مجال ولا رجاء لاتّباع موسى (عليه السلام) إن لم يفعل ما أمره الله به وهي **[في سورة النمل]** تعني لكي قال سبحانه: ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ لِمَ تَسۡتَعۡجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِۖ لَوۡلَا تَسۡتَغۡفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴾ **[النمل: ٤٦]** وقال رسول الله (ﷺ) في الحديث الشريف «إن ربي قد رخص لي فيهم (أي المنافقين ) فوالله لاستغفرن لهم لعل الله أَن يغفر لهم» هذا رجاء لأنه يرجو الله تعالى أن يغفر لهم.

وقال النبيّ (ﷺ) في الحديث القدسيّ: « يا ابن آدم لعلي إن أعطيتكها سألتني غيرها» (مختصر صحيح مسلم جـ١/ ص٣١ للألباني)؛ إن الحديث القدسي استعملها للسؤال، لأنّ آخر من خرج من النار يجيب فيقول: لا يا رب لا أسالك غيرها، إذاً لعل تأتي بمعنى (هل)، لكنها سؤال مع الترقيق والشفقة.

وقد أفادت في البيت التالي معنى (ربما)، قال الشاعر:

**«لعلَّ أبي المغوار منك قريب»؛**

وقال رسول الله (ﷺ) في حجة الوداع: (لعلي لا ألقاكم بعد عامي هـذا) أي ربما.

كما أَنها تفيد الظن فقد جاء في الحديث الشريف أن الرسـول (ﷺ) بشـر أمتـه بأن هناك سبعين ألفاً سيدخلون الجنة بغـير حسـاب ووجـوههم كالبـدور، فعجـب الناس من ذلك فقال بعضهم: (فلعلهم الذين ولدوا في الإسـلام ولم يشـركوا بـالله شيئاً)، إذا يساورهم الظن في تحديد نوعية هؤلاء المؤمنين الصـالحين، فقـال النـاس فيهم (نظنهم الذين ولدوا في الإسلام)؛

إن هذا الحرف **(لعل)** الذي عدوه من أخوات (إنَّ) يتحمل عدة معـان، فـإن كانت للسؤال فهي تفيد الاستفهام مع الترقيق، وكذلك الظن مع الترقيق، وكـذلك كل استعمالاتها.

إذاً تساؤل بعضنا عن **(لعـلّ)** في مثـل:«﴿ **فَلَعَلَّكَ بَـٰخِعٌ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَـٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا** ﴾ تساؤلنا عن الرجاء أين هو في الآية أو عن التوقـع أين هو في الآية، تساؤل صحيح، فالله جل وعلا يصف موقفاً للرسول فمن يرجـو وهو العلي القدير، وكيف يتوقع وهو الذي يعلم ما بين أيـديهم ومـا خلفهـم؟ إنّ تدبر القرآن عملية عظيمة، وهي إشارة إلى أن الله تعالى يفتح علينا بالخير إن انفتحنا على كتابه الجليل بالدراسة والتدبر، والله تعالى يحث علـى التـدبر» أفـلا يتـدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها؟ إن اللغة العربية حُفظت بهذا الكتاب العظـيم، ومـا زال الكتاب هو الذي ينشِّطُ لغتنا.

## ﴿وَقَطَّعۡنَٰهُمُ ٱثۡنَتَيۡ عَشۡرَةَ أَسۡبَاطًا أُمَمٗاۚ﴾

النقطة التي تلفت الانتباه في الآية التالية هي التمييز للعدد اثـنتي عشـرة قـال سبحانه:

﴿وَقَطَّعۡنَٰهُمُ ٱثۡنَتَيۡ عَشۡرَةَ أَسۡبَاطًا أُمَمٗاۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰهُ قَوۡمُهُۥٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ فَٱنۢبَجَسَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ قَدۡ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٖ مَّشۡرَبَهُمۡۚ﴾ **[الأعراف: ١٦٠]**

فالتمييز للعدد اثنتي عشرة كان جمعاً وهو ﴿أَسۡبَاطًا﴾ والتمييـز لعـدد ﴿ٱثۡنَتَيۡ عَشۡرَةَ﴾ في الآية نفسها كان مفـرداً، لمـاذا كـان ذلـك الاخـتلاف؟ إن كتـب النحـو ذكرت موضوعات عن العدد وعن تمييز العدد، وكان مما ذكرته أَنَّ تمييز الأعداد من ١١-١٩ مفرد منصوب، مثل ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثۡنَا عَشَرَ شَهۡرٗا﴾، ومثل ﴿إِذۡ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيۡتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبٗا﴾، فكلمـة شـهراً تميـز مفـرد منصوب، وكلمة كوكباً تمييز مفرد منصـوب، فلمـاذا جـاء في الآيـة السـابقة وهـي ﴿وَقَطَّعۡنَٰهُمُ ٱثۡنَتَيۡ عَشۡرَةَ أَسۡبَاطًا﴾ تمييـز للعـدد ﴿ٱثۡنَتَيۡ عَشۡرَةَ﴾ جمعـاً؟ لقـد تسـاءل الجلساء في ذلك.

وعند البحث يتبيّن أنه يوجد في الآية حذف ويوجد قرينة دلت على الحـذف، فكلمة قطعناهم تدل على أنّ الله تعالى قطع بني إسرائيل قطعاً فـالتمييز هـو قطعـة بعد العدد اثنتي عشرة، أَيْ قطعناهم اثنتيْ عَشْرةَ قطعةً، ثم ذُكرت أوصـاف القطعـة الواحدة، كل قطعة لها راس من أبناء يعقوب (عليه السلام)، وهذا الـرأس يلحقـه أسـباط منه وأحفاد، وكون هؤلاء جميعاً أمماً، فكـل قطعـة تتبـع لسـبط أي لابـن مـن أبنـاء

يعقوب، وهؤلاء يشكلون أُمة، فهناك قطع وأسباط وأمم.

والأمر هيّن جدا، فإن الجزء الثاني من نفس الآية جاء التميز فيه مفرداً ومنصوباً، قال تعالى: ﴿فَٱنۢبَجَسَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنًاۖ﴾، التمييز هنا يشير إلى شيء محدد وهو عين الماء، أما هناك فانه يشير إلى سلسلة اجتماعية القطعة والسبط والأمة.

# فأصَّدَّقَ وأكنْ!

يتبادر إلى الذهن أن تكون: فاصدقَ وأكون لأننا نعطف الفعل (أكون) على الفعل اصدق، فنتوقع عندئذ النصب أي (وأكون) فلماذا جاءت وأكن؟

لقد جاء هذا الفعل ﴿وَأَكُن﴾ في سورة (المنافقون) في قوله تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾، يعترض بعضهم فيقول: أليست وأكون، أليس الفعل (أكون) معطوفا على الفعل المنصوب (أَصّدَقَ)؟ إن الذين يقولون إن اللغة كائن اجتماعي يصور دقائق الأمور الفكرية والمعنوية ينسون حين يرون أَنَّ بعض المواقف النحوية لا يتلاءم مع دراساتهم التي أخذوها بصورة عامة، إنَّ هناك صيغاً عامة تعبّر عن الأشياء العادية، وهناك صيغ أُخرى لأشياء خاصة ومواقف متميزة إن علم النحو في اللغة العربية يراعي كل هذه الأمور والآية التي بين أيدينا فيها النوعان: فقوله تعالى: وأنفقوا مما رزقناكم أي أنفقوا من رزق الله على أنفسكم، وأنفقوا على أولادكم وعيالكم، وأَنفقوا على أقاربكم واشتروا الملابس والأطعمة، و ... و...، كل هذا شيء عادي، ولكن لحظة الموت رهيبة ولاسيما على من لم يتق الله ولم يتصرف بأمواله تصرفاً صالحاً هنا يبدأ ذهنه بالاضطراب ماذا يفعل ماذا يقول؟ اللغة في هذه الآية تصور موقف الجزع، فجاءت بنقاط نحوية خارجة عن النظرة العادية والاسلوب العادي، الذي ينازع ويحتضر يقول: أخرني يا رب فإني عندئذ سأنفق، ثم يعاتب نفسه ويغير رأيه فيقول (أكُنْ) لقد جزم في موقفه وحسم أمره فاشترط على نفسه «إن أخرتني أكُنْ من الصالحين».

أي إنه سيعمل صالحاً ويقول صالحاً وينفق ويتصدق وسيعبد ويطيع، هكذا يشترط الآن على نفسه لقد وسّع عهده مع الله تعالى ونحن عندما نرى أسلوباً

جديداً أي نرى كما في هذه الآية جزماً بعد نصب يجب أن نجتهد ونتساءل لماذا تغير الأسلوب؟ لماذا جزم الفعل بعد أن توقعنا النصب، إذاً هناك معنى أخر وموقف أخر، واللغة زعيمة بأن تؤدي هذا الدور، لاسيما لغتنا العربية، فإنها اللسان العربي المبين.

## ﴿ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ ؟

## وليس «كُن فكان»!

تتعلق هذه الآية بقول الله جل وعلا في سورة آل عمران في الاية التاسعة والخمسين، وقد نزلت تصف خلق ادم أبي البشرية، قال جل وعلا: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ رأى مغترب من أهلنا في الولايات المتحدة الأمريكية أن فهمه للنحو والمعاني يقول له ليت القرآن وضع كلمة (فكان) بدل كلمة فيكون، لأن الأمر انتهى وقد خُلق آدم وسجدت له الملائكة ونزل إلى الأرض وتوفى، كل هذه الحوادث وقعت وانتهت، فلماذا يأتي فعل يدل على الحاضر أو المستقبل وهو (يكون)؟

لا يا أخي المغترب! إن نصف العلم للمغترب أو نصف العلم لأي إنسان تحت أي ظرف لا يغني عن العلم الكامل الوافي، العلم الذي يمهر فيه أهله، العلم الذي ينجيك من الحيرة ويوصلك إلى شاطئ السلامة اللغوية. أن الصواب هو في لغة القرآن، وهي أيها السيد المغترب قمة الفصاحة والذوق والمعاني، ولو انك سألت هل يوجد خاتم يختم به المسؤولون على اختلاف مستوياتهم كتبهم المرسلة إلى مسؤولين مثلهم؟ إن هذه الأعمال الرسمية في حياتنا لها خاتم يدل عليها وعلى صاحبها وعلى رسميتها.

هذه العبارة القرآنية ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ هي الخاتم الذي وضعه سبحانه وتعالى لخلق جميع الأشياء، يأمر سبحانه الشيء غير الموجود فيقول له: كن وعندئذ يكون، الأمر أولاً ثم حدوث الفعل، إنه لا يلفت انتباهك لقصة ماضية إنه يلفت ذهنك لحقيقة حدوث الأشياء، وقد ورد ذلك في مواقف متعددة من القرآن الكريم عند

إرادة الخلق، قال سبحانه في سورة البقرة في الآية السابعة عشرة بعد المئة، قال:

﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ١١٦ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ **[البقرة: ١١٦ - ١١٧]** إنَّ الله تعالى يأمر فلا يستعصي عليه شيء، وورد مثل ذلك في سورة آل عمران في الآية ٤٧، قال سبحانه:﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾، وشهدت سورة الأنعام ٧٣ نفس المثل عن الخلق إذ قال جل وعلا ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ وَيَوۡمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُۚ قَوۡلُهُ ٱلۡحَقُّۚ وَلَهُ ٱلۡمُلۡكُ﴾، إنَّ العبارة واحدة في خلق السموات وفي خلق الأرض وفي خلق آدم وحتى خلق المسيح، وقوله الحق، ولعلنا نفهم لغتنا لتيسر لنا معرفة القول الحق.

## سلام على إل ياسين، أو على إلياس

جاءت هذه الآية في سورة الصافات، وهي الآية الثلاثون بعد المئة قال سبحانه: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ ﴾ وقد رأى أحدهم أن الصواب ليس في كلمة الياسين بل في كلمة إلياس، وذلك لأن الآية (١٢٣) من السورة ذاتها ذكرت إلياس ونص الآية هو ﴿ وَإِنَّ إِلۡيَاسَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾ فأصبح الاسم واضحاً وإنما هي خطأ كتابي أو خطأ غفلة في أثناء الكتابة!!

ذلك شأن بعض من يرون في أنفسهم كفؤاً لمنازلة كتاب الله، لا يدرسون لغتهم أو لغة كتاب الله دراسة متعمقة قوية بل يدرسونها دراسة ابتدائية ليس فيها نظر أو فكر أو جهد إنَّ الآية (١٢٣) التي ذكرتُها لا يفصلها إلا ست آيات عن الآية الأخرى أي آية ١٣٠ وهي من الآيات القصيرة جداً، فالذي يقرأ إلياس ثم يقرأ الياسين بعد بضعة ثوان يتبين له الفرق بين إلياس والياسين، ولا يجوز أن نتعجل فتقول غفل أو نسي أو فاتته القراءة، وإذا غفل واحد فإنه لا يغفل العشرات المتقنون الواعون الحريصون على كتاب الله ثم لا يغفل الرسول وهو يقول لهم أعيدوا عليّ ما كتبتُم، ولا يغفل مئات الصحابة الذين كانوا يسمعون أو يتناوبون السمع حتى لا يضيع عليهم حرف واحد، لا يجوز لأحد أن يتهم أمماً بأنهم غافلون وإنه هو الذي اكتشف الصواب.

إذاً نفكر بطريقة أجدى وأنفع من طريقة الخطأ والغفلة والاتهام إن أردنا الحسنى إن الذين سلكوا الطريق الأقوم فسروا الكلمة بأن هذا الرسول (عليه السلام) كان له أسماء متقاربان، إلياس كما سماه أهله، والياسين اسم جديد لكثرة جهده في قومه بني إسرائيل وهو يدعوهم، لقد آمن معه ملك بني إسرائيل في تلك الفترة ثم ارتد، وارتد معه بنو إسرائيل جميعاً في تلك الفترة، لقد تفانى في سبيل هدايتهم،

فقال سبحانه يثني عليه ويشكره ﴿وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴾، وظل يجتهد حتى آمن معه بعض قومه، وقد أثنى سبحانه على أولئك القوم الذين آمنوا فقال فيهم﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ من هؤلاء المحسنون؟ إنهم إلياس ومن آمن معه، ولذلك جاء الاسم الثاني الياسين دالاً على إلياس ومن مع إلياس من الصالحين، وكتابة اسم الياسين تمثل الدقة العظمى في الكلام، فقد كتبت بمقطعين هما: إل، وياسين لتؤدي عدة أغراض أولها الجمع بالياء وثانيها قومه بجعل (إل) مقطعاً منفصلاً وهو دال على الأهل، ثم إنه الجمع واستعمال إل مع بعضها بعضٍ تفيد التعظيم ألا ترى الاسم طور سيناء وطور سينين دالاً على كثرة الأشجار والخيرات اللهم اشرح صدورنا لنفهم شيئا من أسرار كتاب الله.

## ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾

أين الشبهة الغوية في هذه الآية؟ قال من درس هذه الآية ثم وجدها تخالف ما تعلمه من كتب النحو قال: أرى أن الصواب في استعمال الفعل من دون واو، أي أن نقول واسر النجوى الذي ظلموا هكذا يراها أحدهم، وللبحث نرجع إلى الآية الكريمة لنطلع على لفظها ومعناها.

قال سبحانه: ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ هَلۡ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡۖ﴾ **[الأنبياء: ٣]** فالآية فيها ﴿وَأَسَرُّواْ﴾، وحرف الواو هو واو الجماعة، وهو الفاعل، وكذلك يوجد اشتباه إن كلمة ﴿ٱلَّذِينَ﴾ هي فاعل أيضاً، والعرب لا يجيزون مجيء فاعِلَيْن لفعل واحد هو (أسَرّ) وقد سمعوا اللهجة العربية التي تذكر فاعليْن لفعل واحد فأطلقوا عليها (لغة أكلوني البراغيث) لان هذه العبارة فيها فاعلان للفعل (أكل) هما: الواو والبراغيث، فهم يسخرون من هذه اللهجة، وقال بعضهم ربما تكون ﴿ٱلَّذِينَ﴾ بدلاً من الواو، يريدون حل الإشكال، ولكن البدل يقوم مقام المبدل منه مع مزيد من البيان والشهرة، إن الاسم الموصول ﴿ٱلَّذِينَ﴾ وجميع الأسماء الموصولة تحتاج لبيانها وإزالة الغموض عنها إلى جملة صلة، والأمر كله لا يحتاج إلى هذه الرَّبكة، واليك يا أخي القارئ بياناً ميسراً جداً لما في الآية من نقاطٍ إبداعية، قال سبحانه: ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَى﴾ ما هي هذه النجوى؟ النجوى هي: هل هذا إلا بشر مثلكم، إذ تناجوا بين بعضهم بعض بأن الرسالة لا تصدق فالذي يحملها بشر كباقي البشر.

ثم تجيء الجملة المعترضة وهي جملة تفسيرية وقد وقعت بين ﴿ٱلنَّجۡوَى﴾

وبين ﴿هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ فالآية هل هذا ألا بشر مثلكم بدل من النجوى، ولذلك تجد البدل محددا وواضحا، فكلمة النجوى المبدل منه ليست واضحة تماماً، ففصلتْ أمرها وعرَّفتها جملة ﴿هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ وأما الجملة التي بين البدل والمبدل منه فهي ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ وقد نصبت على التخصيص أي المعنى: أعني الذين ظلموا ولست أعني جميع الناس، فالآية هكذا: إن فئة الظالمين هي التي أسرت النجوى وذلك بتكذيبها للرسول الكريم، فتصبح الجملة القرآنية بعد فهمها وفهم دقائقها كما يلي:-

﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى﴾ أعني ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ ونجواهم هي ﴿هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾. لقد فُسرت واو الجماعة بأنهم هم الظالمون، وفسرت النجوى بأنها مَسارّة الظالمين ﴿هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ فكيف تطعيونه؟

إن الذين يقولون إن اللغة تمثل الحياة الاجتماعية عليهم أن يدققوا في بعض تراكيب القرآن الكريم فإنهم سَيُذهلون من هذا التمثيل.

## ﴿تِلۡكَ عَشَرَةٞ كَامِلَةٞۗ﴾

يـدور البحـث حـول الآيـة: ﴿ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖ فِي ٱلۡحَجِّ وَسَبۡعَةٍ إِذَا رَجَعۡتُمۡۗ تِلۡكَ عَشَرَةٞ كَامِلَةٞۗ﴾ **[البقرة: ١٩٦]**.

ظن أحدهم أن اسم الإشارة ﴿تِلۡكَ﴾ يدل على المؤنث، وقاده ظنـه أن يقـول أن كلمة ﴿عَشَرَةٞ﴾ بالتأنيث خطأ، فلا بد أن تذكر حتى تناسب كلمـة ﴿تِلۡكَ﴾ أي أَنْ يقال تلك (عشر) كاملة! إنني أرثي لحال أولئـك الـذين يحكمـون علـى أفصـح مستوى في لغة العرب بمعلومات محدودة جداً، إن اسم الإشارة (تلك) أو (هذه) له عمل متشعب تشير به إلى جماعة الذكور ومـرة إلى جماعـة الإنـاث، وكانـت العـرب الذين نزل فيهم القرآن لا يسـألون في هـذه البـديهات، وانظـر إلى اسـتعمال كلمـة الرسل في القـرآن كيـف وردت، قـال سـبحانه: ﴿۞تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۘ﴾ **[البقرة: ٢٥٣]**، وقال تعـالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ﴾ **[آل عمـران: ١٤٤]**، وقـــال ســـبحانه: ﴿قَدۡ جَآءَكُمۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِي بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِي قُلۡتُمۡ﴾ **[آل عمران: ١٨٣]**، وقـال سـبحانه: ﴿وَلَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ﴾ **[الأنعام: ٣٤]**، آيـات كـثيرة اشـتملت علـى كلمـة ﴿رُسُلٞ﴾ وخوطب خير خلق الله بالتذكير والتأنيث، فيجوز أن نقول أولئك الرسل كما يجوز أن نقول تلك الرسل نذكر ونؤنث لأن جمع التكسير يصـلح فيـه الوجهـان، هكـذا نتعامل مع لغتنا العربية.

لو قلنا كما ظن بعضهم عشر ﴿كَامِلَةٞۗ﴾، لكان الاسم المحذوف هو (ليالٍ) أي

عشر ليال كاملة، فان ذلك يحول الصيام إلى الليل، أي صوموا عشر ليال كاملة، إنّ وضعها الآن صحيح وفي قمة الصحيح، فالمطلوب أن نصوم عشرة أيام كاملة، ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعنا إلى مواطننا.

ولعل أحدهم علق على فهم المسلمين ومستواهم في الفهم، فقد يقول بل قال فعلاً لماذا يجمع القرآن الثلاثة والسبعة فيبين إنها عشرة، وهل يوجد بين العرب من لا يعرف أنّ الثلاثة والسبعة مجموعها عشر؟ هكذا يظنون، وجعلوا الظن سيد الأحكام لديهم، وسيد المنطق وسيد الموقف، وأدانوا العرب وأدانوا المسلمين لإرضاء شهواتهم.

الأمر هين أيها الظانون بإخوانكم العرب والمسلمين ظن السوء، إنّ بعض القبائل العربية تستعمل (أو) بمعنى (وَ)، كأنهما حرفا عطْفٍ متساويان في المعنى والأثر، ولذلك لو لم تجمع الثلاثة والسبعة لقبل المعنى أن يصوم الحاج للاقتداء ثلاثة أيام في الحج، وله الحق أن يترك صيام الأيام الثلاثة ليصوم سبعة أيام في داره عندما يعود من الحج، إنَّ اللغة العربية وعاء كبير وسع أحكاماً كثيرة جداً وعبر عن هذه الأحكام بكلمات وعبارات متقنة، والله تعالى اعلم حيث يجعل رسالته.

## نسقيكم مما في بطونه. او بطونها؟

هذه الآية نزلت عن الأنعام، قال سبحانه: ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴾ **[النحل: ٦٦]**. وقد ورد ما يشبهها في سورة (المؤمنون)، إذ قال سبحانه عن الأنعام أيضاً ما يلي ﴿**نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ**﴾ **[المؤمنون: ٢١]**، كما وردت آية ثالثة عن النحل وليس عن الأنعام وذلك في سورة النحل، والذي يجعل القارىء يقرن الآيتين السابقتين بهذه الآية سبحانه:﴿ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ **[النحل: ٦٩]**.

إنَّ آية النحل واضحة، فالضمير فيها ﴿بُطُونِهَا﴾ يدل على الجمع، فالنحل لها بطون كثيرة ويخرج من هذه البطون عسل، وهو شراب ذو ألوان متعددة، وليس هنا أي تساؤل عن شيء في علوم لغتنا يخالف ما اعتدنا عليه، وكل كلماتها جارية وفق ما نعرفه من أساليب اللغة، فالنحل جمع وبطون النحل جمع والهاء في بطونها للجمع.

أما الأنعام فهي جمع وبطون الأنعام جمع ولكن الهاء في كلمة ﴿بُطُونِهِۦ﴾ جاءت على نوعين، أولهما جمع وهو في ﴿بُطُونِهَا﴾ أي الهاء للجمع وهذا يتناسب مع معرفتنا أن الأنعام جمع، وهو ما ورد في سورة **[المؤمنون: آية ٢١]**، ولكن ما ورد في سورة الأنعام خالف ذلك، فجاء الضمير مفرداً ﴿بُطُونِهِۦ﴾، ما سر ذلك؟

السر هو في كلمة (الأنعام) فإن الضمير في كلتا الآيتين يشير إلى الأنعام سـواء أكان ذلك مفرداً أو جمعـاً، واللغـة العربيـة تسـتعمل كلمـة (الأنعـام) مفـردة كمـا تستعملها جمعاً، تقول العرب: هي الأنعام كما تقول: هو الأنعام، ولـذلك جـاز أن يكون الضمير جمعاً مرة ومفرداً مـرة أخـرى، ورحـم الله سـيبويه الـذي جمـع عـن العرب في جاهليتهم بإرشاد أستاذه الخليل ما لم يجمعه أحد بعده، والله ينصـر لغـة القرآن بالعرب وغير العرب.

## وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا ـ أو أقتلتا؟

هذه الجملة القرآنية جزء من الآية التاسعة من سورة الحجرات وهي قوله جل وعلا: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا﴾ **[الحُجُرات: ٩]** القتال حدث بين الأوس والخزرج في عهد النبي ﷺ، وقد استعمل الفعل ﴿ٱقْتَتَلُوا۟﴾ وهو دال على الجمع، ولكن استعمل ظرف المكان ﴿بَيْنَهُمَا﴾ ليدل على المثنى، فكيف نفهم ذلك، هل الجمع يحل محل المثنى؟ وجاء مثل ذلك الجملة القرآنية في سورة الحج، إذا قال سبحانه: ﴿۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾ **[الحج: ١٩]**، وهاتان الآيتان فيها لفتة دينية جيدة، إذ أن الخصومة بالغاً ما بلغت، حتى لو بلغت القتال، فإنها لا تُخرج المؤمنين عن إيمانهم؛ فالآية الأولى فيها كلمة ﴿فِى رَبِّهِمْ﴾، والآية الثانية فيها ﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، ولذلك نصلح ما استطعنا الإصلاح دون تكفير أو تجحيد أو تفسيق؛ لأن كلمة المؤمنين تدل على أنَّ الله تعالى سيحاسبهم على أخطاء وليس على كفر أو خروج عن الدين، وهم يحملون السيوف ويقاتل بعضهم بعضاً، والله أعلم بالنية، فهم لا ينظرون للمؤمنين خلال الحرب كما نظروا للكافرين خلال الحرب، نظروا لقتالهم المؤمنين كشيء لا بد منه لإزالة حالة تمرد دون الرغبة في القتل، وفي آية الحج أيضاً سمّى المتخاصمين باسمٍ حسن، قال إنهم يتخاصمون في ربهم أي كل منهم يريد لكلمة الله البقاء والارتفاع، ولكن الخلاف كان في الطريقة ونوع التفكير.

أما النحو فأمره كما يلي: طائفتان اقتتلوا، الطائفة اسم قبيلة أو ائتلاف قبائل، وهنا كما ذكرت كتب الشرح والتفسير إنهما: الأوس والخزرج.

وإذا تجاوزنا الاسم جاء أمامنا أفراد القبيلتين، فإنهم مئات أو ألوف وكل

منهم سيبذل جهداً في هذا القتال حتى لو كان طباخاً في خيام الجند، أو كان ساقياً بجلب الماء أو كان معالجاً، كلهم يشتركون في أداء القتال، فالجنود يطلقون سهامهم أو يطعنون ومن خلفهم يعينونهم، إذاً فهم جميعاً يقتتلون، فالاسمان للقبيلتيْن. والأفراد للعمل، وليس بعيدا عن هذا آية الحج، فإن الخصمين يمثلهما رؤساء الطائفتين، وهؤلاء الرؤساء يختارون من يمثلهم ويقول باسمهم، ولكن الأفراد جميعاً تنتقل إليهم العداوة، وكل منهم يحمل ضغينة تجاه الخصم الأخر، فالأفراد متخاصمون، والإصلاح يقوم به اثنان على الأغلب يمثل كل منهما قبيلته، إننا حتى الآن نذكر في الحرب العالمية الثانية شارل ديغول الذي يمثل خصومة الفرنسيين وهم بالملايين ضد الألمان، ونذكر الطائفة الأخرى ألمانيا وما فيهم من ألمان بالملايين ونجد أن ممثلهم الذي تحدث الحرب باسمه والصلح باسمه والاتفاقات باسمه نذكر من الألمان هتلر الذي كان زعيم الحرب، التمثيل شيء والقتال شيء أخر وأرجو ألا تتوقف طويلاً عند ديغول أو هتلر أو من كان يحكم أمريكا وأظنه روزفلت أو يحكم بريطانيا وأظنه تشرشل، كل هذا يقع في الشكل ولا يقع في المضْمون؛ واللغة وعاء لكل ذلك.

## حَرّم ربكم ألا تشركوا! أم أن تشركوا؟

الوصايا العشر جاءت بأسلوب يحتاج إلى تفكير وتعمق، وأول ما نفكر به كلمة (حَرّم) التي وردت في الآيات التالية قال سبحانه:- ﴿ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ هذه هي الوصية الأولى، وتقع على رأس الوصايا العشر، وانظر إلى هذا الأسلوب حَرّم ربكم عليكم ألا تشركوا! إذا أدركنا أسلوب الوصية الأولى أدركنا أسلوب باقي الوصايا، فسر المفسرون الذين استطعتُ أن اقرأ لهم كلمة حرم بأنها تعني نهى، فكيف يتأتى ذلك؟ إنه بناءً على تفسيرهم الكلمة حرَّم بمعنى نهى أو منع فإن الوصية الأولى تصبح هكذا: نهى الله تعالى المؤمنين ألا يشركوا، أَليس الصوابُ والمقصود هنا إنه قد نهى الله تعالى المؤمنين أن يشركوا؟ النهي هو ترك الشيء فكيف يكون النهي:- اترك ألا تشرك؟!

إن إعطاء كلمة حرم معنى النهي يؤدي بنا إلى هذا المعنى، فالآية ﴿ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾، المعنى: حرم ربكم عليكم ﴿أَلَّا تُشْرِكُواْ﴾، وحرم عليكم (الإحسان للوالدين) لقد وضعنا معنى كلمة (حرّم) كما وضعها المفسرون، فقد أخذوا المعنى العام ولم يأخذوا الشرح المخصص لكل جملة أو عبارة، فيصبح المعنى غير الذي في نفوسنا: إن المنطق يرفض في هذه الآية أن تكون (حرّم) بمعنى منع أو نهى، وهذا بيان ذلك.

كلمة (حرم) في لسان العرب لها معان كثيرة جدا، فهي تعني امتناع الشيء، أو مهابة الشيء، أو وجوب الشيء أو الاعتصام أو الإمساك عن السيئات، ومن هنا علينا أن نأخذ المعنى المناسب للمقام المناسب.

قال ابن بري اللغوي يصف ما أصاب عثمان بن عفان ليلة اغتياله: كلاماً

واضحاً في كلمة أحرم ومحرم، ونحن نفهم منه إنه لا صلة فيما قال بين الإحرام والمنع؛ قال ابن بري (ليس محرماً في بيت الشاعر الراعي من الإحرام، ولا تعني الدخول في الشهر الحرام وإنما تعني أَنّ عثمان بن عفان (ﷺ) كان في ذمة الإسلام، ولم يفعل شيئاً يستحق القتل عليه، قال الراعي:

قتلوا ابن عفان الخليفة محرماً ودعا فلم أَرَ مثله مخذولا

قال أبو عمرو لقد قتلوا عثمان صائماً.

وأورد لسان العرب البيت التالي في استعمال كلمة (محرماً) وهو يتعلق بمقتل كسرى، وكسرى لم يحج ولم يعتمر، فلا نظن أن الكلمة (محرماً) المتعلقة به لها أي علاقة من قريب أو بعيد بالإحرام، قال الشاعر:

قتلوا كسرى بليل محرماً وغادروه لم يمتع بكفن

والمعنى إن كسرى لم يأت بفعل يوجب قتله والانتقام منه.

إذاً نأخذ في آية الوصايا من سورة الأنعام بمعنى أوجب، وقد رأيت هذا المعنى يتكرر في لفظ (حرم) الوارد في لسان العرب كثيراً، وإذا به يقع من الآية في الموقع السليم. علينا أن نضع المعنى المناسب من المترادفات في الموضع المناسب، فكلمة حَرّم يناسبها أوجب.

قال سبحانه: ﴿ ۞ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ ﴾ **[الأنعام: ١٥١]**، ضع الآن كلمة (أوجب) بدل كلمة حرم فتجد المعنى سائغاً وهو كما يلي: أوجب ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً وأوجب عليكم الإحسان للوالدين.

وإذا أكملنا الوصايا الأخرى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ

﴿نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ **[الأنعام: ١٥١]** ووضعنا الفعل ذاته وهو (أوجب) يصبح التفسير: أوجب عليكم ألا تقتلوا أولادكم بسبب الفقر لأن الرزق بيد الله جل وعلا، فإنه هو الذي يرزقكم ويرزق أبناءكم.

**وبالمثل نكمل:** وأوجب ألا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأوجب ألا تقربوا مال اليتيم إلا بالحسنى، وأوجب الوفاء في الكيل والميزان، وأوجب عليكم قول الحق، وأوجب الوفاء بالعهد وأوجب الالتزام بشرع الله وعدم إتباع السبل الوضعية لأنها تشوش الطريق الذي أمامكم فتضلون.

إن وضع كلمة (منع) في تفسير الآيات الكريمة من سورة الأنعام من ١٥١-١٥٣ لا يجعل المعاني سائغة.

وما استعملت كلمة حرم أو حرام إلا لما تحتويه هذه الكلمة من هيمنة على المعاني المتعددة، ففيها الإيجاب وفيها المهابة وفيها التعظيم وفيها الذمة، إن في استعمالها خيراً كثيراً، فالبلد الحرام يجب تعظيمه، والمسجد الحرام يجب تكريمه، ومن تكريمه ألا نقتل أحداً أو نسفك دم أحد، ومن تكريمه الإحسان والصدقات، ومن تكريمه ذكر الله وفعل الخيرات وغير ذلك كثير.

# جُمل تثير الدهشة والفكر

هذه الجمل هي الجمل التي أَطلق عليها النحاة اسم (الجملة المعترضة) إنَّ لها قيمة كبيرة في فهم المعاني الدقيقة أو تلك المعاني المشتبهة في فهمها وسنضرب عدة أمثلة ليفكر فيها القارىء فيجد فيها أخذاً فكرياً وعطاء لغوياً ثم يشعر بالسعادة إذ يضع إصبعه على الحل وإدراك ما اشتبه من المعاني قال سبحانه: ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾، لماذا جاءت عبارة ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾، لا نستطيع فهم الآية إلا عندما ندرك معاني هذه الجملة المعترضة وسنتعرض لمعانيها في الأسطر التالية وقال سبحانه ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ **[المؤمنون: ١١٧]**، الجملة المعترضة هي: لا برهان له به، وهي جملة ذات معنى عميق جداً وحاسم جداً في الدعوة الإسلامية لا بد أبدا.

وقال سبحانه: ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ ۙ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ **[النحل: ١٠١]** الجملة المعترضة هي: والله اعلم بما ينزل، لماذا جاءت الجملة المعترضة ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ ﴾، أرجوا أن يفكر القارئ بمغزى وضعها معترضة ولم تأت كتتمة للآية؟ وهذه أمثلة تهدف كل منها إلى معنى من معاني الآية، وهو ينطبق على عصر رسول الله (ﷺ) وسائر العصور إلى يوم الدين. وبمثل ذلك ننظر لعبارة ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ في قوله تعالى: ﴿وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾.

## أ- الذين ظلموا

وقد ذكرنا من قبل شيئا من مغازي الجملة المعترضة في الآية الكريمة وهي: ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾؟ فمن يكون أقد أسر النجوى، سوف تجيب عن التساؤلات بسهولة فإن قبيلة قريش هي التي أسرت النجوى وتقول إن قريشاً أخفت أغراضها الخبيثة وبالغت في الإخفاء، ولكن هل قريش كلها هي التي أسرت النجوى أم زعماؤها والظَلَمةُ فيها؟ إن الجملة المعترضة هي التي تتصدر للإجابة لأنها هي الموكل إليها دقائق المعاني.

## ب- والله اعلم بما وضعت

فلنبدأ بآية ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾ وهي تتعلق بامرأة عمران، إذ نذرت امرأة عمران ما في بطنها محرراً من كل شؤون الدنيا ووهبته لخدمة بيت الله، كانت تريده ولداً لان النساء في ذلك العصر لا يستطعن المعيشة الدائمة في المسجد، او في بيت الله، ولذلك تقول حَنة فيما كانوا يسمونها ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾ أي في خدمة بيت الله، أن امرأة عمران طلبت شيئا لعمل كريم وربما لم تكن هي أول من يتمنى أن يخدم المسجد وقصر نفسه عليه، لقد حزنت حَنة حزنا شديداً، لأن مرادها لم يحصل، فإذ وجدت هذه الطفلة البسيطة بين يديها قالت داعية لها بأن يجعلها الله فتاة طهوراً ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ ولكن الله تعالى قال أية ترفع كثيرا من شأن هذه الطفلة الصغيرة الطهور، قال ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾، جملة معترضة فيها سر الدين الأتي دين سيدنا المسيح عليه الصلاة والسلام، إن هذه الطفلة لها شان عظيم، فجاء تصوير مستقبلها بجملة معترضة لتخصها بأجمل المعاني، فخرجت الجملة عن سياق الدعاء والأمل بان يرزقها الله

جل وعلا ابنا ثم رزقت طفلة فحزنت وتألمت ودعت الله تعالى أن يحفظها من زيغ الشيطان، خرجت الجملة المعترضة عن سياق الآيات المتعلقة بالميلاد إلى تعظيم هذه الفتاة، فانظر إلى عظمة هذه الجملة المعترضة: ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وَضَعَتۡ﴾، لا يعلم أهمية هذه المولودة إلا رب العالمين.

## جـ- لا برهان له به

في الآية ﴿ وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ **[المؤمنون: ١١٧]**. يقول اللغويون النحويون إنّ الجمل بعد النكرات صفات وبعد المعارف أحوال، فأين القول الحق في فهم هذه الجملة ﴿لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ﴾ الواردة في الاية السابقة من السورة؟ بعض النحويين يسهل عليهم القول إن هذه الجملة صفة لاسم الجلالة إلهاً، فيكون للفظ الجلالة صفتان أولهما ﴿ءَاخَرَ﴾ وثانيهما ﴿لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ﴾، هذا هو الإعراب السريع، فيكون معنى الآية كما يلي (ومن يدع مع الله إلها آخر غير مبرهن عليه فإنما سيلاقى جزاء شديدا)، فيتبادر إلى الذهن أن من يدع مع الله إلها آخر مبرهنا قوله فليس عليه جزاء!.لا لكل ذلك فالجملة (لا برهانه به) لا هي جملة صفة ولا هي جملة حال، إنها جملة معترضة، وجاءت لتشيرُ إلى سر خطير في عقيدة الإسلام، وهو أَنّ الله تعالى يبين للمؤمنين أنه جَلّ وعلا لن يجعل للكافرين عليهم سبيلاً، وإنهم يفتقدون أي دليل على كفرهم، لن يجدوا برهاناً يسندهم في وجود إله آخر، فقال سبحانه: ﴿ وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ....﴾ هذه جملة الشرط، وأما جملة الجواب فهي: فإنما جزاؤه عند ربه، وما بين الشرط والجزاء جملة معترضة تحمل سراً إلهياً خالداً قوياً، فهو بشرى لكل مسلم أن الكافر فاقد للبرهنة على الكفر والجحود وتعدد الآلهة أو

ازدواجيتها، فالمعنى أنه (لا برهان لكفره)، وقد جاء هذا المعنى في عدة آيات، ونحن نعلم أن القران يسند بعضه بعضاً، ويفسر بعضه بعضاً، وانظر إلى هذه الآيات التي أكرم الله تعالى بها عباده المؤمنين ليغرس في قلوبهم الثقة.

قال سبحانه: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ﴾ **[الأنبياء: ٢٤]**، وقال سبحانه: ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ **[النمل: ٦٤]** ليس لديهم برهان بذلك، إنها أقوال تخرج من أفواههم وليس لهم بها من سلطان، إن الله جل وعلا إله واحد هو الذي في السماء إله وفي الأرض إله، ليس له شريك.

وقد تعجب من رؤية اليهود والنصارى، فقد قالوا: إنَّ الجنة لهم ولن يدخل الجنة أحد من المسلمين، فاليهود يؤكدون أن الجنة لهم، والنصارى يؤكدون أَنَّ الجنة لهم، ويؤكد كلاهما أنّ المسلمين لن يدخلوا الجنة، هذه آمال لهم، فقال سبحانه يصف حالهم هذا الذي لا يقوم على دليل أو برهان، قال ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ **[البقرة: ١١١]**، إنهم يتألون على الله بلا حجة ولا دليل، كل هذا في حياتنا هذه، أما في حياة الآخرة فإنه تعالى يدعو الرسل ويدعو عدول الأمم السابقة ليشهدوا على ضلال الأمم السابقة، ويسألهم عن براهين الكفر والضلال، فلا إجابة، قال سبحانه: ﴿وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ **[القصص: ٧٥]**، كل أفكارهم تبخرت، لم يجدوا برهانا يسعفهم في ذلك الموقف العظيم.

إذاً جاءت تلك الجملة المعترضة في سياق الادعاء بالإله الأخر لتثير في نفوس

المؤمنين نزعة الشرح والحوار لأن الحق يسندهم وأما أولئك فليس لهم سند أو دليل أو برهان، فيا لقوةِ المؤمنين!، ويا لعظمتهم، ويالفوز المسلمين.

## الجزم في الفعل والجزم في العطاء

قال سبحانه في **[سورة هود (٥٢)]**: ﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ مُجۡرِمِينَ﴾ وقال سبحانه في سورة نوح ﴿فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ١٠ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ١١ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا﴾ **[نوح: ١٠ - ١٢]**.

كلتا الآيتين تستعمل فعل الشرط ﴿ٱسۡتَغۡفِرُواْ﴾، وجاء الجواب بالحسم والتأكيد ﴿يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا﴾، كلا الفعلين مجزوم، هنا جزم من أجل جزم آخر، وهذه الآية مبشرة بأن العطاء العظيم حاصل لا محالة إنه عطاء محقق لا يستعمل المضارع المجزوم إلا للحسم في واقع الأمر، فالاستغفار نتيجته الحتمية العطاء، الغيث يأتي، والأموال تأتي، والبنون يأتون.

فالنحو في الآيتين جاء ليؤدي دوراً، إن جزمت فإنما تعني أن الشيء الذي تعمله أو ستعمله محقق ومؤكد ولا بد أن يحصل بعون الله، وإذا لم يجزم الفعل فإن الأمر سيكون عادياً، ربما يحصل وربما لا يحصل.

**- آية والمقيمين الصلاة:**

في **[سورة النساء (١٦٢)]** يقول سبحانه: ﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ مِنۡهُمۡ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَۚ وَٱلۡمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَۚ وَٱلۡمُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤۡتِيهِمۡ أَجۡرًا عَظِيمًا﴾ لماذا نصيب ﴿وَٱلۡمُقِيمِينَ﴾ برغم عطفها على الكلمتين المرفوعتين ﴿ٱلرَّٰسِخُونَ - وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ كيف نفهم ذلك؟ لقد سبق ذكر هذه الحالة، ونعيد القول أنها نصبت من أجل تعظيم الذين يقيمون الصلاة، أي سأعطي المقيمين أجراً كبيراً.

## أَخُلِقَتْ السماءُ أَولا أم الأرض؟

هذا تساؤل بين المسلمين أنفسهم، إنهم يقرءون الآيات من ٩-١٢ من سورة فصلت فيعرفون منها أن الله جل وعلا خلق الأرض أولاً، ثم يقرأ المسلم الآيات الكريمة من ٢٧-٣٠ من سورة النازعات فيعرف شيئاً غير ما عرفه في سورة فُصِّلَت، أي أنه جل وعلا خلق السماء أولاً ثم خلق الأرض، وإليكم هذه الآيات من السورتين، قال سبحانه في سورة فصلت:

﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٩) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ (١٠) ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (١١) فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ۚ﴾.

وقال جل وعلا في سورة النازعات: ﴿أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ ۚ بَنَاهَا (٢٧) رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا (٢٨) وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا (٢٩) وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا﴾.

إنَّ آيات سورة (فصلت) تشير إلى بدء خلق الأرض ثم تشير إلى أن السماء خلقت بعد ذلك، ثم توجه سبحانه إلى السماء فقضاهن سبع سموات في يومين، لقد خلقت الأرض في يومين ثم خلقت السماء في يومين، ولكن الخلق كله سوف يسخر لمعيشة الإنسان، فتوجه سبحانه إلى أقوات الناس وسكنهم وحركاتهم فخلق ما هو ضروري لحياة الإنسان على اختلاف أنواعه فأخرج الماء وخلق الحيوانات البرية والبحرية وخلق النبات، وخلق الميكروب والبكتيريا والفيروس وكل ما يتعلق بالإنسان من أسباب الحياة في بجرها وعجزها، وكان ذلك كله في يومين، فبلغ

عدد أيام الخلق ستة أيام.

**وأورد الشيخ محمد علي الصابوني** إجابة لهذا التساؤل، قال أن رجلا سال ابن عباس (ﷺ) «يا ابن عباس إنا نقرأ في النازعات ذكر خلق السماء قبل الأرض وفي سورة فصلت ذكر خلق الأرض قبل خلق السماء، فما هذا، إني أجد في القرآن أشياء تختلف عليّ»! فقال ابن عباس: خلق الله الأرض في يومين ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات في يومين، ثم دحا الأرض أي بسطها فاخرج منها الماء والمرعى وخلق فيها الجبال والأشجار ؟؟؟؟ وما بينهما في يومين آخريْن، ويحك لا يختلف عليك القرآن فإن كلاً من عند الله.

# قالوا سلاماً قال سلامُ !

الكلمتان سلاما المنصوبة بتنوين الفتح، وسلام المرفوعة بتنوين الضم وردتا في الاية التاسعة والستين من سورة هود، إذ قال عز من قائل(ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى، قالوا سلاماً، قال سلامٌ، فما لبث إن جاء بعجلٍ حنيذ)،

كلمة (سلام) التي قالتها الملائكة جاءت منصوبة، فما السب في نصبها وماذا يترتب على هذا النصب من معاني، وأما كلمة (سلام) التي جاءت في رد سيدنا إبراهيم على الملائكة فجاءت مرفوعة، فما السبب وماذا يترتب على هذا الرفع من معاني؟ إن مجالسنا تساءلت عن هذا الفرق، وأظن أن مجالس أخرى تساءلت، كما يتساءل قارئو كتاب الله في محاولة لفهمه.

نصبت كلمة (سلاماً) لأن الملائكة تريد هنا التركيز على مهمتها وهي مهمة أمان وسلام منهم على إبراهيم، فيقول النحاة في إعرابها (إنها مصدر مطلق ويفيد التوكيد)، لقد تأكد لدى سيدنا إبراهيم أنهم من خلق الله المسالمين، ولكن سيدنا إبراهيم (عليه السلام) يرد التحية بما هو لازم عنده، فهو يرد بجملة اسمية تتكون من مبتدأ وخبر، لأن هذه الجملة تفيد الدوام وتنم عن طبيعة صاحبها، فإبراهيم يرد التحية بما هو ضروري عنده وملازم لطبيعته النبوية، والجمل الاسمية تدل على الطبيعة الدائمة لدى إبراهيم (عليه السلام) أو لدى أي إنسانٍ أخر.

# الحوادث التاريخية المشتبهة وحلولها الحضارية

الموضوعات:

١ - هل تناسى الصحابة كتاب الله وأحكامه؟

٢ - مقتل عثمان بن عفان (رضي الله عنه).

٣ - استعمال السلاح بين المسلمين.

٤ - البلبلة الفكرية يوم الجمل.

٥ - يوم صفين. وبلوغ التحكيم.

٦ - ماذا يقول القرآن في نهاية دولة إسرائيل.

٧ - الخاتمة.

## هل تناسى الصحابة أحكام القرآن؟

يحاكم بعض المؤرخين في عصرنا الصحابة (ﷺ) بمنتهى القسوة، كما تحاكم بعض كتب التاريخ المعاصر صحابة رسول الله (ﷺ) بمثل ذلك، تكاد تحكم عليهم بالضد في كل تصرفاتهم بدل أن تقدر صلتهم العظيمة برسول الله (ﷺ) فتظن فيهم خيراً، لم يكن للمؤرخين ولا لكتب التاريخ المعاصر مصادر كافية أو أخبار محققة تجعلهم أو تجعلها تلقي بظلالها الثقيلة على محاكمة الصحابة الكرام بل على التابعين أيضاً.

إن بعض كتب التاريخ تحكم كأنها شاهد حق على الوقائع والحقائق، إن المصادر المتوافرة التي تناولت كتلة الصحابة أو كتل التابعين، أو تناولت تلك الحقب القريبة من العهد الإسلامي الأول أو من عهد دولة الأمويين الإسلامية أو دولة العباسين الإسلامية أو ما جاء بعدها كالدولة الفاطمية الإسلامية، إن تلك المصادر تورد أخباراً في الحادثة الواحدة متفاوتةً جداً ومتباعدة جداً، فلا يجوز أن يتغلب تيار الثقافة الغربية على أحكامنا، فنحكم عليهم، فهذا التيار نتج عن حرب صليبية كانت ضد الأمة كلها ولم يرض عنها المسلمون ولا أخوتنا من أهل الكتاب وقاسى الجميع من أثارها في الحقد والقتل وإذلال المسلمين وغير المسلمين، حتى أنقذ الله تعالى الأمة كلها برجال صالحين عظام من آل زنكي وقائدهم الأعز صلاح الدين.

قال بعضهم إنّ آل بيت الرسول (ﷺ) لم يوافقوا على خلافة أبي بكر (ﷺ) وقال آخرون: إن فتوحات عمر بن الخطاب كانت بسبب القحط في الجزيرة العربية، فخرجوا يقاتلون ليملؤوا بطونهم، ونجد منهم من يقول إن عثمان بن عفان خليفة ضعيف وسيطر عليه أهل بيته، ولذلك نحّاه المسلمون عن مقاليد الأمور، وقالوا في عليّ بن أبي طالب إنه لم يحسن قيادة الأمة فكثرت في أيامه الفتن وتوقفت

الفتوح، إني استغفر الله من هذا الذي أكتبه، وا حسرتا على المؤرخين المسلمين الذين سمحوا لغيرهم أن يمسخوا تاريخهم.

أما الصحابة فلن يستطيع أن يكافئهم على التمسك بالإسلام ونشره إلا الله عز وجل لقد قرأتُ مُفَصَّلا عن بعضهم فإذا هم أقمار في تاريخهم، وإن جرى على أفعالهم أو أقوالهم خطأ أيُ شيءٍ من الخطأ، فإنه بسبب التأويل أو التفسير، ولم يكن هناك شيء غير التأويل والتفسير.

لم ينس الصحابة كتاب الله مطلقاً، ولم يتجاوزوه في حكم أو في تصرف، وكانت أي أية تتلى عليهم كافية أن تردعهم إلى الحق، وكتاب البخاري في التاريخ وهو كتاب حق طافح بالأخبار الحقة عنهم، كان انضباطهم أدق من انضباط عقارب الساعة وان أصعب الساعات التي مروا عليها في مواقف شديدة على المسلمين كيوم مقتل عمر، إذ رفض الصحابة ما قام به ابنه من قتل شخص واحد انتقاماً لأمير المؤمنين، وكيوم مقتل عثمان بن عفان إذ لم يسمح الصحابة لأنفسهم بالقتل والانتقام، وكيوم الجمل وما فيه من عظمة الحوار بين علي (رضي الله عنه) وعائشة (رضي الله عنها) ومن معها، وكيف كان حواراً سليماً إسلامياً رائعاً، إنهم صحابة رسول، وقد قال جل وعلا فيهم ما يغني عن هراء الفاتنين والمفتنين.

### مقتل عثمان بن عفان (رضي الله عنه)

كان ذلك اليوم عصيباً على المسلمين، ولكن المسلمين سيطرت عليهم قضية واحدة، إنها الحفاظ على الدولة الناشئة التي امتدت ظلال الإسلام فيها إلى أراض لم يحلموا بها، وكان إجماع الصحابة على انتخاب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب قمة في حسن التصرف لقد عرف عليّ كيف يتصرف في مجابهة الردة الثانية، وكيف يحفظ وحدة المسلمين، إن شيخنا الباقلاني قال قولاً محكماً في وصف هذه الفترة العصيبة قال الباقلاني في كتابه (التمهيد من صفحة ٣٢٠ -٣٣٦) كلاما موفقاً جداً،

ونأخذ منه ما يلي كفكرة عامة تهدي سواء السبيل: «إن الخادعين الذين قتلوا عثمان وسيطروا على عدد كبير من الناس كانوا هم أصحاب اليد الطويلة في المدينة المنورة، وقد أوجدوا فيها فوضى فكرية شديدة بالأكاذيب والبلبلة، ولم يكن بإمكان أمير المؤمنين السيطرة على الأمور بسرعة، وقد تعجّل القتلةُ ومن وقع تحت مكائدهم بالخروج إلى مدينة البصرة ليكونوا قريبين من القبائل هناك، إن تلك القبائل ما زال تأثير القبلية والعنجهية متحكماً فيها، ولم يتمكن الإسلام حتى ذلك الوقت من إزالتها وقد نجح أولئك القتلة ومن أعانهم في ذلك».

وكان أمير المؤمنين ما زال منهمكاً في لأم الجروح التي خَلّفها القتل، وأهمها وحدة الصحابة، وعدم إعطاء الأراجيف التي ينشرها القتلة ومن خُدعوا بأقوالهم نصيباً من النجاح. وقد أحس القتلة الذين يكرهون الإسلام والمسلمين بذلك وبدأوا يعيثون فساداً بين القبائل بالرشوة ونشر الأكاذيب وإثارة الضغائن، فتوجه إليهم أمير المؤمنين ليجابههم ، إنهم جاءوا من أقطار من خارج جزيرة العرب في أكثرهم، إن قلة منهم جاءت من اليمن، كانوا يدعون الإسلام ويريدون هدمه.

هذا الأمر جعل علياً يحمل السلاح عندهم، ولكنه يطمع أن يعودوا إلى حظيرة الإسلام قبل قتالهم، ولذلك لم يعاجلهم بالسيف والاشتباك، لقد تمهل كثيراً ليعطي الفرصة للحاقدين لعلهم يتنازلون عن موقفهم، وليعطي الفرصة للقبائل لتدرك أن علياً بن أبي طالب ابن عم رسول الله وأول صحابي وزوج ابنة رسول الله واقرب المقربين من آل البيت إلى الرسول (ﷺ) ما كان ليقاتل عن باطل، وقد نفع التمهل في جذب كثيرين إليه: وشعر علي أنه لا حاجة لمجابهة المسلمين بعضهم لبعض، وشعر الآخرون بأن موقفهم ضيق.

هذا أول موقف بين المسلمين يقف فيه خصم ضد خصم، أو طائفة ضد طائفة، ونعني بالطائفة هنا المجموعة، وليس المذهب المعين كالمذهب المعتزلي او

الخارجي أو العلوي او الإسماعيلية أو البهائيـة أو الدرزيـة، لم يكـن هـذا في تلـك الفترة قائماً، بل جمهور كبير ضد جمهور كبير، وهنا يأتي السؤال هل يجوز أن يشـهر المسلمون السيوف في وجه بعضهم بعض، هل يجوز أن يلتقي المسـلمان بسـيفيهما؟ هل تناسى الصحابة أوامر رسول الله (ﷺ)؟ هل نسوا أمر الله جل جلاله، ألم يـأتِ في سورة الحجرات قوله سبحانه: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا﴾ **[الحُجُرات: ٩]** فالصلح هو الفاصل وليس القتال وإليك الملاحظات التالية عـن حمل السلاح، عن مجابهة المسلمين بعضهم لـبعض وعـن تلـك الأيـام الثقيلـة الـتي وقعت بين المسلمين والتمعن في أسبابها ونتائجها وأسلوب حلها.

## استعمال السلاح بين المسلمين

إن الأحاديث الشريفة حرمت استعمال السلاح بين المسلمين إنه ضد أعداء الله فحسب والذي أمرنا بذلك هو رسول الله (ﷺ) أراد أن تكون الأمة الإسلامية امة واحدة، لا تنازع فيها ولا خصومات، وإنَّ الأحاديث الشريفة التالية بينت بيانا واضحا وحدة الأمة وتلاحمها وترابطها كأنها جسد واحد.

**قال النبي (ﷺ):**

١- «لا يشد أحدكم على أخيه بالسلاح، فإنه لا يدري لعل الشيطان ينزع في يده، فيقع في حفرة من النار». مختصر صحيح البخاري/ تأليف الزبيدي صفحة ٥٠٢، تحقيق محمد بركة.

وشرح الحديث سهل ويسير، يحذر الرسول من توجيه السلاح لبعضنا بعض ولو على سبيل التفكه والتسلية والضحك، لأنه إنْ رمى سهمه أو قذف طلقته وأصابت فهو في حفرة من النار، فكيف الحال إذا جاء بنية القتل؟

**قال النبي (ﷺ):**

٢- «من رأى من أَميره شيئاً فليصبر عليه، فانه من فارق الجماعة شبراً فمات مات ميتة جاهلية» ص ٥٠٢ ـ المصدر السابق.

الأمير هنا هو من ينفذ الشريعة الإسلامية ربما يخطئ الأمير في أشياء في أثناء حُكمهِ وأدائه فماذا نفعل؟

الأصل الصبر عليه لأن خروجك عليه هو خروج عن الشريعة، فالصبر أَوْلى، ربما يقول بعضنا هل نتحمل القسوة؟ هل نتحمل الظلم؟ أقول نعم وليس نعم مطلقة بل إلى حين حتى لا نفتت الأمة، ولكننا نعلم أن رسول الله (ﷺ) يقول: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»، إذاً نوازن بين الأمور ولا تتعجل التمرد والعداء.

**قال النبي (ﷺ):**

٣- «إذا تواجه المسلمان بسيفَيْهما فالقاتل والمقتول في النار»، وقد كان في سياق هذا الحديث الحادثة التالية: قال الأحنف بن قيس: خرجت وأنا أريد هذا الرجل (يعني به معاوية بن أبي سفيان) فلقيني أبو بكرة فقال: أين تريد يا أحنف؟ قلت أريد نصر ابن عم رسول الله (ﷺ) (يعني علياً بن أبي طالب) فقال أبو بكرة لي: يا أحنف ارجع فإني سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: «إذا تواجه المسلمان بِسَيْفَيهما، فالقاتل والمقتول في النار» فقال الأحنف: او قيل يا رسول الله: هذا القاتل ما بال المقتول؟ قال انه أراد قتل صاحبه».مختصر صحيح مسلم/ لحافظ ألمنذري، تحقيق الالباني.

**٤- قال رسول الله (ﷺ) في خطبة الوداع في يوم النحر:**

«إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم حرمة كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم، لا ترجعن بعدي ضُلاّلاً يضرب بعضكم رقاب بعض، ألا ليبلغ الشاهد الغائب فلعل بعض من يبلغه يكون أوعى له من بعض من سمعه» ثم قال: «**ألا هل بلغت**»؟ مختصر صحيح مسلم جـ ٢ ص ٣٠.

دَمُ أخي محرَّم عليّ، ومالُ أخي محرم عليّ، وعرض أخي محرم علي، ما معنى دمه محرم؟ معنى ذلك لا يحل لك أن تخاصمه أو تقاتله حتى لا تجرحه وحتى لا تقتله، وما معنى ماله محرم أيضاً، أي لا يجوز لي أن أخذ من ماله شيئاً، وهذا يعني ألا تسرقه أو تغتصبه، وما معنى عرضه محرّم عليّ؟ معنى ذلك ألا انتهك عرضه ولا أزني في أي من أهله، ولا أن أتناول نساء إخواني بالقذف والاتهام.

٥- **قال عبد الله بن مسعود** (رضي الله عنه) **قال رسول الله** (ﷺ): «أول ما يقُضى بين الناس يوم القيامة في الدماء». مختصر صحيح مسلم جـ ٢ ص ٣٠.

بدأ القضاء بأهم أعمال البشر، وهذه الأعمال هي التي تولد عنها حقوق للآخرين، وأهم الحقوق الدماء، فعلى كل مسلم ألا يستهين بدم المسلمين أو غير المسلمين، فالحديث يقول (بين الناس) وهي عبارة تشمل الجميع.

## بلبلة وقلق يوم الجمل

سمي ذلك اليوم باسم الجمل لأن عائشة ركبت جملاً وخرجت من المدينة المنورة إلى مكان قرب البصرة، لقد تجمع في هذا المكان الخادعون الذين قتلوا عثمان واستعانوا بعصبية القبائل حول البصرة وبدءوا يحدثون الفساد، فخرج عليّ بن أبي طالب إلى البصرة في ربيع أول عام ٣٦، وذلك في محاولة للقضاء على الفتن وهذا واجبه الشرعي، وقد وقعت اشتباكات بين الطائفتين، وبدأ علي يحاصرهم، ويضيق عليهم، واستمرت الاشتباكات في جمادي الآخرة عام ٣٦ للهجرة، وكانت نخوة الطائفة الثانية قبلية عنجهية بحته، وقد تبنوا أفكاراً ظاهرها ديني جميل، وتأثر كثير من المسلمين بالدعايات المختلفة ولم يستطيعوا إدراك الحقائق بسب الاشتباكات.

لقد علم طلحة والزبير (رضي الله عنه) بهذه الفتنة في البصرة، وأخبرا عائشة أم المؤمنين بأن المسلمين في خصومات شديدة واقتتال، وسألوها رأيها في الإصلاح، فرفضت محتجة بقوله تعالى:﴿ **وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ** ﴾ **[الأحزاب: ٣٣]**، واحتجا عليها بقوله تعالى: ﴿ **لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ** ﴾ **[النساء: ١١٤]**. فأخذت أم المؤمنين بالآية الكريمة، وسار وفد عائشة قاصداً الإصلاح وبدء التباحث مع أمير المؤمنين، يريد هذا الوفد وقف القتال، ثم البحث عن القصاص في موضوع قتل عثمان (رضي الله عنه) وهو حكم شرعي لا بد منهُ ولاسيما أن المقتول أمير المؤمنين.

ووصل الوفد إلى مكان قريب من معسكر عليّ (رضي الله عنه) ولكن طائفة المخادعين والقتلة أرادت أن تفشل هدف عائشة ووفدها، ولذلك أطلقوا السهام على وفد عائشة حتى يظن الوفد أن علياً وجيش عليّ لا يريدون الإصلاح، وقد أشار المؤرخ

الإسلامي الكبير إلى هذه الحادثة بمرارة، قال الطبري: (بادروا بخبثهم ومكرهم إلى إطلاق السهام، إن هذا اليوم هو يوم نحس في حياة المسلمين، إنه يوم الخميس في النصف من جمادي الأخرى عام ٣٦ هـ) ـ تاريخ الطبري جـ ٥ ص ١٩٩.

لم يكن هدف أي من الطائفتين القتال، ولا حرص أي منهما على قتال صاحبه، إنهما وجنودهما يتمثلان قول النبي (ﷺ) وقد سبقت الإشارة إليه: إذا تواجه المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار، قيل هذا القاتل يا رسول الله فما بال المقتول؟ قال النبي (ﷺ): إنه كان حريصاً على قتل صاحبه، كتاب مختصر صحيح مسلم.

وجاء دور الوسيط الصحابي الجليل المقاتل الذي ذَبَّ عنه رسول الله (ﷺ) في عدة مواقع، إنه القعقاع بن عمرو التميمي، فقد عرض نفسه على وفد عائشة وعلى عليّ بن أبي طالب، وأعلن سعيه في الوساطة ليفهم كل منهما صاحبه، ونجح هذا الصحابي في مساعيه الخيرة، واطمأنت نفوس عائشة وطلحة والزبير وأدركوا أن علياً حريص على دم عثمان وعلى وحدة المسلمين، فطابت تلك الليلة، قال ابن كثير: (وباتوا بخير ليلة لم يروا مثلها من قبل ولكن أهل الشرك والأهواء بأتوا بشر ليلة في حياتهم، إذ كلما تقارب الصحابة وأصبحوا كتلة واحدة اشتدت الوطأة على أصحاب الكيد والفساد والضغائن الذين ما فتنوا يحاولون إنشاب الحرب، ولكن الأمر استتب لعليّ وجيشه الكريم، واستتب الأمر كذلك لطلحة والزبير وأم المؤمنين (عائشة) من بعد ما عرفوا من الحق، لقد علموا أن علياً لن يضيع دم عثمان، ولكن لكل حادث حديث فتجهزت عائشة للعودة وجاء عليّ ليودعها، فدخلت الهودج وقالت يا بني لا يعتب بعضكم بعضاً، والله ما كان بيني وبين على إلا ما يكون بين المرأة وإحمّائها. وإنه لَمِن الأخيار) البداية والنهاية لابن كثير جـ٧ ص ٢٣٩.

# إذ تواجه المسلمان بسيفيهما

ما علاقة ذلك الحدث بالحديث: إذ تواجه المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار؟

الجواب لم يكن ليخطر ببال أُم المؤمنين عائشة أن تقاتل علياً ولا أن تقاتل من معه من أمثال عمار بن ياسر وأخيها محمد بن أبي بكر، ولكنها تريد محاكمة قتلة عثمان بن عفان، وتريد إجراء القصاص عليهم، وكان طلحة والزبير يريدان ذلك أيضاً، وما قيل يوم الجمل عن ملاحم ومذابح إنما هو من ابتداع عقول لا تعلم كيف جَبَل الإسلام القلوب، وجعلها تخشع من نقطة دم تسيل من جسم امرئ لا يحل دمه.

النية هي الفيصل والحكم، كلهم لا يريدون سفك دم بعضهم بعض، وإن كلمة (تواجه) تدل على حُبِّ القتل وإرادته، ولم يكن هذا في يوم الجمل، ولذلك أحسن الصحابي القعقاع إذ استطاع حقن الدماء، واستطاع أَن يجمع الطائفتين وجهاً لوجه، فتبيّن أن للطرفين هدفاً واحداً، فلم ينطبق الحديث على علي ولا على عائشة «إذا تواجه المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار» إنه لم ينطبق على هذا الموقف ولم ينطبق على أي موقف في حياة الصحابة كلها، وكان ما جرى يغلب عليه التأويل وليس حب القتل، ذلك يوم الجمل وغير يوم الجمل.

لقد اشتهر عن عليّ بن أبي طالب (رضي الله عنه) قوله عن الخوارج وغير الخوارج: هم إخواننا وبغَوْا علينا، ولذلك كان يحاور الذين بغوا عليه أو يرسل من يحاورهم لأنه لا يطمع في قتل أي منهم، وأشهر المحاورات كانت محاورة القعقاع لعلي ومن معه ولعائشة أم المؤمنين ومن معها، ومحاورة عمرو بن العاص وصحبه لأبي موسى الأشعري وصحبه بحضور شهودٍ من الصحابة، لقد تحملوا المشقات في سفرهم إلى

دومة الجندل يوم التحكيم حرصاً على دماء المسلمين، وهذا جرى كما يلي:

**يوم صفين:** -

بعد يوم الجمل تفرغ عليّ لأمر الشام ولمطالبات معاوية بالقصاص من قَتَلةِ عثمان، فأرسل إلى معاوية جرير بن عبد الله البجليّ، وذلك ليشرح له ما جرى في المدينة وما جرى يوم الجمل، ولكن معاوية أبلغه أنه لا يبايع حتى يقع القصاص، أو يسلم القتلة له أو إلى أولياء دم عثمان؛ لم يحدث تفاهم فقاد علي جيشه إلى الشام حتى بلغ صفين، وجابهه معاوية في صفين، وكان الشهر شهر ذي الحجة في عام ٣٦ هـ فوقف الجيشان من دون حرب أو قتال مدة شهرين كاملين لا يقتل أحد أحداً، ولا يؤذي أحد أخاه، وكلهم يتمنى أن يأتي الحل من دون حرب، لا أقول كانوا جميعاً على مستوى واحد من العلم والفقه، ولكن نستطيع أن نجزم أنهم لم يكونوا كمسلمين ليخرجوا عن قوله تعالى ﴿مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ ولم يخرجوا عن ذلك بحق، وهذا يظهر أن نية قتل بعضهم بعضاً غير موجودة، فلم تكن هناك ملاحم.

افرض أنك تدرس لقاء جيوش ألمانيا الغازية ذات الصليب المعقوف، بجيوش بريطانيا وفرنسا وروسيا وأمريكا، وكلها تزعم أنها مسيحية وتحافظ على سيرة المسيح (عليه السلام) كيف كان لقاؤهم؟ كيف كان لقاء الأمريكيين وحلفائهم لقوات الصين وروسيا في حرب كوريا؟ هل عندهم شيء اسمه الأشهر الحرم؟ كيف كان قتال الأمريكان في فيتنام، هل هناك شيء اسمه رحمة، أين أرواح الملايين ولماذا؟ فتداول الطرفان الآراء فرادى وجماعات، واستمرت هذه اللقاءات المحدودة طول شهري ذي الحجة ومحرم وتجاوزت فئات من الطرفين هذه المداولات إلى رمي السهام أو مشاجرات ولم يؤمر الجيشان بالحرب، فتداول عقلاء من الصحابة الكرام الموقف برفع المصاحف على الأسنة بدل إطلاق السهام والقتل بالأسنة؟

**التحكيم: -**

لقد تنادى صحابة من الذين مع علي وصحابه من الذين مع معاوية للإصلاح ووقف المشاجرات وتحكيم شرع الله وقد نتج عن ذلك فكرة التحكيم والتقت ثلاثة وفود في دومة الجندل، وقد كانت الوفود كما يلي:

أ- وفد يمثل علياً بن أبي طالب (ﷺ) برئاسة أبي موسى الأشعري القاضي الزاهد المتفاني في سبيل توحيد المسلمين، وهو الذي اعتزل عندما رأى الخلاف في البصرة يوم الجمل، وقد أصر علي وأصحاب علي أن يمثلهم أبو موسى الأشعري لقد تمتع بثقة كبيرة.

ب- وفد يمثل معاوية بن أبي سفيان بقيادة عمرو بن العاص القائد الفذ الذي أكرمه تعالى بفتح جنوب سوريا ومصر.

جـ- وفد الصحابة من المدينة المنورة، وكل منهم قائد في الإصلاح.

اتفق الوفد الذي أرسله معاوية مع الوفدين الآخرين على عدة نقاط توحد المسلمين وتحفظ دماءهم وفقاً لرواية المحدث الدارقطنى وعلم معاوية والي الشام بعودة الوفد فماذا فعل؟ قال الدارقطني: «قال معاوية للحصين بن المنذر انظر إلى هذا (أي عمرو بن العاص) فقد جاءني أنه عزلني، فجئته فقال: قال الناس في ذلك ما قالوا، والله ما كان الأمر على ما قالوا، ولكني قلت لأبي موسى: ما ترى في هذا الأمر؟ قال أرى أنه في النفر الذين توفى رسول الله وهو عنهم راضٍ، قلت له: ابن تجعلني أنا ومعاوية، قال: إن يستعن بكما ففيكما معونة، وإن يستغن عنكما فطالما استغنى أمر الله عنكما».

الحل بسيط وواضح إنَّ أمير المؤمنين هو علي لأنه باختيار الصحابة الذين

توفي ورسوله الله عنهم راضٍ، ويوكل أمر معاوية وعمرو إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وقد استبقاهما واستعان بهما في تلك الظروف التي بدأ الرومان يحاولون فيها العودة إلى بلاد الشام مستغلين الخلاف، فترسخت بلاد الشام بوجود معاوية وقيادته القوية، وانشغل علي بقتال الخوارج الذين بدءوا يكفرون المسلمين ويحرقون ويدمرون لأن علياً خرج فيما يرون عن حكم الإسلام؛ ولا حول ولا قوة إلا بالله.

**موقف الصحابة:**

وإذاً حل الصحابة الذين جاءوا من المدينة المنورة على عجل أكبر المشكلات التي وقعت بالإيمان والقضاء الحق وحقنوا دماء المسلمين، ولم ينس أحد منهم كتاب الله ولا سنة رسوله؛ وكان وجودهم أمام أبي موسى الأشعري وعمرو بن العاص كافياً ليحييَ في نفوسهم حلول رسول الله (ﷺ) في المشكلات.

**يوم كربلاء:**- هذه نقاط تظهر شيئاً من الحق في بلوى كربلاء.

١- رأى الحسين بن عليّ أنَّ بني أمية على خطأ فلا بد من التقويم؛ ووجد أن أمة كبيرة من شعب العراق تؤازره وتذكر أخطاء بني أمية وتحثه على القدوم إليهم، وتعلن له أن الجنة بجانبك وسوف نموت دونك، هذا ما وصل إليه من الكوفة خاصة.

٢- كانت الكوفة عاصمة لعلي بن أبي طالب، ولا يذكره أهل الكوفة إلا بالإيمان القوي والطاعة لأهل البيت ومحبة ذوي القربى، ولما كان الحسين (رضي الله عنه) في مكة المكرمة جاءته خطابات الكوفيين تحثه على الحضور لنصرته ضد بني أمية، فأرسل إليهم مسلم بن عقيل، وربما كان هذا الإرسال إشارة خاطئة لأنه وقع تحت تأثير مراسلات الكوفة وهو لم يتحقق من أصحاب الرسائل

ولا عَرَفَ صدق إيمانهم. وقد تعجل مسلم بن عقيل في عدائه للأمويين ومقارعته لعبيد بن زياد.

٣- صمم الحسين (ﷺ) على الذهاب إلى الكوفة فنصحه عبد الله بن عباس بعدم الذهاب، ورفض عبد الله بن جعفر الذهاب معه أيضاً وقال ابن عباس: «إن كنت لا بد فاعلاً فلا تخرج أحداً من ولدك ولا حرمك ولا نسائك أن تقتل وهم ينظرون إليك كما قتل عثمان بن عفان».

ونصحه أخوه محمد بن علي بن أبي طالب (أي محمد بن الحنفية)، بأن يبقى في مكة. إن أهل البيت كانوا لا يميلون إلى سفره وينصحونه بالإصلاح في داخل مكة.

٤- فشل مسلم بن عقيل في محاولته لاحتلال قصر ابن زياد، وتفرق عنه صحبه، وقتل؛ ولم يعلم الحسين بذلك. ولكن الحسين خرج من مكة إلى العراق وقابل رجالاً أدباء مثل الفرزدق وعبد الله المطيعي فنصحوه بالعودة، ولكنه أصر.

٥- انضم الحر قائد جيش عبيد الله إلى فئة الحسين (ﷺ) وصلى بصلاته ورأى من الظلم أن يقاتل من جاء للحفاظ على سنة رسول الله (ﷺ) وقد تأثر الجميع بالحرّ ولكن فتنة ابن ذي الجوشن كانت كبيرة لأنه تشدد مع عبيد الله بن زياد وهو يقول إن لم تقاتله فسوف يؤلب عليك جماهير العراق كلها. وحدث صدام غير متكافىء فقتل الحسين (ﷺ) وكان الأوْلى أن يستجيب عبيد الله لمطالب الحسين، وإن لا يقتله، لقد أخطأ عبيد الله وجنده وملؤه؛ ولكن الله يبتلي عباده، فيجب أن يتخذوا من ذلك عبراً ويعودوا لأمر الله ورسوله؛ يجب أن نذكر الآن أن المجتمع الإسلامي مجتمع بشري وليس مجتمعاً من الملائكة، ويجب أن نذكر أن الله تعالى قال في كتابه ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ

﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ﴾ **[هود: ١١٩]**، فالطبيعة الإنسانية جُبلت على الخلاف في الرأي والمنفعة والطريقة والأسلوب، لان الله تعالى خلق الناس أمماً ولو شاء لجعلهم أمة واحدة، وقال سبحانه في الاختلاف آيات عديدة منها قوله جل وعلا: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۚ﴾ **[آل عمران: ١٠٥]**، وقال سبحانه: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ۚ﴾ **[الشورى: ١٠]**، وهكذا...

فالصحابة الذين كانوا صغارا في عهد رسول الله (ﷺ) أبدوا الآراء. الصحيحة في عدم السفر، ولم يسر معه جيش منهم، لم يـر الصحابة الموقف سليماً ولكن لم تسمع نصائحهم؛ لقد وقع في كربلاء بلوى، وأصابت المصيبة المسلمين جميعاً، ولكن لا حيلة أمام قدر الله، قال سبحانه: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ۚ﴾ **[التغابن: ١١]**.

وقال سبحانه: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾﴾ **[آل عمران: ١٦٦]**.

لقد أفضى الجميع إلى أعمالهم عند الله، وحسابهم جميعاً على الله، وتلك أمة من المسلمين قد خلت ولا نسأل نحن عن أعمالهم وعلينا بوحدة المسلمين في عصرنا، فإنه سبحانه يقول لنا: ومن ضل فإنما يضل عليها ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۗ﴾ **[فاطر: ١٨]** وأنهي هذا المشهد بما قاله ابن عباس للخوارج وهو يجادلهم للانضمام إلى جسم

الأمة الإسلامية، قال: قال تعـالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٣٤].

لله در أولئك الثابتين على كلمة الله ورسوله من آثارهم أمـم تحمـل الإسـلام حتى هذا القَرْن وتقاتل في سبيله، ولله الفضـل والمِنّـة، لقـد رأوا مـن أخلاقهـم مـا جعلهم يؤمنون بالله ويتقون ويذكرون أولئك السلف الذين حملوا إلـيهم الإسـلام، لقد رأت تلك الشعوب التي لم يصلها سيف أو رمـح أن الإسـلام غـذاء القلـوب، فلله در من حملوا الإسلام إلى شرق الصين وجنوب شرق أسيا واندونيسيا وساحل العاج ونيجيريا و...و...، لله درهم وعسى أن نذكر أننـا أمـة واحـدة فنعمـل كمـا عملوا، إن المذهبية والطائفية والنِحَليّة وأمثالها لم تنفع الفرد ولم تنفع الجماعة.

# القرآن حسم نهاية إسرائيل

وقد أصاب الجدل بيننا هذا الموضوع وهو «هل ستزول دولة إسرائيل ومتى؟ يجيب بعضنا أنها أسست لتبقى، وربما يجيب آخرون أنها جسم غريب ولن يبقى، وأما زمن البقاء أو زمن الزوال أقريب أم بعيد فإن النظرات فيه مختلفة، وهل هي باقية بفضل قوتها أم بفضل قوة أمريكا وهي أعظم قوة تمارس السلطة في أراضيها الواسعة وأراضي غيرها، وتختلف الآراء في ذلك أيضاً، ونجد أكثرنا ينهي النقاش والضباب محيط بالآراء.

إننا في مجال الإسلام لنا موقفٌ، له صفاته وخصائصه، إننا نقطع في أي أمر من أمور المستقبل بأنه صحيح وسوف يقع مئة بالمئة إذا حدثنا القرآن عنه، أو وجدنا من الأحاديث الصحيحة ما يشير إليه، نسمي ذلك معجزة، وذلك لأن الله تعالى إذا أخبر فلا بد أن ننتظر حدوث الخبر، وإذا حدثنا رسوله انتظرنا وبكل ثقة حدوث ذلك الشيء لأن الرسول (ﷺ) لا يقول شيئاً من لدنه بل يقول ما أُمر به أن يقول؛ هكذا نتعامل مع أخبار المستقبل، ولم يتخلف أي خبر عن الوقوع كما أشار إليه القرآن أو أشارت إليه الأحاديث، ولنا في مستقبل بني إسرائيل ودولتهم خبر في سورة الإسراء، والخبر يحسم طريق نهايتهم حسماً قاطعاً، وسوف اذكر بعض الأمثلة من القرآن عن المستقبل وبعضها الأخر في الأحاديث، وكلها تشير إلى أن أخبار الغيب في القرآن أو الحديث لم تتخلف ولن تتخلف.

**الأمثلة:** -

١- نزل في سورة الروم أن الفرس غلبوا الروم حوالي ٦١٤م أي بعد بدء الدعوة بأربع سنين، ففرح المشركون بهذا النصر، لأنهم عدوه نصراً لمن يعبد النار على من يعبد إله محمد، فتضايق المسلمون، وشكوْا ذلك إلى رسول الله،

فنزلت أية تخبرهم أن الروم سينتصرون على الفرس في بضع سنين أي ما بين ٣-١٠ سنوات، وهي برهة قصيرة في عمر الدول، وقد تحقق هذا بصورة مذهلة، كان انتصار الروم قاصماً لظهر الفُرس في بلاد الشام في عام ٦٢١م، وقد فرح المسلمون وأعلنوا عن فرحهم بشيء من الزهو والثقة.

٢- كان الخبر عن **يوم بدر** قوياً جداً، وقد يَسّر سبحانه للمؤمنين ظروفاً ممتازةً للنصر، قال كتاب الله والمسلمون في مكة في أشد حالات ضعفهم ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾ **[القمر: ٤٥]**، ولكن المسلمين ينظرون في حالهم فيرون المشركين يسيطرون عليهم ويعذبونهم، وهاجر المسلمون إلى المدينة، ونزل وعد الله أن اخرجوا للقاء عدوكم من أهل مكة ومن والاهم في السنة الثانية من الهجرة، وذلك للسيطرة على القافلة التجارية، فردوا بعض أموالكم التي نهبت، وخرج المسلمون على عجل وقد رغبوا أن يسيطروا على القافلة أكثر من رغبتهم في مجابهة قريش، ولكن قريشاً علمت بحركة المسلمين التي قصدت إلى السيطرة على القافلة التجارية والغذائية والاستيلاء عليها، وعلم المسلمون بذلك فضعفت نفوس بعضهم وجادلوا رسول الله إذ قالوا: ما خرجنا إلا للعير، ولم نستعد الاستعداد الكافي للحرب، قال سبحانه ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴾ **[الأنفال: ٦]** فانزل الله تعالى ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ ﴾ **[الأنفال: ٧]** لقد جاء وعد الله إن القافلة أن أدركتموها فهي لكم، وان الحرب وقعت فالنصر لكم، وقد أمر سبحانه أن يكون اللقاء لقاء معركة، وسهل على المشركين أن يروا قلة المؤمنين كأنهم لهوة طعام، وسهل للمؤمنين الطمأنينة وجعلهم يرون المشركين وكأنهم قلة ولهوة طعام، ونزلت الملائكة تبشرهم

بالنصر وتطمئنهم، وهناك عرف المسلمون ما معنى ﴿ سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾.

٣- بشرى للرسول (ﷺ) **بزيارة المسجد الحرام،** كان المشركون يمنعون الرسول (ﷺ) من دخول بلده ومن زيارة المسجد الحرام، فجاءت البشرى في القران الكريم في سورة الفتح ﴿لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ **[الفتح:٢٧]**. ويسّر سبحانه الظروف وسمح أهل مكة لرسول الله وللمؤمنين بالمجيء إلى مكة وزيارة المسجد الحرام وذلك بعد صلح الحديبية، ولو منع الرسول من الدخول أو مات قبل الدخول لأصاب المسلمين البلاء من التكذيب والتشفّي وترك الإسلام. ولكن الدخول تحقق بأمره تعالى.

**ملاحظة:** لو أن واحدة لم تصح لأصبح الإسلام في خبر كان إنهم يفقدون عند ذلك المصداقية، وهناك أحاديث شريفة كثيرة عن عدد من الصحابة، سيحصل كذا وكذا، وقد رأى المسلمون رأي العين أنها جاءت وفاقاً لقوله (ﷺ). إن أخبارها موجودة في كتب الأحاديث الصحيحة.

**إن سورة الإسراء:** ذكرت مصير دولة إسرائيل ذكراً واضحاً مفصلاً قال جل وعلا ﴿وَقَضَيۡنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَتُفۡسِدُنَّ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَّتَيۡنِ وَلَتَعۡلُنَّ عُلُوّٗا كَبِيرٗا﴾ **[الإسراء: ٤]** إذاً فساد كبير وعلو كبير، والعدد مرتان واضحتان، والذي يدل على الوضوح انك تجد فِعْلَيْن هما ﴿لَتُفۡسِدُنَّ وَلَتَعۡلُنَّ﴾ وهما مؤكدان باللام ونون التوكيد فكلمة تفسد كافية، ولكنه سبحانه أراد تقريعهم على أنهم أهل الكتاب ثُم يَخْرُج منهم فساد كبيرّ! ويتجبرون على البشر بعلو كبير!ّ هل يصح لأهل الكتاب أن يعلوا هذا العلو ويفسدوا هذا الفسادّ! إن أهل الكتاب يجب أن

يكونوا متواضعين، ويخدموا غيرهم ويساعدوا المحتاجين في أي مكان كان؛ إن هذه الآيات نزلت في التوراة على بني إسرائيل، وسيدنا موسى يحثهم على الطاعة والعبادة، ويبشرهم بأنهم أعظم الأمم إذا تمسكوا بالتوراة نصاً ومعنىً- كانوا تائهين وهم في ضنك ولكن التوراة تعدهم بأمة كبيرة قوية تعلو كثيراً وتفسد كثيراً، هذه هي النقطة الأولى، يقول سبحانه ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴾ **[الإسراء: ٥]** أولاهما أي الهزيمة الأولى إذ هناك دولة كبيرة قامت وعلت وأفسدت في الأرض المقدسة، وسوف يُقضى عليها، جاءهم عباد الله وكانوا أولي قوة وباس، فهزموهم على عجل وتجولوا في الأرض المقدسة كما يتجول الإنسان في حديقته إنّ تركيب الجمل القرآنية يدل على السهولة والسرعة، انظر للآية: ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ ... فَجَاسُواْ﴾، لا تستعمل الفاء كحرف عطف في مثل هذه المواقف إلا وتؤدي إلى السرعة والمباشرة، وتذكر كتب التاريخ دولتهم التي أُسست على الإيمان والتقوى ثم انحرفوا عن أمر الله في التوراة والزبور فأزيلت دولتهم وكانت القدس أو كما يسمونها أورشليم عاصمة لهم.

وقد ظن الشيخ محمد متولي الشعراوي داعية العصر في زماني أي في السبعينات والثمانينات والتسعينات من القرن العشرين الميلادي ظن أن الذي أزال دولة بني إسرائيل عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وظن مثله الدكتور إدريس الكتاني، الأول ألقى محاضرته في الكويت في جمعية الإصلاح، والثاني ألقاها في الأردن في عمّان ثم ألقاها في المغرب، وكان للظن سبب وهو كلمة

﴿عِبَادًا لَّنَآ﴾ فظنا أنها للمؤمنين فقط ولكن الخلق كلهم عباد الله، فتوجيه كلمة (عباد) للعباد المؤمنين فقط غير صحيح وقد وردت هذه الكلمة في القرآن

الكريم حوالي مئة مرة وهي تشير إلى إن المؤمنين والفاسقين والجاحدين والكفار كلهم عباد الله، ثم إن عمر لم يتسلم مفاتيح القدس من اليهود بل من النصارى لم يكن لليهود في عصر عمر دولة لا مفسدة ولا عالية، وكان الروم هم المسيطرين على بلاد الشام كلها ومنها الأرض المقدسة؛ فسبحان الله وجَلّ من لا ينسى ولا يسهو، ليس للآية علاقة بعمر (رضي الله عنه).

وأما المرة الثانية فتصفها الآية بقوله تعالى﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ ﴾ **[الإسراء: ٦ - ٧]** بدأت عودة بني إسرائيل إلى الأرض المقدسة، وجاءهم النصر بفضل الله، والكرة هي النصر، وكلمة عليهم تبين إن عرب العراق في عهد البابليين والكلدانيين هم الذين هزموا بني اسرائيل، وتبين أيضاً أن بني إسرائيل في منتصف القرن العشرين هزموا العرب الذين قاتلوهم في الأرض المقدسة، وقد أظهر جل وعلا ما يسره من سبل النصر السهل اليسير على العرب، فقد جعل قلوب كثير من الناس تميل إلى بني إسرائيل، ويسر سبحانه المدد تلو المدد من الأموال من سائر العالم لتقوى الدولة كما أمدهم بالمقاتلين من كل الجهات، وسهل لهم من يسلحهم ويقويهم ليصبحوا عالين جداً وهم كما نرى متفوقون في النفير الحربي على العرب جيرانهم، ثم بَيّن لهم سبحانه وتعالى أنّ هذا كله امتحان لهم كأهل كتاب، فهل سيحسنون إلى من جاورهم، وهل يحسنون في التعامل بين بعضهم بعض، هل سيعودون إلى حكم التوراة، أو إلى حكم القرآن؟ إن لهم أعمالاً في داخل الأرض المقدسة جيدة في عملهم الاقتصادي أو في عدم قتل بعضهم بعضاً أو في الأخذ بأسباب التمدن كالصناعة والبناء وإعطاء الحرية لمن يريد أن يتكلم، ولكن الأمر لم يستولهم جيداً فإن شعبهم انقسم إلى طبقات متباعدة جداً، ومعايش مختلفة جداً ولقد أهانوا العرب حولهم، إني شهدتُ احتلالهم لقريتي الصغيرة كانت

قرية زراعية بسيطة ليس لها سلاح أو تـدريب وتعـيش ضـمن حـدودها الجغرافيـة المعروفة ثم انهالت عليها قوة الدبابات والمدفعية والأسلحة الحديثة وغلبوهـا بهـذا التفوق الهائل، ونهبوا أرضها وبيوتها وطردوا أهلها شر طـردة، فكانـت قريـة كفـر سابا كما هي الأرض المقدسة كلها تحت حكم بريطانيا، ، ولم يكـن بهـا سـلاح ولم يسمح الإنكليز بأي شيء اسمه سلاح، وسلحوا بني إسرائيل سلاحاً تامـاً شـاملاً، وغذوهم بالخبرة والدعاية وكل ما يلزم للسيطرة فابتلعوا آلاف القرى الضعيفة التي ليس لها ما يعينها على شراء سلاح أو التدريب على السلاح، وابتلعوا الأرض أمـا بالقوة أو لأسباب أمنية أو لبناء شوارع لمستوطناتهم. هكـذا فعلـوا أيضـاً في المـدن الكـبيرة أو الصـغيرة أي في يافـا وحيفـا وعكـا واللـد والرملـة والقـرى الصـغيرة والكبيرة، وكانت الجيوش العربية تحت نظـر بريطانيـا وتفـتش كـل مـن يـدخل إلى الأرض المباركة عَوْنُ بريطانيا كان هـائلاً وكـذلك فرنسـا وأمريكـا وروسـيا وغـير هؤلاء جميعاً؛ استضعفوا العرب وهزموهم وأهانوهم، لقد ضيقوا الخناق علـى مـن بقي تحت سلطتهم، إن معيشتهم بائسة، تنقلاتهم بين مـدنهم وقـراهم كانـت تحـت المراقبة، ويهددون بالطرد في أوقات كثيرة، والتعليم لديهم محدود جداً فهـم درجـة ثانية أو ثالثة أو عاشرة واعتقالهم للأهالي في المناطق التي احتلت عـام ٦٧ مسـتمرة يوميـاً، والآن يوجـد أكثـر مـن عشـرة آلاف يقضـون مـدداً في السـجن ووضـعت إسرائيل لنفسها مرتبة خاصـة أن تتفـوّق علـى جميـع العـرب والمسـلمين في أنـواع الأسـلحة إن الآيـة ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ تحتـاج إلى وقفة خاصة لنرى مدى تطبيقها عنـد هـذه الدولـة مـاذا نقـول عـن حـال ملايـين الفلسطينيين اللاجئين في بلاد العالم الذين يمنعون من العودة لوطنهم ولكن اليهـود يأتون ليسكنوا في ارض ليست لهم ويحلوا محل المطرودين من ديارهم، أظن أن بـني إسرائيل لم يحسنوا تعاملـهم مـع أنفسـهم في التفريـق بـين طـوائفهم وطبقـاتهم ولم

يتعاملوا بالحسنى مع كتاب الله التوراة ولا مع كتاب الله القرآن الكريم، ولم يحسنوا التعامل مع جيرانهم الذين يحكمونهم الآن، ولاسيما أهل فلسطين، إني لا أستطيع زيارة الأرض المحتلة فقد خُلعت خلعاً من الأرض المباركة فكيف ستكون النتيجة؟

النتيجة ذكرها كتاب الله جل وعلا، قال تعالى يصف هزيمة بني إسرائيل الثانية لتزول هذه الدولة من جذورها، قال سبحانه: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ لِيَسُـٔـُوا۟ وُجُوهَكُمۡ وَلِيَدۡخُلُوا۟ ٱلۡمَسۡجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوۡا۟ تَتۡبِيرًا ﴾ **[الإسراء:٧]**، فالمرة الثانية فيها عنف وشدة ودخول المسجد الأقصى عنوة، وفيها هدم أبنية وعمارات، لقد مكر اليهود بالناس مكراً سيئاً، ولا يحيق المكر السَّيىءُ ألا بأهله.

هذا في كتاب الله وأما الحديث الشريف فقد كان الأمر محسوماً بعد مجيء النبي (ﷺ) بأننا سنقاتل اليهود، قال رسول الله (ﷺ) «لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبىء اليهودي وراء الحجر والشجر فيقول الحجر أو الشجر يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي فتعال فاقتلْهُ إلا الغردق فإنه من شجر اليهود». مختصر صحيح مسلم للألباني.

إن أحاديث الرسول (ﷺ) عن المستقبل كثيرة، ولو أنَّ حديثاً واحداً قاله وجاء الواقع يخالفه ولو بعض المخالفة فان ديننا يصبح في خطر، فما كان لنبي أن يتحدث عن المستقبل إلا بأمر الله، والله جل وعلا محيط بكل شيء، وهذا حديث عام عن الفتوحات يرويه جابر بن سمرة عن نافع بن عتبة (رضي الله عنه) قال: كنا مع رسول الله في غزوة قال النبيّ (ﷺ)، (تغزون جزيرة العرب فيفتحها اللهُ عز وجل ثم فارس فيفتحها الله عز وجل، ثم تغزون الروم فيفتحها الله ثم تغزون الدجال فيفتحه الله). مختصر صحيح مسلم/ للألباني.

## مع المسيرة العلمية للمؤلف

لقد شهدت القرية الفلسطينية كفر سابا في منطقة المثلث ولادة ابن لها في منتصف الثلاثينات ولكن العدوان الإسرائيلي حرمه في عام ١٩٤٨ من التمتع بمسقط رأسه وانتقل الفتى مع أهله إلى مدينة قلقيلية التي تبعد ٤ كيلو مترات عن كفر سابا إلى جهة الشرق، وأكمل فيها دراسته الثانوية في المدرسة السعدية التي خرجت أجيالا من المعلمين والمثقفين، ولكن العدوان الإسرائيلي امتد ليسيطر على الضفة الغربية كلها ومنها مدينة قلقيلية فقضى على زراعة المدينة وهدوئها ووداعتها، وبذلك مُنع الفتى الذي أصبح معلماً في دولة الكويت الخيّرة من العودة إلى قلقيلية كما منع من قبل من العودة إلى كفر سابا، ونِعمْ القول قول احمد شوقي وهو طريد في الأندلس: حرام على بلابله الدوح حلال للطير من كل جنس والتحق الفتى (الشاب) بجامعة بيروت العربية التي أمر بها الرئيس جمال عبد الناصر وجعلها فرعا لجامعة الإسكندرية، وقد خدم هذا الفرع أو الصرح الجامعي أمماً من طلبة العلم، واحمد الله تعالى على تخرجي منها عام ١٩٧٠ بتقدير جيد جدا مع مرتبة الشرف الثانية. واستراح الفتى (الشاب) استراحة المحارب وعينه تنظر إلى فرصة جديدة ييسرها المولى جل وعلا، وقد جاءت الفرصة من جامعة الكويت، ولقد ظهرت معوقات ولكن الأستاذ رئيس وكالة الأنباء الكويتية آنذاك ذلل الصعوبات فالشكر لأخي برجس حمود البرجس على معروف أسداه فنلت منها درجة الماجستير في النحو العربي في موضوع (أبو عمرو بن العلاء ومذهبه في النحو) في عام ١٩٧٧م شاكرا للأستاذ المشرف **أ.د. عبد العالم سالم مكرم** توجيهه وضيافته وتابعت المسير بحمد الله إلى القاهرة، وقد وجدتُ فيها صديقينْ صدوقين هما زميلي في التدريس فاروق الدسوقي (أبو عمرو) والأستاذ الدكتور عبد الحميد طلب فقد ذللا مختلف الصعوبات التي يجابهها عادة طالب العلم غريب الديار،

وشهد عام ١٩٨١م نجاح الفتى (الرجل) في درجة الدكتوراه في النحو العربي في موضوع (السيوطي وأثره في الدراسات النحوية) شاكرا الأستاذ المشرف ا.د. عبد الرحمن السيد ذا الخلق الكريم لقد أكرمني الله عز وجل وأعانني في مسيرة ما كنت اظنها ستقع في يوم من الأيام، واني احمد الله تعالى وأشكره ولقد تركز اهتمام الفتى (الرجل) بعد ذلك على النشاط الثقافي اللغوي والإسلامي فكتبت مقالات عديدة في الكويت، وقد نشرتها إذاعة الكويت وجريدة الأنباء الكويتية، وذلك بهذين العنواني،: آية ولغة، وفي مروج اللغة، وعدتُ عام ١٩٩١ بعد الإشكالات السياسية إلى ارض الحشد والرباط بإذن الله، وعملتُ عميدا لكلية الخوارزمي الجامعية المتوسطة مدة أربع سنوات، ثم عضوا في هيئة تدريس جامعة العلوم التطبيقية متفرغا مدة إحدى عشرة سنة ومددا أخرى غير متفرغ، وفي أثناء ذلك وما بعد ذلك كتبت في جريدة الدستور. مقالات عديدة بعنوان (بين القران واللغة) ثم في جريدة (الرأي) بعنوان (شيء من اللغة)، وما زال الأمر جاريا مع جريدة الرأي ما شاء الله تعالى أن يجري.

**وصدر للفتى (الشيخ) أربعة عشر كتابا بحمد الله: -**

١- مذكرة في حسن الأداء والتنقيح ـ وقد أخرجتها وكالة الأنباء الكويتية (كونا) عام ١٩٨٧م، شاكراً للأستاذ برجس حمود البرجس على تبنيه الأمر.
٢- اللغة العربية في وسائل الإعلام، نُشر باسم وكالة الأنباء الكويتية (كونا) عام ١٩٨٩م. شاكراً له أيضاً صنيعه.
٣- الارتباط بين اللغة والدين ١٩٩١م.
٤- في مجالس النبي (ﷺ).
٥- عودة للنحو العربي الأصيل.

٦- القضاء والقدر في حياتنا.

٧- المسلمون جميعا في الجنة بإذن الله تعالى.

٨- طريق النحو.

٩- حوار بين الحق والباطل ـ مع زكريا بطرس.

١٠- حياة البرزخ وأشراط الساعة.

١١- كيف رسم المصحف.

١٢- أنا مسلم وللإسلام انتمي.

١٣- فَنّ الكتابة والتعبير مساق١٠٢ومدخل إلى اللغة العربية مساحة ١٠١، وكلاهما بالاشتراك في قسم اللغة العربية بالجامعة.

١٤- لا مشتبهات في الفكر الإسلامي.

وأما ما وراء ذلك فهو غيب، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ **[النحل: ٩٧]**، وإني أحسُ بعمق بالحياة الطيبة وانتظر أجراً أكبر.

**وأخر دعواي أن الحمدُ لله رب العالمين**

# الخاتمة

تولدت هذه القضايا في مجالسنا العادية، وكان طابعها جدلياً قوياً كل يعزز رأيه، لقد بلغت تلك القضايا أكثر من ستين قضية، كانت تبدو كبيرة في أول أمرها، ولكن البحث كان كفيلاً بفهم تلك القضايا وحلها وظهور الجوانب المخفية الجميلة التي فيها. إن هذه البحوث رسخت في أذهاننا أَنّ كتاب الله لم ينزل ليكون الكتاب المعجز فحسب، إنه فكر معجز، وأحكام معجزة، وأخبار معجزة، إنه إعجاز في الشكل والمضمون، في إطاره وجوهره.

إن أي قضية تبادلنا فيها الرأي، وبدا لنا أن هناك أشكالاً فيها وجدنا أن الآيات الأخرى تسندك في فهم تلك القضية، وإن الإطار اللغوي إذا استطعت أن توظفه يعينك على فهم تلك القضية إنك في النهاية ستقول إنه حديث رسول الله (ﷺ): «تركتكم على المحجة البَيْضاء ليلها كنهارها»، حديث عظيم ووجهته حق، وإن هذه المحجة وهي الإسلام بشقيه القرآن الكريم والحديث الشريف هما حبل النجاة الآن وغداً فلا تتردد أيها الأخ الباحث أو القارىء أو الدارس من الخوض في البحث من أجل أن تفهم كل هذه الأفكار القرآنية والحديثية التي نزلت إليك من ربنا سبحانه لتعلمها وتتمثلها في قلبك وتسكن نفسك بمعرفتها، وتلاقي الله تعالى وأنت حافظ لكتابه.

وأرجو أن يتسع صدرك لتفهم هذه السكينة، قال سبحانه في سورة الفتح **[آية ٢٦]**، قال: ﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ وقال تعالى في نفس السورة ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ

ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ **[الفتح: ٤]** نزلت السكينة عليهم ثم نزلت في قلوبهم، واعلم أن الله يعز المؤمنين سواء في مجادلاتهم لشرح الإسلام، أو في قتالهم لنشر الإسلام وليس نهب القطن أو الذهب أو النفط أو غير ذلك من أموال الناس.

# الفهرس


تذكر وتقدير ............................................. ٥

المقدمة في مجالسنا الاجتماعية ........................... ٧

نقاط في معالم البحث..................................... ١٣

موضوعات ميدانية........................................ ١٣

مع العقائديين............................................ ١٣

الفطرة تلح على التساؤل .................................. ١٤

المحجة البيضاء........................................... ١٥

فكرة من غير المسلمين ................................... ١٧

تساؤلات في صميم القرآن وأمثلتها........................ ١٨

ما النبي وما الرسول ما المؤمن المسلم...................... ١٩

وما تشاؤون إلا أن يشاء الله ما معنى ذلك؟ ................ ٢١

هل دخول النار حتمي على كل إنسان....................... ٢١

ما الرأي أن كل مسلم في الجنة؟ ........................... ٢٢

حواريين ادم وموسى ..................................... ٢٢

سؤلان لابن عباس في العقيدة .............................. ٢٣

ما الحكم إذا تواجه المسلمان بسيفيهما ....................... ٢٤

**في المشتبهات المطروحة ومعالجتها........................ ٢٧**

هل يضل الله المشركين ثم يعذبهم........................... ٢٩

الإنسان شقي أو سعيد وهو في بطن أمه! .................... ٣٢

دخول المسلمين جميعا في الجنة في سورة فاطر................ ٣٥

ما هي تمنيات الأنبياء واثر الشيطان فيها..................... ٣٧

هل يخرج أهل النار من النار؟........................................٤١
ما هي الأحاديث المتناقضة...........................................٤٥
هل يعذب المسلم في جهنم...........................................٤٦
خوخة أبي بكر وباب عليّ............................................٤٨
كراء الأرض جائز أم باطل ...........................................٤٩
لا مشتبهات في الأحاديث الشريفة....................................٥٢
هل يسمح بالعبودية...................................................٥٤
لوجه تحرير العبيد.....................................................٥٦
المشيئة الإلهية تفصيلا.................................................٦٤
من أسرار القدر لا يسأل عما يفعل ..................................٧١
هل الله تعالى خلق أفعالنا ..............................................٧٤
ملاحظات في ساعة النزاع والموت .....................................٧٦
آيات في نعيم القبر أو عذاب القبر ....................................٨٢
أحاديث شريفة عن البرزخ...........................................٨٧
حفنة من أخبار السيوطي عن البرزخ .................................٨٩
لن ينجي أحدا منكم عمله...........................................٩٢
ابن عباس يزيل شكوكهم.............................................٩٦
**في المشتبهات اللغوية ومعالجتها.......................................٩٩**
ما المشتبهات اللغوية وجمال البحث فيها: المنفر المستودع الروح الروح... ...١٠١
من المؤمن ومن المسلم؟..............................................١٠٥
هل النبي هو الرسول؟ ...............................................١١٢
همت به وهمّم بها....................................................١١٧

أهل القرية الذين لا يرجعون ........................................ ١٢٠
المنعة والمنع.......................................................... ١٢٢
هل يسألنا الله تعالى عن أعمالنا ...................................... ١٢٥
كتمان الحديث عن الله................................................ ١٢٨
الناسخ والمنسوخ، هل قول الله يبدل.................................. ١٣٠
الأمثلة مِنْ .............................................................. ١٣٤
في المشتبهات النحوية................................................. ١٤١
الفعل (كان) هل هو للماضي.......................................... ١٤١
روح منه ................................................................. ١٤٢
إن الذين آمنوا والصابئون أو الصابئين.............................. ١٤٧
ما الكبرى في رأي من آيات ربه الكبرى ............................. ١٥١
هل كلمة (منهم) للجميع أو للبعض.................................. ١٥٤
فقطعناهم اثنتي عشرة أسباطا أمماً أو امة............................ ١٦٠
فاصدق وأكن أو (وأكون)............................................. ١٦٢
ثم قال له كن فيكون (أو فكان) ...................................... ١٦٤
سلام على الياسين (أو الياس)........................................ ١٦٦
واسروا النجوى الذين ظلموا (فاعلان لفعل واحد)................... ١٦٨
تلك عشره كاملة (أو عَشْرُ)........................................... ١٧٠
لماذا نسقيكم مما في بطونه مرة وفي بطونها أخرى .................. ١٧٢
طائفتان اقتتلوا (وليس اقتلتا)......................................... ١٧٤
حرّم ربكم إلا تشركوا (أو أن تشركوا) .............................. ١٧٦
جمل تثير الدهشة ...................................................... ١٧٩

الله اعلم بما وضعت ليس الذكر كالأنثى........................................١٨٠
لا برهان له به.............................................................١٨١
جَزْم في العفل يعادله جزم في العطاء.......................................١٨٣
السماء خلقت أولا أم الأرض................................................١٨٤
قالوا سلاما ـ قال سلامٌ؟....................................................١٨٦
الحوادث التاريخية المشتبهة وحلولها الحضارية................................١٨٧
هل تناس الصحابة أحكام القرآن؟...........................................١٨٩
مقتل عثمان (رضي الله عنه)...................................................١٩٠
المواجهات بالسلاح بين المسلمين وحكمها....................................١٩٣
بلبلة وقلق يوم الجمل.......................................................١٩٥
يوم صفين، والتحكيم.......................................................١٩٨
موقف الصحابة الكرام......................................................٢٠٠
يوم كربلاء...................................................................٢٠٠
القرآن حسم نهاية إسرائيل..................................................٢٠٤
مع المسيرة العلمية للمؤلف..................................................٢١١
الخاتمة.......................................................................٢١٥
الفهرس......................................................................٢١٧